مجالس السلطان الغوري

صفحات من تاريخ مصر

في القرن العاشر الهجري

للدكتور

عبد الوهاب عزام

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م

مجالس السلطان الغوري

صفحات من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري

للدكتور

عبد الوهاب عزام



السلطان الغورى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

اطّلعت منذ سنين على كتاب فى دار الكتب المصرية اسمه « الكوكب الدرى فى مسائل السلطان الغورى » ، يتضمن آراء السلطان الغَورى آخر سلاطين المماليك المصريين فى مسائل من الفقه والتفسير وغيرهما عرضت فى مجالسه . والكتاب نسخة مصورة عن نسخة فى استنبول هى نسخة السلطان التى كتبت له فى القاهرة وأهديت إلى خزانة كتبه .

قرأت الكتاب وتقرّيت سيرة السلطان فى العلم والأدب ، فعثرت على أبيات له بالعربية والتركية ، وألقيت محاضرة فى الجمعية الجغرافية موضوعها « مكانة السلطان الغَورى فى العلم والأدب » . ثم دأبت على استقراء سيرة هـذا السلطان ، فأخبرنى بعض العلماء أن الشاهنامة ترجمت نظما إلى التركية بأمر الغورى ، وأن نسخة من هذه الترجمة فى إحدى دور الكتب باستانبول . فكتبت إلى أحد العلماء هنالك فأجابنى

أنه لم يجد الكتاب فى المكتبة التى سميتها له . ومرت سنوات قبل أن أعثر فى مكتبة الأمير إبراهيم حلمى — التى أهداها الملك فؤاد رحمه الله إلى مكتبة الجامعة المصرية — على مجلد فيه نصف الكتاب المفتقد . شرعت أقرأ الكتاب فرحاً بهذا الظفر ، متعرفاً اللغة التى نظم بها ، متبيناً فرق ما بينها وبين اللهجات التركية الأخرى .

ثم عرفت بعد قليل أن نسخة كاملة من هذه الترجمة فى مكتبة المتحف البريطانى ، فعزمت على أن أنقل صورتها إلى مكتبة الجامعة .

ثم سافرت إلى استانبول عام ١٣٥٦ ﻫ (١٩٣٧ م) لأنقب فى مكتباتها عن الشاهنامة التركية ، شاهنامة الغورى ، وعن كتب أخرى . وانتهى البحث إلى أن عثرت فى مكتبات السلاطين العثمانيين فى سراى طوپ قپو على نسخة من الكتاب فى مجلد واحد ضخم فيه صور ملونة جميلة .

ويستطيع القارئ أن يقدر اغتباطى ودهشتى إذا علم أن هذه النسخة التى عثرت عليها بعد طول البحث والتحرى هى النسخة الأمّ من هذا الكتاب — النسخة الأولى التى كتبها المترجم بيده فى القاهرة وقدّمها إلى السلطان الغورى .

زاد اطلاعى على مقدمة الكتاب وخاتمته معرفتى بعناية

السلطان بالأدب ورعاية أهله ، فزدت إعجاباً بالرجل و إعظاماً له .

واطّلعت من بَعد على كتاب آخر يتضمن طَرفاً من آراء السلطان ومحاوراته فى مجالسه اسمه « نفائس المجالس السلطانية » وهو نسخة فى دار الكتب مصورة عن نسخة فى استانبول هى النسخة التى كتبت للسلطان .

و ينبغى أن أقول اعترافاً بالفضل لأهله إن الذى أطلعنى على هذا الكتاب وكتاب الكوكب الدرى هو العالم الفاضل الشيخ محمد عبد الرسول ، جزاه الله خيراً .

اجتمع لى كتب ثلاثة أُلِّفت للسلطان ، واجتمع لى الأمَّهات من هذه الكتب — النسخ الأولى التى كتبت للغورى وقدمت إلى خزانة كتبه . فجعلت هذه الكتب الثلاثة موضوع بحث ألقيته فى مؤتمر المستشرقين ، الذى اجتمع فى بروكسل سنة ١٩٣٨ .

ورأيت أن أطبع « نفائس المجالس السلطانية » كله ثم بدا لى أن أختار منه ومن الكتاب الآخر « الكوكب الدرى » ما يفى بالمقصود ، وأن أعفى القارئ من كثير من المسائل التافهة المتشابهة التى يتضمنها الكتابان ، فاخترت من الكتابين مسائل وافية بتصوير مجالس الغورى وتبيين آرائه وآراء العلماء والكبراء الذين كانوا يغشَون مجالسه ، لتكون صفحات من تاريخ بلادنا فى القرن العاشر الهجرى .

مدخل

السلطان الغورى

— ١ —

مكانة مصر بين الممالك الإسلامية أواخرَ عصر المماليك ، وموقفُها فى تباشير العصور الحديثة بين الشرق والغرب ، وصِلاتها بدول أوربا والدول الإسلامية ؛ وخاصة دولة بنى عثمان ، وقوة أساطيلها فى بحر الروم والبحر الأحمر إلى الهند ، واحتلالها بعض سواحل الهند لتأمين التجارة ، واصطدامها بأساطيل البرتغاليين فى المحيط الهندى ، ثم نظام السلطان فى مصر إذ ذاك ، وأحوال مصر العلمية والأدبية والاقتصادية — كل أولئك مجال واسع لبحث عويص مفيد ممتع ذى خطر فى تاريخ مصر والبلاد العربية والإسلامية ، وتاريخ العالم كله . وعسى أن يوفق مؤرخونا إلى درس هذه المسائل و بسطها ؛ فهى جديرة بالدرس والبسط ، وهى من الواجبات الأولى على المؤرخين المصريين .

— ٢ —

كان السلطان الغورى يدبّر ملكا واسعاً هو ملك مصر والأقطار التى تتبعها فى أكثر العصور — الملك الذى ذكره أبو الطيب المتنبى وهو يمدح كافورا الأخشيدى :

يدبّر الملك من مصر إلى عدن
إلى العراق ، فأرض الروم فالنُّوب

كانت مصر والشام وبلاد العرب ، وبعض الجزيرة الفراتية ، وبلاد العواصم ، وهى القسم الجنوبى من آسيا الصغرى ، فى سلطان ملوك مصر فى معظم العصور الإسلامية . وكانت كذلك أيام الغورى ، وكان بنو رمضان الذين تسلطوا فى أذنة وطرسوس وما يليهما يولَّون من قِبَل سلاطين مصر .

وبلغت الأساطيل المصرية سواحل الهند ، وبنت عليها قلاعاً لحماية التجارة . وقد اجتهد الغورى زمناً فى الاحتفاظ بسلطان المصريين فى تلك الأرجاء ، على رغم البرتغاليين . وكان بعض أمراء الهند يستنجده على الفرنج فيرسل الأساطيل والجند فى الحين بعد الحين .

وكان للغورى ، ولسلاطين المماليك من قبله ، الزعامة بين ملوك المسلمين ، لتوليهم خدمة الحرمين الشريفين ولمكان الخلافة

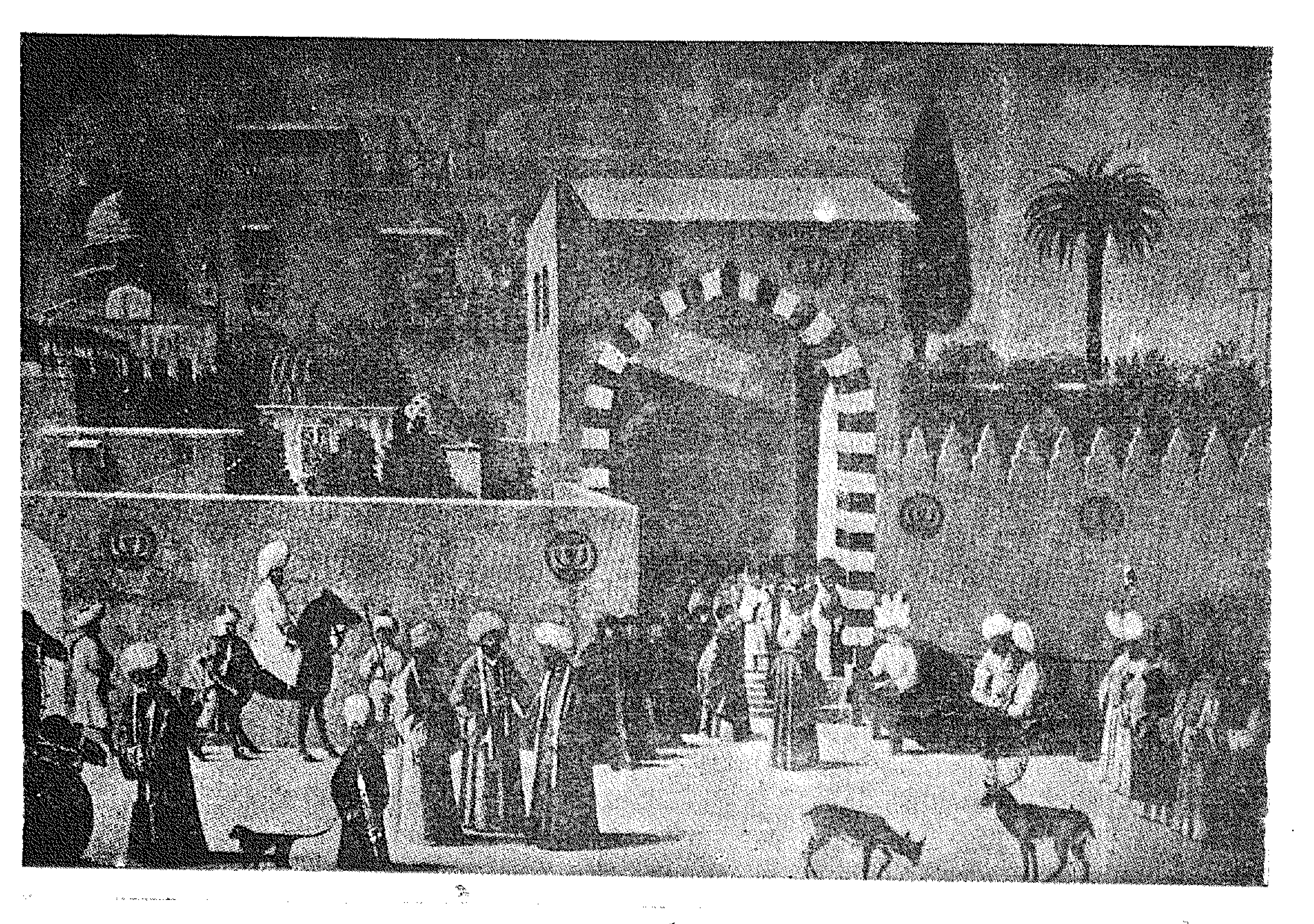
العباسية فى مصر . ومن يتتبع الرسائل التى كانت بين ملوك مصر وغيرهم من الملوك المسلمين ، ويتعرّف أحوال الأقطار الإسلامية فى تلك العصور يعرف أن ملوك مصر لم يكونوا ينازَعون فى هذه الزعامة . وحسب الباحث أن يقرأ الرسائل التى تراسل بها سلاطين آل عثمان ومماليك مصر . وكثير منها محفوظ فى منشآت السلاطين التى جمعها فريدون بك فى القرن الحادى عشر الهجرى .

ولهذا نجد فى تاريخ الغَورى كثيراً من أخبار الرسل أو القُصّاد الذين كانوا يترددون بينه و بين الأقطار الإسلامية ، وغير الإسلامية . نجد رسلا من الهند و إيران والعراق ومن قِبَل السلاطين العثمانيين ، وأمراء آسيا الصغرى ، ومن بلاد السودان والحبش ، ومن بلاد الكرج وأوربا وجزر بحر الروم . وكثير من الأمراء المغلوبين على أمرهم كانوا يلجئون إلى مصر ليستنجدوا سلاطينها أو يقيموا فيها آمنين .

يقول ابن إياس فى حوادث ربيع الآخر سنة ٩١٨ :

« ومن العجائب أن فى هذا الشهر اجتمع عند السلطان نحو من أربعة عشر قاصداً . وكل قاصد من عند ملك على انفراده .

فمن ذلك قاصد شاه إسماعيل الصوفى ، وقاصد ملك



صـورة تبين السلطان جالساً على باب قصره يستقبل السفراء

الـكُرج ، وقاصد ابن رمضان أمير التركمان ، وقاصد من عند ابن عثمان ملك الروم ، وقاصد يوسف ابن الصوفى خليل أمير التركمان ، وقاصد صاحب تونس ملك الغرب ، وقاصد من مكة ، وقاصد الملك محمود ، وقاصد ابن دُرغُل أمير التركمان ، وقاصد من عند نائب حلب ، وقاصد من عنـد حسين الذى توجّه إلى الهند ، وقاصد ملك الفرنج الفرانسة ، وقاصد البنادقة ، وقاصد على دولات ، وغير ذلك قُصّاد من عند جماعة من النوّاب » .

ولا أريد أن أبيّن هنـا مكانة مصر وعلاقتها مع بلاد الشرق والغرب إذ ذاك ؛ فإن من أصعب المباحث التاريخية وأوسعها وأكثرها إمتاعاً أن يُدرس التنافس بين الدول الإسلامية المتجاورة : الدولة المصرية ، والدولة العثمانية ، والدولة الصفوية ، وموقف مصر بين جارتيها و بين الدول الأوربية التى تنافسها فى بحر الروم و بحر العرب إلى الهند ، وتُعرف الأسباب التى مكنت سليماً من أن يهزم إسماعيل الصفوى وقانِصَوه الغورى ، والأسباب التى أخّرت الدول الإسـلامية عامة عن منافسة الأور بيين فى مغامراتهم فى بحار الشرق .

إن هذه المباحث وما يتصل بها ليست ممـا يتسع لتفصيله

أو إجماله هذه المقدمة ؛ وإنما ألمت إلى هذه الحوادث لأبيّن مكانة مصر وسلاطينها فى ذلك العصر وأبيّن العبء الذى اضطلع به الغورى فى تدبير أمور مصر الداخلية والخارجية .

وسأذكر فى الأوراق الآتية طرفاً من سيرة السلطان الغورى أجعله إيضاحاً وتكملة لما يستفاد من الكتابين اللذين أقدم لهما هذه المقدمة .

وعمدتى فى هذا تاريخ ابن إياس المؤرخ المعاصر المدقق . وقد حرصت على أن أدعه يحدّث القارئ بلغته ، كلما أمكن هذا ؛ لأن آراء ابن إياس ولغته وأسلوبه صور من تاريخ ذلكم العصر .

٣ — كيف تولى الغَورى الملك[1] :

تولى أمر مصر فى أواخر القرن التاسع الهجرى سلطان من أعظم سلاطين المماليك همة ، وأحسنهم سياسة ، وأكثرهم برًّا ، هو الملك الأشرف قايت باى . ملك من سنة ٨٧٢ إلى سنة

---

(١) بينت فى محاضرة ألقيتها فى الجمعية الجغرافية الملكية منذ سنوات أن الضبط الصحيح لهذا الاسم هو الغورى بفتح الغين لا ضمها ، وكانت حجتى فى هذا أن الاسم كتب بهذا الضبط على مصحف السلطان فى دار الكتب المصرية . وقد صدق هذا الرأى أبيات كثيرة فى الشاهنامة التركية جاء فيها الغورى فى القافية مع كلمات مثل دور ، وغور ، وأن الاسم ضبط هذا الضبط فى عنوان هذا الكتاب . وفى ابن إياس سجعة ترجح أنه الغُورى بضم الغين ولكنها لا تكافئ الأدلة القوية التى ذكرتها (ص ١٢ الآتية) .

٩٠١ ، فاستقرت به الأمور فى مصر بعد الاضطراب الذى عقب وفاة الظاهر خوشقَدم .

وقد شغل زمناً بمحاربة العثمانيين فى عهد السلطان بايزيد الثانى ابن الفاتح وظفر عليهم فى أكثر الوقائع ، ولكنه صالحهم آخر الأمر سنة ٨٩٦ على أن يرد إليهم مدينتى أذنة وطرسوس .

ولا تزال آثار هذا السلطان الكبير ظاهرة فى مصر والحجاز .

وتلا وفاة قايت باى عهد من الاضطراب تداول فيه أمر مصر وما يتبعها خمسة سلاطين : خلفه ابنه محمد ، وخلع بعد ستة أشهر ، ثم عاد إلى الملك بعد خمسة أشهر فملك ثمانية عشر شهراً ، ثم قتل سنة ٩٠٤ . وتوالى بعده ثلاثة سلاطين فى ثلاثين شهراً .

فلما اختفى السلطان طومان باى هرباً من المماليك اجتمع رؤساء الدولة ليختاروا سلطاناً ينتهى بولايته هذا الاضطراب .

وأنقل هنا من تاريخ ابن إياس جملة تصوّر الحال تصوير معاصر خبير :

« وثب العسكر على العادل (طومان باى) فى سلخ شهر رمضان سنة ست وتسعمائة ، واختفى فى ليلة عيد الفطر بعد

العشاء . فلما أصبح ذلك اليوم وأشيع هروب العادل ركب الأمير قيت الرجبي أمير سلاح ، وقانصوه الغَوْرى أمير دوادار كبير الخ[١] ، ثم ظهر خوشكلدى البيسقى ، وكان مختفياً من العادل لما أراد القبض عليه . فلما تكاملوا اجتمعوا ببيت قانصوه خمسمائة الذى بقناطر السباع ، فحضر إليهم الأتابكى تانى بك الجمالى ، وكان مختفياً من حين كسر الأشرف جانبلاط وتسلطن العادل .

فلما حضر وقع الاتفاق على سلطنته أولا ، فركب من هناك وعلى رأسه الصنجق[٢] السلطانى . وقد ترشح أمره إلى السلطنة . فلما طلع إلى باب السلسلة ليلى السلطنة أشيع فى ذلك اليوم أن الأشرف قانصوه خمسمائة باق على قيد الحياة . فأشهروا النداء فى القاهرة بأن قانصوه خمسمائة إن كان موجوداً فليظهر وله الأمان . وإن لم يظهر بعد ستة أيام فلا أمان له .

فلما طال المجلس انفضّ العسكر من الرملة ، ونزل غالب الأمراء الذين كانوا قد اجتمعوا فى الحراقة بباب السلسلة ، وكان يوم عيد الفطر ، فاختار كل أحد عوده إلى داره حتى

---

(١) عدّ ابن إياس تسعة أمراء آخرين .

(٢) الصنجق العلم .

يقع اختيار الأمراء على من يولوه السلطنة . فأعرض غالب العسكر عن الأتابكى تانى بك الجمالى ، ولم يرض به أحد منهم . وكان الأتابكى تانى بك الجمالى أرشل معكوس الحركات فى أفعاله . وطاش لمّا ذُكِر للسلطنة . ثم آل أمره بعد ذلك إلى كل سوء . فلم تقُم له السلطنة ، وكانت من نصيب قانصوه الغورى ... ...

فلما رأوا المجلس مانع[1] تعصب الأمير قَيت الرجبى أمير سلاح والأمير مصرباى ، إلى قانصوه الغورى ، وقالوا ما نسلطن إلا هذا . فسحبوه وأجلسوه وهو يمتنع من ذلك ويبكى ، وربما كلمه مصرباى ومزّق طوق ملوطته ، وهو يمتنع غاية الامتناع . فحضر الخليفة المستمسك بالله يعقوب ، وقاضى القضاة عبد الغنى ابن تقى المالكى ، والشهاب الشيشينى الحنبلى ، وتأخر قاضى القضاة الشافعى زين الدين زكريا ، وبرهان الدين الكَرَكى الحنفى حتى يقع رأى الأمراء فيمن يولوه السلطنة ، فكتب القاضى الحنبلى صورة محضر فى خلع العادل من السلطنة ، وشهد فيه جماعة كثيرة من الناس بأنه سفاك للدماء . ثم حضر القاضى الشافعى والقاضى الحنفى وعقدت البيعة لقانصوه الغورى . وبايعه

---

(١) يعنى : لم يتفق المجلس على أمر .

الخليفة . وكانت سلطنته فى يوم الاثنين مستهلّ شوال سنة ست وتسعمائة .

ثم أحضر إليه شعار السلطنة ، وهى الجبة والعمامة السوداء فأفيض عليه ذلك . كل هذا وهو يمتنع ويبكى ، فلقبوه بالملك الأشرف ، وسما فى علوّه وأشرف ، وكنّوه بأبى النصر قانصوه الغورى ، وبه صارت مصر مشرقة بالنورى ، وقيل :

ألا إنما الأقسام تحرم ساهراً　　وآخر يأتى رزقه وهو نائم

ثم قدمت له فرس النوبة بالسرج الذهب والكنبوش . فركب من على سلم الحراقة التى بباب السلسلة ؛ فتقدم قيت الرجبى وحمل القبة والطير على رأسه ، وقد ترشح أمره إلى الأتابكية . فركب الخليفة عن يمين السلطان ، ومشت بين يديه الأمراء وهم بالشاش والقماش حتى طلع من باب سرّ القصر الكبير وجلس على سرير الملك والباقى للزوال نحو من خمسة وعشرين درجة ، وكان الطالع بالسرطان ، فأوّل من قبّل له الأرض قيت الرجبى ، ثم بقية الأمراء شيئاً فشيئاً ، ثم أخلع على الخليفة ونزل إلى داره وأخلع على مصرباى وقرره فى الدوادارية الكبرى والوزارة والأستادارية عوضاً عن نفسه ؛ فنزل إلى داره فى موكب حافل . ثم دقت له البشائر بالقلعة ،

ونودى باسمه فى القاهرة ، وارتفعت الأصوات له بالأدعيـة الفاخرة ، وزال ما كان من الشكوك والظنون ، وأقرّت من الناس بسلطنته العيون ، فكانت سلطنته على غير القياس ، وأشيع بأن بنيانه على غير أساس ، فصار منه بعد ذلك الهزل جد ، ومكث فى السلطنة مكثاً جاوز الحدّ ، فزال عنه الأضرار والباس ، وامتلأت منه أعين الناس ، فتولى الملك وله من العمر نحو من ستين سـنة ولم يظهر بلحيته الشيب حتى عد ذلك من جملة سعده »[1] .

٤ — الغورى قبل السلطنة :

الغورى جركسى من مملوكى السلطان قايت باى ، أعتقه وولاّه بعض الأعمال فى حاشيته حتى جعل كاشفا للوجه القبلى سنة ٨٨٦ ، ثم جعل أمير عشرة السنة التالية ، ثم ولى بعض الولايات فى الشام وما يتصل بها من بلاد العواصم . وما زال يتقلب فى المناصب و يرتقى أيام محمد بن قايت باى ومن بعده حتى ملك طومان باى وهو بالشام والغورى فى صحبته . فلما رجع إلى القاهرة ولى الغورى ما كان يليه هو من الأعمال : الدوادارية الـكبرى والوزارة والأستادارية .

---

(١) ابن إياس حوادث سنة ٩٠٦ .

٥ — حليته وأخلاقه وطرف من سيرته :

وكان فيما وصفه ابن إياس : « طويل القامة ، غليظ الجسد ، ذا كرش كبير ، أبيض اللون ، مدور الوجه ، مشحّم العينين ، جهورى الصوت ، مستدير اللحية ، ولم يظهر بلحيته الشيب إلا قليلا .

وكان ملكا مهيباً جليلا مبجّلا فى المواكب ، ملء العيون فى المنظر »[1] .

وكان يميل إلى الأبهة فى ملابسه ومواكبه ، كما كان ميّالا للتنعّم ، مولعاً بالفنون الجميلة .

قال ابن إياس :

« وكان يلبس فى أصابعه الخواتم الياقوت الأحمر والفيروز والزمرد والماس وعين الهر .

وكان مولعاً بشم الرائحة الطيبة من المسك والعود والبخور ، وكان ترِفاً فى مأكله ومشربه وملبسه ، ويحب رؤية الأزهار والفواكه .

وكان مولعاً بغرس الأشجار ، وحبّ الرياضات ، وسماع الأطيار المغرّدة ، ونشق الأزاهر العطرة والبخور .

---

(١) ج ٦ ص ٨٥ حوادث سنة ٩٢٢ .

وكان يستعمل الطاسات الذهب يشرب فيها الماء ، وكان يستعمل الأشياء المفرِّحة ، وكان نهماً فى الأكل ، وكان يغوى طيور المسموع »[1] .

هذه صفات تدل على رقة الطبع ، ودقة الإحساس ، والولوع بالجمال ، والاستمتاع بالعيش .

ومن كانت هذه صفاته يبعد أن يكون ظالماً جبّاراً سفاكا للدماء ، قاسياً على الضعفاء .

ونحن نجد فى تاريخ الغورى ما يصدق هذه الخلال . فأما كلفه بغرس الأشجار والأزهار واقتناء الطيور . وما يتصل بهذا من تشييد الأبنية وتجميلها فسيأتى بيانه .

حبه الموسيقى والغناء :

وأما ولعه بسماع الموسيقى والغناء ومعرفته بهما ؛ فقد اتفق على ذلك المؤرخون وشهدت به سيرته . فهو إذا أراد الاستراحة من عناء الملك خرج إلى مقياس الروضة أو قبة الأمير يشبك ، التى فى حدائق القبة الآن ، وأحضر خواصه و بعض المغنين والعازفين . وكثيراً ما كان يستصحب المطربين فى أسفاره .

(١) حوادث سنة ٩٢٢ ص ٨٦ .

يقول ابن إياس فى حوادث ذى الحجة سنة ٩١٥ :

« وفيه كان موكب العيد حافلاً ، وأوكب السلطان على العادة . فلما انقضى يوم العيد نزل السلطان فى اليوم الثانى من العيد ، وتوجه إلى قبة الأمير يشبك الدوادار التى بالمطرية ، وأقام هناك إلى بعد العصر . ووافق ذلك اليوم عيد النصارى وأول الخماسين ، فانشرح هناك ، ومدَّ أسمطة حافلة . وحضر عنده جماعة من المغانى وأرباب الآلات . ورسم لبعض الأمراء العشرات بأن يرقص ؛ فقام ورقص بين يدى السلطان فرسم له بمائة دينار » .

ويقول فى حوادث المحرم سنة ٩١٨ :

« وفى يوم الأحد وهو يوم عاشوراء ، نزل السلطان وتوجه إلى نحو المقياس ، وجلس فى القصر الذى أنشأه هناك ، وكان معه جماعة من الأمراء ، فأقام هناك إلى قريب المغرب وانشرح فى ذلك اليوم إلى الغاية ، ومدَّ هناك أسمطة حافلة . وأحضر بين يديه مغانى وأرباب آلات . ثم إن شخصاً مضحكا يقال له على باى ، الذى يعمل عفريتاً فى المحمل ، قام فرقص . ثم سحب الوالى كرتباى فرقَّصه ، ثم سحب أمير آخور ثانى آقباى الطويل فرقَّصه . ثم سحب بركات بن موسى المحتسب

فرقَّصه ، ثم سحب عبد العظيم الصيرفى فرقَّصه ، وكان جسيما فضحك عليه السلطان . ونثروا بين يديه أشياء من أنواع الورد والزهر والفاكهة ومجامع الحلوى ؛ فتخاطف ذلك المماليك . وابتهج فى ذلك اليوم » .

وفى حوادث ذى القعدة سنة ٩١٨ ، يذكر ابن إياس سفر السلطان إلى الفيوم ، ويقول فى أثنائه :

« ولما نزل السلطان من القلعة توجه نحو المقياس وبات به ليلة السبت . فلما طلع النهار عدَّى من هناك وطلع إلى برّ الجيزة وتوجه إلى الوطاق[1] الذى نصبه عند الأهرام . وقيل إن السلطان أخذ معه جماعة من المغانى وأرباب الآلات . فمنهم محمد بن عُوَينة العوّاد ، وجلال السنطيرى والبوالقة ، وابن الليمونى ، وغير ذلك من المغانى » .

وذكر الشريفى مترجم الشاهنامة عناية السلطان بالموسيقى ، واستصحابه كبار الموسيقيين .

وللسلطان موشحات وألحان كان يغنَّى بها فى عصره ، سنذكر بعضها بعد .

---

(١) أصل أوتاق بالتركية موقد النار . وتقال على الدار والخيم .

ألعابه :

وكان يلهو أحياناً بنطاح الكباش والثيران .

يقول ابن إياس فى حوادث ربيع الآخر سنة ٩١٢ :

« وفى يوم الثلاثاء خامسه ، كان ختام ضرب الكرة بالميدان . فلما انتهى ذلك أحضر السلطان ثيران وكباش يتناطحون قدامه » .

وفى حوادث ربيع الآخر سنة ٩١٨ :

« وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه كان ختام ضرب الكرة بالميدان — وكانت جماعة من هؤلاء القصّاد حاضرين[1] . فلما انتهى ضرب الكرة قام السلطان وطلع إلى الحوش وجلس بالمقعد ، وأحضروا قدامه ثيران يتناطحون وكباش » .

« وفى يوم الأربعاء ثامن رمضان نزل السلطان وتوجه إلى نحو المطعم بالريدانية ، وجلس على المصطبة التى هناك ؛ وأطلقوا قدّامه الكلاب والصقورة والفهودة ، وانشرح فى ذلك اليوم ، ثم عاد إلى القلعة من يومه » .

وكان السلطان مواظباً على لعب الكرة فى موسم معروف ،

---

(١) يعنى رسل الملوك .

وكذلك كانت عادة سلاطين المماليك وكثير من ملوك مصر والدول الإسلامية . نجد فى حوادث كل سنة من تاريخ ابن إياس : « وفى يوم كذا بدأ السلطان بضرب الكرة ، وفى يوم كذا كان ختم الضرب بالكرة » .

موائده :

وأما احتفاله بالطعام وموائده : فيظهر من وصف مآدبه للسفراء ولأعيان مملكته ، ومن مآدب أعيان الدولة له .

يقول ابن إياس فى حوادث المحرم سنة ٩١٥ :

« ومن الوقائع اللطيفة أن فى يوم الخميس ليلة الجمعة خامس عشره ، نزل السلطان إلى الميدان ، ونصب به خيمة كبيرة مدوَّرة ، وملأ البحرة التى أنشأها هناك من ماء النيل ، من الجراة التى أنشأها ، ثم رسم بجمع كل ورد فى القاهرة ووضعه فى تلك البحرة . وجمع قرّاء البلد قاطبة والوعاظ . وعلّق أحمالا بها قناديل ، وفرش حول البحرة الفرش الفاخرة . وعزم على القضاة الأربعة ، وسائر الأمراء من كبير وصغير ، وأرباب الوظائف من المباشرين ، وأعيان الناس قاطبة . وبات السلطان

تلك الليلة بالميدان . وبات عنده الأتابكى قرقماس ، وجماعة من الأمراء .

ومدَّ تلك الليلة أسمطة حافلة أعظم من سماط المولد . فمدَّ فى السماط أربعمائة صحن صينى . ورسم بأن تعمل المأمونيّة الحمويّة وكل قطعة نصف رطل . وكان من الإوز والدجاج والغنم مالا ينحصر . ومن اللحم ألف وخمسمائة رطل ، ومن الدجاج ألف طير ، ومن الإوزّ خمسمائة طير ، ومن الغنم المعاليف خمسين معلوفاً ، ومن الرّمسان الرضَّع أربعين رميساً[١] ؛ حتى قيل صرف على ذلك السماط فوق الألف دينار ، بما فيه من حلوى وفاكهة وسكر وغير ذلك ، وكانت ليلة مشهودة » .

وكذلك نجد أعيان الدولة يسرفون فى الأسمطة التى يحضرها السلطان ؛ فقد أدب القاضى كاتب السر محمود بن أجا للسلطان ورجال الدولة عند مقياس الروضة ، مأدبة أنفق فيها سبعمائة دينار[٢] .

---

(١) الرميس : الحمَل فى لغة بعض البلاد المصرية .

(٢) ابن إياس . جمادى الآخرة سنة ٩١٨ .

مواكبه وزينته :

وكان الغورى يميل إلى الأبّهة فى زينته وموكبه على شدة حاجته إلى المال .

ووددت أن أمتع القارئ بوصف أحد المواكب بلغة ابن إياس لولا ضيق المجال ، فليرجع من شاء إلى الجزء الخامس ص ٢٧٦ ، ٤٢١ .

ولكنى لا أستطيع إغفال زينة من زينات الغورى ، يرى القارئ فى وصفها صورة من معيشة القاهرة فى ذلك العصر :

يقول ابن إياس فى الحديث عن ذهاب السلطان إلى المقياس وإقامته هناك يومين فى جمادى الأخرة سنة ٩١٨ :

« ثم إن السلطان أوقد فى قاعة المقياس وقدة حافلة ، باطناً وظاهراً ، وعلّق أحمال بقناديل فى القصر الذى أنشأه هناك ، وعلى شرفات المقياس قناديل فى أحمال وأمشاط حتى أوقد جامع المقياس والمأذنة .

ثم إن سكان برّ مصر[1] وبرّ الروضة علّقوا فى بيوتهم القناديل فى الأحمال والأمشاط بطول البرّين ، حتى أوقدوا المرّبع الذى أنشأه السلطان للسواقى تجاه برّ الروضة[2] .

(١) يعنى مصر القديمة .

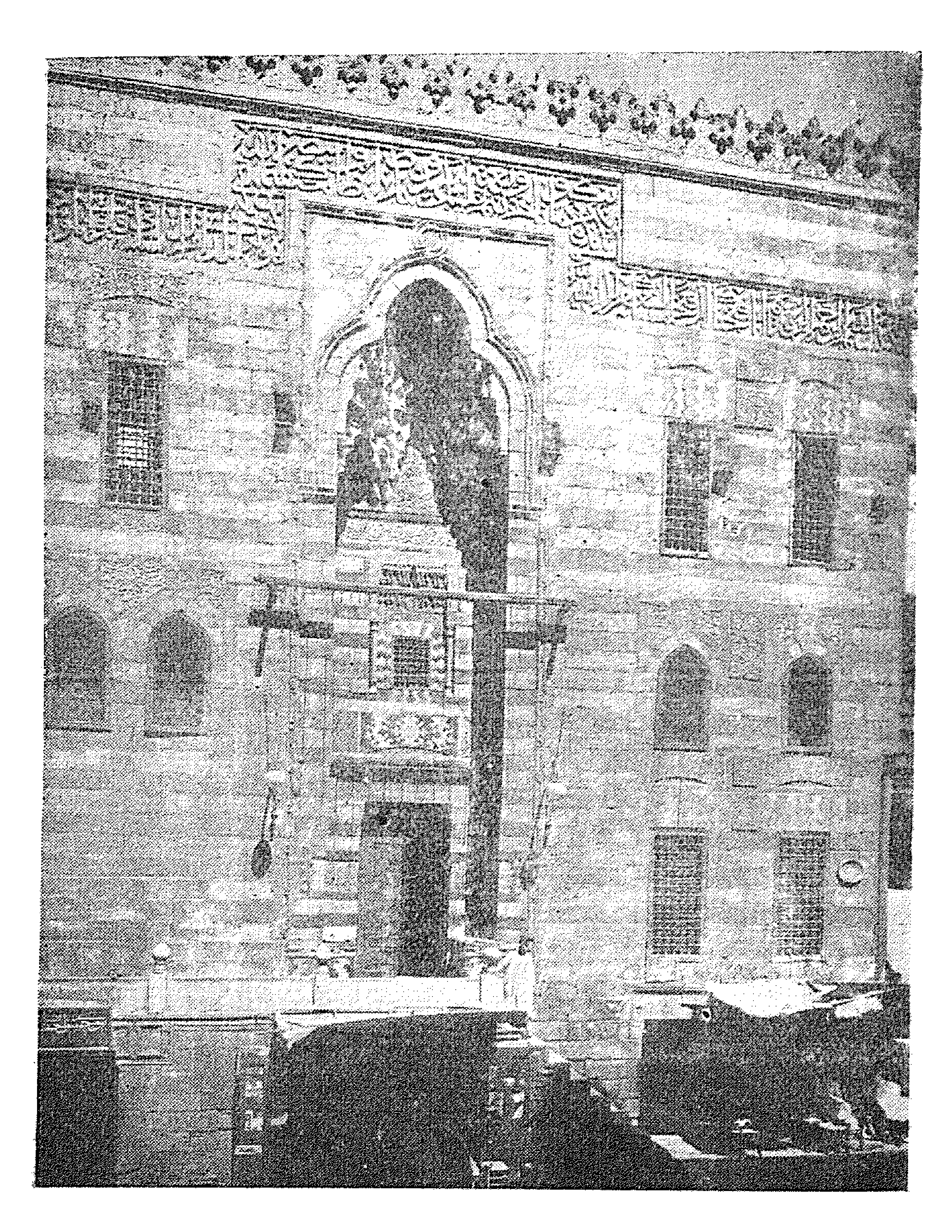
(٢) يظهر أنه البناء القائم اليوم على مقربة من النيل عند فم الخليج .

ثم أحضر السلطان المركب الكبير الغليون الذى عمّره وأصرف عليه نحواً من عشرين ألف دينار ، فأرسوا به قبالة المقياس ، وصنعوا له ثمانى مراسى فى البحر ، وعلقوا فى صواريه القناديل فى الأمشاط ؛ فكان الذى وقد فى المقياس تلك الليلة خمسة قناطير زيت وعشرة آلاف قنديل . ثم صنع السلطان فى تلك الليلة إحراقة فكان مصروفها نحواً من مائة وسبعين دينار مثل إحراقة نفط المحمل التى كانت تصنع بالرملة قدام القلعة [١] ، فشقوا بالنفط من القاهرة وهو مزفوف ، وقدامه الطبول والزمور ؛ فكان عدة قلاع النفط خمسون قلعة والمواذن ستون مأذنة ، وأزيار عشرة ، وجرار أربعين جرة ، وصواريخ كبار ثلاثمائة ، وماويات ألف ومائتين ، وشجرات عشرة ، وتنانير عشرين ، وقطع ألفان ، وشعل أربعين . فلما وصلوا بالنفط إلى شاطئ البحر أنزلوه فى خمسين مركب ، وصفوا المراكب قبالة المقياس عند البسطة ، ورسم السلطان للأمراء المقدمين بأن يُحضروا طبلخاناتهم فى مراكب عند المقياس ؛ ففعلوا ذلك . فكان حسّ الطبول والزمور مع الكوسات [٢]

---

(١) يعلم من هذا أن الزينات والألعاب النارية التى تشعل فى حفلات المولد النبوى اليوم بدعة قديمة .

(٢) الكوسات جمع كوس وهو بالفارسية الطبل الكبير .



باب جامع الغورى فى شارع الغورية

مثل صوت الرعد القاصف . فلما صلى السلطان صلاة العشاء جلس على سطح القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس والأمراء حوله وأحرقوا قدامه النفط ، وكان النيل فى ثلاثة أصابع من عشرين ذراع . وكانت ليلة البدر فدقت كوسات السلطان مع كوسات الأمراء المقدمين ، وهم أربعة وعشرون مقدَّم ألف . فقاموا فى صعيد واحد عند إحراق النفط ؛ فكانت تلك الليلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم ، ولم يقع لأحد من الملوك قبله مثل هذه الواقعة ، ولا للمؤيد شيخ ، ولا للناصر فرج بن برقوق » .

عماراته :

وأما كلفه بتشييد الأبنية والتأنق فيها ؛ فتدل عليه آثاره القائمة اليوم ، وما حدَّث التاريخ عن آثاره التى درست .

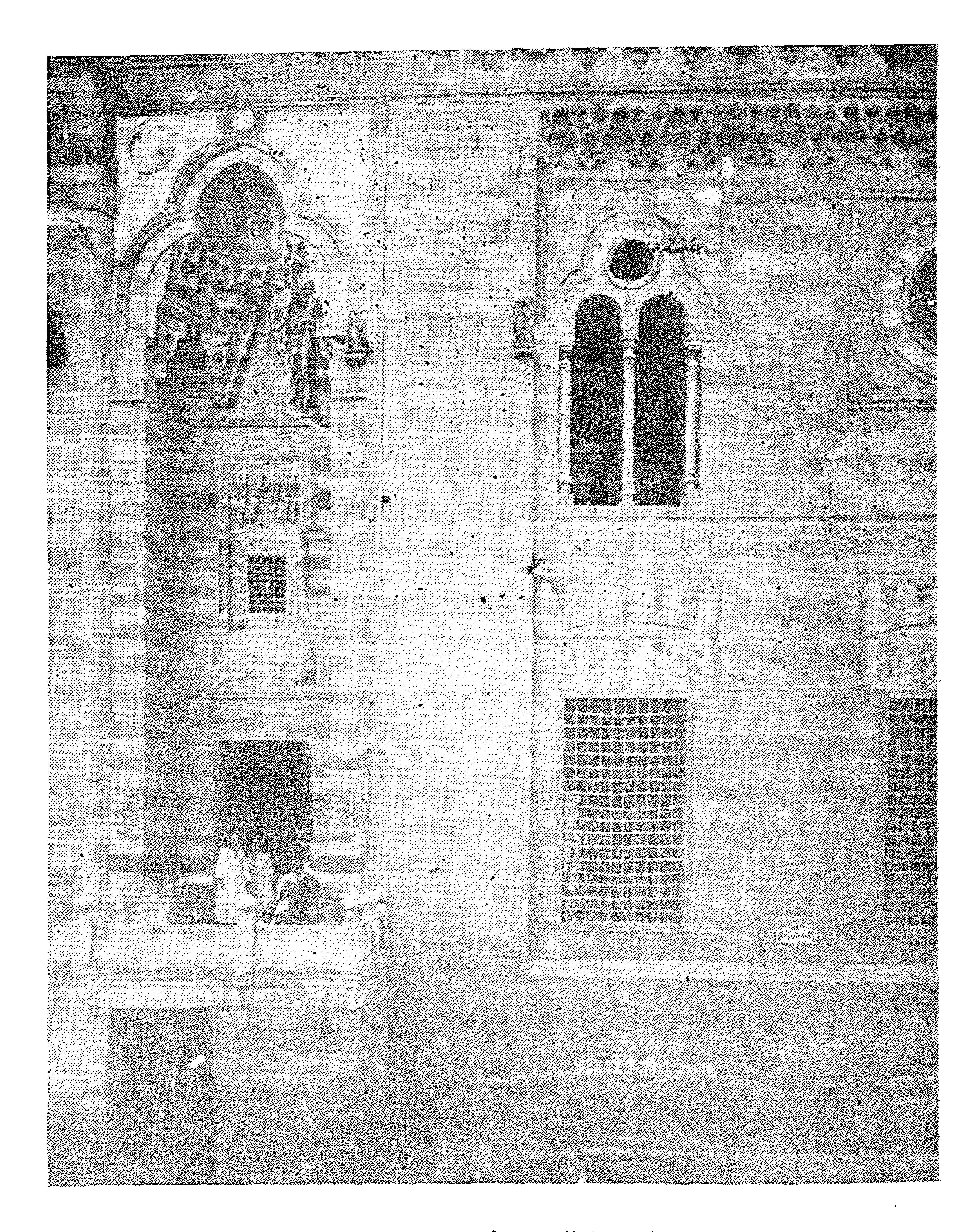
أنشأ الجامع والقبة والمكتب والسبيل التى فى الغورية ، وجامعاً عند القلعة ، وبنى خان الخليلى ، وخاناً وأحواضاً فى طريق الحاج عند العقبة ، ورباطاً ومارستاناً فى مكة ، وقصراً عند المقياس فى الروضة ، وأنشأ الميدان عند القلعة ، وأحواضاً وأبنية فيه .

وعمّر قاعة البَيْسرية وقاعة العواميد والدُهَيشة فى القلعة ، وأنشأ قناطر وأبنية أخرى .

فأما الجامع فلا يزال قائماً بالغورية ، ملتقى شارع الغورية (الذى سمّى شارع المعز لدين الله) ، وشارع الأزهر ، وتحته السوق المعروفة باسم التربيعة » .

وننقل هنا ما يروى ابن إياس فى إتمام هذا الجامع والصلاة فيه أول مرة :

وفى ربيع الآخر (٩٠٩) فى يوم الجمعة مستهله خُطب فى جامع السلطان الذى أنشأه فى الشرابشيين . وقد تم بناؤه وجاء فى غاية الحسن والتزخرف . وصنع به مأذنة لها أربعة رءوس . وهو أول من اتخذ ذلك ... فكان أول من خطب بهذا الجامع قاضى قضاة دمشق الشهاب أحمد بن فرفور الدمشقى الشافعى . فلبس السواد وخطب ، وكان المرقّى قدّامه القاضى عبد القادر القصروى . وحضر فى ذلك اليوم الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة . وهم برهان الدين بن أبى شريف الشافعى ، وعبد البرّ بن الشحنة الحنفى ، وبرهان الدين الدميرى المالكى ، والشهاب الشيشينى الحنبلى . وحضر غالب الأمراء المقدّمين ، وولدُ السلطان المقرُّ الناصرى ، وأعيان المباشرين قاطبة ، والجم الغفير من الأمراء العشرات والخاصكية ، وأعيان الناس . وزينت الشرابشيين فى ذلك اليوم ، وكان يوماً مشهوداً . وأخلع



باب قبة الغورى فى شارع الغورية

السلطان فى ذلك اليوم على قاضى القضاة عبد البرّ بن الشحنة ، كونه حكم بصحة الخطبة فى هذا الجامع . وأخلع على إينال شادّ العمارة خلعة حافلة ، وأنعم عليه بإمرة عشرة ، وأخلع فى ذلك اليوم على عدّة من المهندسين والبنّائين والمرخّمين والنجّارين وغير ذلك من أرباب الصنائع ممن كان بالجامع . وأنعم على الفعلاء لكل واحد بألف درهم .

ثم فى الجمعة الثانية رسم السلطان لقاضى القضاة عبد البرّ ابن الشحنة بأن يخطب فى هذا الجامع ، فخطب تلك الجمعة خطبة بليغة [1] .

وفى حوادث جمادى الآخرة سنة ٩١١ يقول ابن إياس :

« وفيه مالت مأذنة جامع السلطان الذى أنشأه بالشرابشيين . فلما تشقّقت وآلت إلى السقوط رسم بهدمها . وقد ثقلت من علوّها ، كون أنها بأربعة رءوس . فلما هدمت أعيدت على الصحة . وقد بنى علوّها بالطوب ، وصنعوا عليه قاشانى أزرق

وتجاه جامع الغورى يرى الآن بناء آخر يساميه ويشابهه فيه قبة الغورى وقاعة كبيرة للدرس ، وسبيل وكتّاب وحجرات قليلة . وتحت هذه الأبنية مخازن ، ووراءها فناء به قبور بجانب

(١) ابن إياس ج ٤ ص ٥٨ ، ط استانبول .

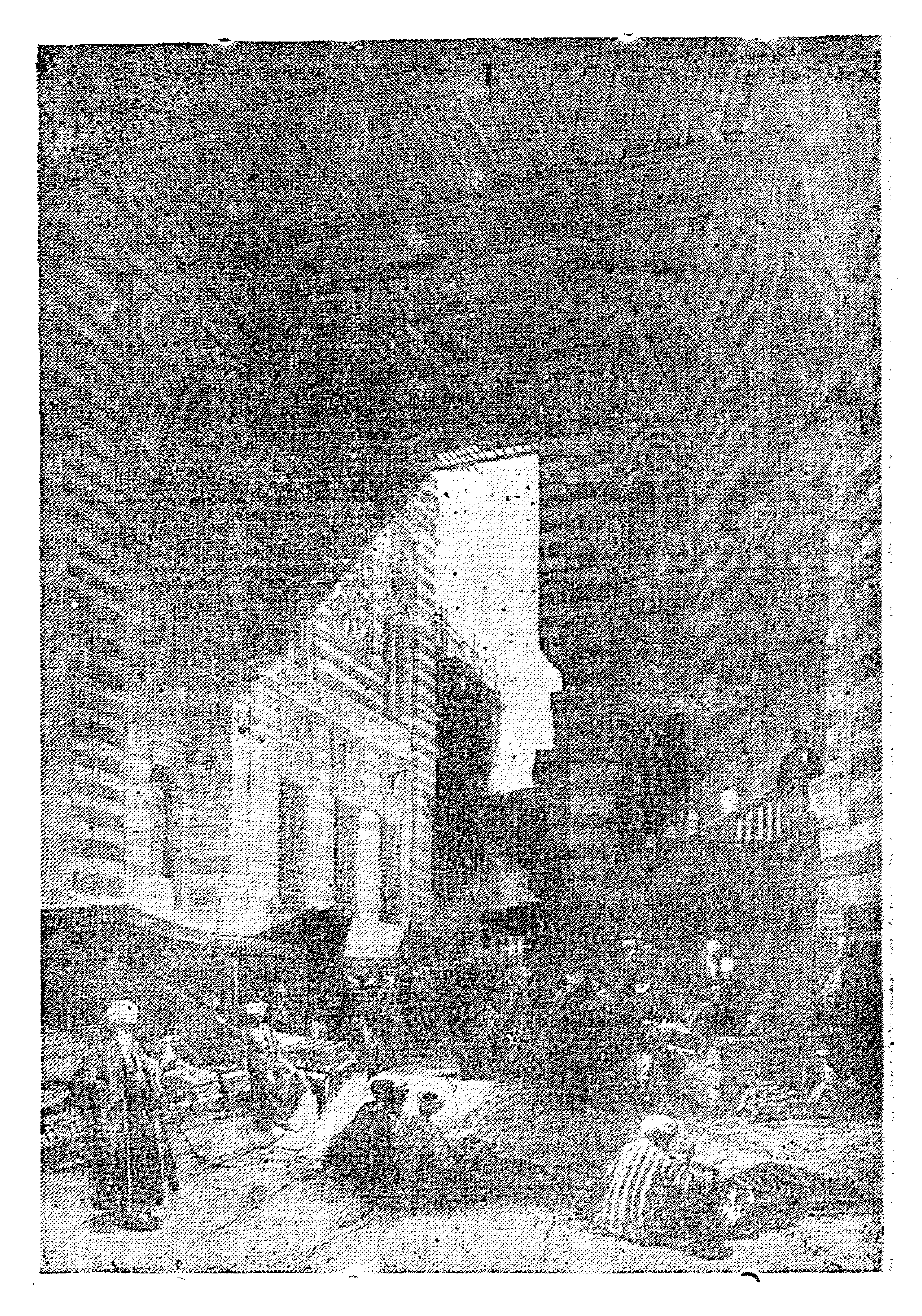
الجدار القبلى . و يؤخذ من ابن إياس أن بعض زوجات السلطان وأولاده والسلطان طومان باى الأخير دفنوا هناك .

وفى ابن إياس أخبار كثيرة عن أبنية الغورى . ومما قاله عن المدرسة :

« ووقع للغورى أشياء غريبة لم تقع لغيره من الملوك ؛ منها أنه نقل الآثار الشريف النبوى من مكانه الذى كان به المطل على بحر النيل فجعله فى مدرسته حتى عد ذلك من النوادر .

وقد تعب الصاحب بهاء الدين بن حنا فى نقل هذا الآثار الشريف ، وكان عند جماعة من بنى إبراهيم بالينبع ، فلا زال يتلطف بهم حتى اشتراه منهم بستين ألف درهما بالدراهم القديمة ، ثم نقله إلى الديار المصرية و بنى له مسجداً مطلا على بحر النيل[١] . وكان الناس يقصدون الزيارة إليه فى كل يوم أربعاء . فلما تلاشى أمر ذلك المكان الذى كان به الآثار الشريف استفتى السلطان العلماء فأفتوه بنقله إلى مدفنه بالقبة وهذا بخلاف شرط الواقف . ثم إن السلطان نقل المصحف العثمانى إلى مدرسته أيضاً[٢] وعد ذلك من النوادر . ثم نقل إلى المدرسة أيضاً الربعة العظيمة

(١) أظنه المسجد المطل على النيل فى الساحل المسمى أثر النبى .
(٢) يذكر هذا المصحف فى كتاب الكوكب الدرى ص ٤٤ وأظنه المصحف المحفوظ فى الجامع الحسينى اليوم .



صورة قديمة تبين الشارع بين جامع الغورى والقبة . رسمها بعض السائحين .
وترى فيها السقيفة التى كانت فوق الشارع

المكتوبة بالذهب التى كانت بالخانقاه البكتمرية التى بالقرافة . قيل إن مشتراها على الواقف ألف دينار . ولم يكتب نظير هذه الربعة سوى ربعة أخرى بخانقاه سرياقوس اشتراها الملك الناصر محمد بن قلاوون بألف دينار أيضاً ، وأخرى بالمدينة الشريفة .

وقد وقع للأشرف قانصوه الغورى فى مدرسته من المحاسن ما لا وقع لأحد قبله من الملوك ، وحاز فيها أشياء غريبة عزيزة الوجود .

ولما نقل الآثار الشريف والمصحف العثمانى إلى مدرسة السلطان كان له يوم مشهود ونزل قدّامه القضاة الأربع والأتابكى قيت ، وجماعة من الأمراء المقدمين والفقراء أرباب الزوايا والأعلام وهم يذكرون . . .

وفى ذلك اليوم أخلع على الشيخ برهان الدين ابن أبى شريف وقرره فى مشيخة هذه المدرسة . وقد صرف عن قضاية القضاة ، وانفرد بمشيخة مدرسة السلطان واستمر بها إلى الآن »[1].

ويصف الشريفى الشاعر ، الذى ترجم الشاهنامة إلى اللغة التركية بأمر الغورى ، عمارات السلطان وصفاً شعريا يدور على

---

(١) ابن إياس حوادث جمادى الأولى سنة ٩١٠ .

الخيال والمبالغة ، ولكنه ينم عن حقائق . فهو يصف القبة و يبين علوها ، وأنها لونت باللون الأزرق . ويصف الجامع والسوق التي تحته ، ويصف الخانقاه التي بجانب القبة وهي القاعة الكبيرة الجميلة التي إلى يسار الداخل . ويقول في هذه الخانقاه : « يقرأ فيها العلم الإلهي ، ويتلي القرآن والأوراد في الأسحار ، ولها شيخان وثمانون صوفيا يقرءون مرتين كل يوم ، وبها مائتان من أصحاب الوظائف (يعني الجرايات) منهم من يعطى الخبز كل يوم ومنهم من يعطى وظيفته مشاهرة[1] .

ويقول في السبيل الذي يلاصق الخانقاه : « وبجانب الخانقاه سبيل كأن ماءه سلسبيل ، يشرب الناس منه ليل نهار وفيه خدام لا يغيبون نهاراً ولا ليلا ؛ فإذا غاب أحد السقاة أناب غيره » .

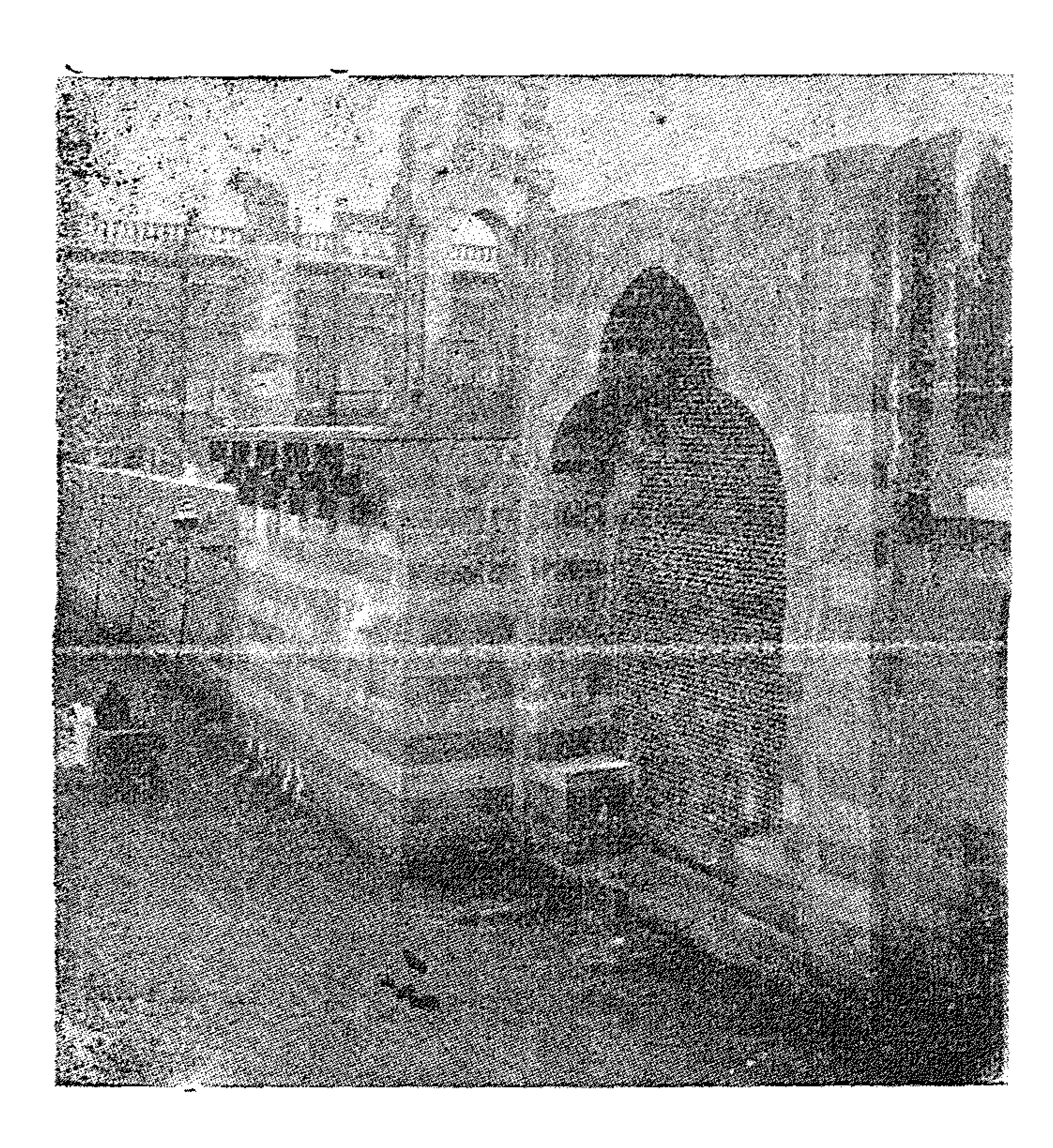
ويقول في المكتب الذي فوق السبيل : « وبنى فوق السبيل مكتبا يقرأ فيه الأيتام إلى العصر ، وفيه مؤدب يعلمهم ويربيهم » .

وكذلك نجد الكلام عن عمارات السلطان في كتاب النفائس[2] .

---

(١) انظر كذلك كتاب نفائس المجالس ص ٩٠ .

(٢) ص ١٢٦ وما يليها .



باب من آثار الغورى يرى اليوم فى شارع الصليبة
متصلا بدار أحمد بك احسان

ولعه بالحدائق والأزهار :

وأما ولعه بالحدائق والأزهار وإجراء المياه فى الحدائق واتخاذ الأحواض والنافورات فيدل عليه ما فعل فى ميدان القلعة .

وهذا الميدان وصفه الشاعر الشريفى ، وذكره ابن إياس كثيراً . يقول فى حوادث جمادى الآخرة سنة ٩١٤ :

« وفيها كان انتهاء العمل من المجراة التى أنشأها السلطان كما تقدم فدارت هناك الدواليب وجرى الماء فى المجراة حتى وصل إلى الميدان الذى تحت القلعة .

ثم إن السلطان صنع هناك سواقى نقالة ، و بنى ثلاثة صهاريج تمتلئ من ماء النيل برسم المماليك الذين يلعبون الرمح فى الميدان ، وشرع فى بناء بحرة فى وسط ذلك البستان الذى أنشأه بالميدان فكان طول تلك البحرة نحوا من أربعين ذراعا ، وقيل أكثر من ذلك . و بنى هناك عدة مقاعد ومناظر مطلات على ذلك البستان » .

وفى حوادث ذى الحجة سنة ٩١٥ .

« وفى هـذه السنة أينعت الأشجار التى غرسها السلطان بالميدان وأخرجت ما شتله بها من الأزهار ما بين ورد و ياسمين

وبان وزنبق وسوسان وغير ذلك من الأزهار الغريبة . ولقد عاينت به ورداً أبيض ذكى الرائحة وهو غير أنواع الورد التى بمصر وقد نقل من الشام ، وكان يطرح فى أوان الصيف والنيل فى قوة الزيادة ، وهو نوع غريب لم يوجد بمصر .

فكان السلطان يوضع له دكة كبيرة مطعمة بالعاج والأبنوس ويفرش فوقها مقعد مخمل بنطع ، ويجلس عليه ، وتظله فروع لياسمين ، وتقف حوله المماليك الحسان بأيديهم المذبات ينشون عليه . ويعلق فى الأشجار أقفاص فيها طيور مسموع ما بين هزارات ومطوق وبلابل وشحارير وقمارى وفواخت وغير ذلك من طيور المسموع . ويطلق بين الأشجار دجاج حبش وبط صينى وحجل وغير ذلك من الطيور المختلفة — إلى أن يقول — وقد صار هذا الميدان جنة على الأرض » .

تديّنه وبرّه بالفقراء

كان الغورى دينا محافظا على فروض الدين ، شديداً على من يفرّط فيها ، وكان يعدّ من علماء الدين فى مصر . كما يتبين فيما يأتى .

وكان كلما حز به أمر أو حلت بالبلاد قارعة أو خشى عليها

نازلة فزع إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإلى قراءة القرآن والحديث والدعاء ، وكان البخارى يقرأ فى رمضان ويحتفل بختمه فى القلعة ، وهى سنّة قديمه .

يقول ابن إياس فى حوادث رجب سنة ٩١٥ :

وفى رجب نادى السلطان بألا يتجاهر الناس بالمعاصى ، ولا يمشى بسلاح بعد المغرب ، وأن الناس يواظبوا على الصلوات الخمس فى الجوامع .

وفى حوادث ذى الحجة سنة ٩١٥ أن النيل زاد فى هاتور ثمانية أصابع فتضرر الناس ، « فرسم السلطان للقضاة الأربع بأن يتوجهوا إلى المقياس ، ويدعوا إلى الله تعالى فى هبوطه . فتوجهوا هناك وباتوا بالمقياس . وقرأ السلطان تلك الليلة ختمة شريفة ومد أسمطة حافلة ، فانهبط فى تلك الليلة نحو من نصف ذراع . فعد ذلك من الوقائع الغريبة » .

ويصف الشريفى صلاة السلطان وتهجّده بالليل ودعاءه ، فى خاتمة الشاهنامه[1]

.. وكان برا بالفقراء كثير الصدقات . أنشأ رباطا ومارستاناً فى مكة ورباطا فى مصر ، وأجرى فيها الصدقات .

---

(١) ص ١١٦٣ — ٦٤

وكان يحب أن يتصدق على الفقراء بيده ؛ نجد فى ابن إياس مثل هذه الحوادث :

المحرم سنة ٩١٢ : « وفيه فى يوم عاشوراء أمر السلطان بأن تجمع الفقراء والحرافيش عند سلم المدرج فاجتمع هناك الجم الغفير من الفقراء والحرافيش ونزل السلطان بنفسه ووقف وهو راكب على فرسه تحت سلم المدرج ، وصار يعطى لكل إنسان من الفقراء من رجل وامرأة وكبير وصغير أشرفى ذهب ، فوقع الازدحام بين الفقراء حتى قتل منهم ثلاثة أنفار ، من شدة ازدحامهم ، فكان كما يقال فى المعنى .

فيالك من عمل صالح   يرفعه الله إلى أسفل

وقيل إنه فرق فى ذلك اليوم نحواً من ثلاثة آلاف دينار فارتفعت الأصوات له بالدعاء . فلما رأى ازدحام الفقراء لم ينزل مرة أخرى ولم يفرق شيئاً ، وكان قصده يفرق على الفقراء مرة أخرى » .

فى رمضان سنة ٩١٥ : « نزل السلطان إلى الميدان فوقف إليه جماعة من المغاربة نحو من سبعين إنسان ما بين رجال ونساء وقد قصدوا الحج فى هذه السنة ، فرسم لهم السلطان بأشرفى لكل واحد منهم ثمن بقسماط » .

وفاؤه :

وكان وفيا برّا بأصحابه وأولياء نعمته ؛ بقى طول عمره يذكر سيده قايتباى بالخير ويعظمه . قال ابن إياس فى حوادث ذى القعدة سنة ٩١٥ : « نزل السلطان وسيّر وتوجه إلى نحو تربة الأشرف قايتباى فنزل عن فرسه ودخل وزار قبره وبكى هناك وتمرغ على قبره ، وقرأ له الفاتحة ثم رسم للبوابين وللصوفية بمائة دينار » .

ونجد فى كتاب النفائس تعظيمه قايتباى[1]

ونجد فى موضع آخر حزنه على أحد رجال دولته وهو الأشرف قرقماس . يقول ابن إياس فى وصف جنازته (رمضان سنة ٩١٦) : « فلما وصل إلى سبيل المؤمنى خرج السلطان من الميدان وهو راكب وأتى إلى سبيل المؤمنى ، فنزل عن فرسه ودخل للصلاة ؛ فلما وضعوا نعشه بين يديه قبّله وهو فى النعش وبكى عليه بكاء كثيراً . فلما صلوا عليه حمل نعشه ومشى به خطوات حتى أخذوه منه الأمراء » .

---

(١) النفائس ص ١٩١ .

محاسن الغورى كما أجملها ابن إياس :

يقول ابن إياس فى حوادث رمضان سنة ٩٢٢ : « فأما ما عد من محاسنه ؛ فإنه كان رضىّ الخلق يملك نفسه عند الغضب ، وليس له بادرة بحدة عند قوة خلقه . ومنها أنه كان له اعتقاد زايد فى الصالحين والفقراء . ومنها أنه كان يعرف مقادير الناس على قدر طبقاتهم . ومنها أنه كان ماسك اللسان عن السب للناس فى شدة غضبه . ومنها أنه كان يفهم الشعر ويحب سماع الآلات والغناء ، وله نظم على اللغة التركية . وكان مغرما بقراءة التواريخ والسير ودواوين الأشعار . وكان قريباً من الناس يحب المزاح والمجون فى مجلسه[1] ، غير كثيف الطبع فى ذاته . وكان عنده لين جانب ورياضة بخلاف طبع الأتراك ، ولم يكن عنده شمم ولا تكبر نفس » .

مساوئ الغورى :

كان الغورى فى حاجة إلى مال كثير ينفق منه على الجند ليسكن ثوراتهم المتكررة ، وليزوّد الجيوش التى يرسلها إلى أطراف المملكة وإلى الهند ، كما ينفق فى بناء الأساطيل . وكانت

(١) انظر بعض فكاهاته فى الكوكب الدرى ص ٦٦ ، ٧٥ ، ٨٦ .

التجارة قد كسدت بما أخاف الفرنجة سُبل البحار . وفى صفحات ابن إياس أمثلة من الحادثات التى أكسدت التجارة فى عهد الغَورى ؛ فى حوادث المحرم سنة ٩٢٠ :

« وكان فى تلك الايام ديوان المفرد وديوان الدولة وديوان الخاص فى غاية الانشحات والتعطيل . فإن بندر الإسكندرية خراب ولم تدخل إليه البضائع فى السنة الخالية ، و بندر جدة خراب بسبب تعبث الافرنج على التجار فى بحر الهند فلم تدخل المراكب بالبضائع إلى بندر جدة نحواً من ستة سنين . وكذلك جهة دمياط » .

ويقول فى حوادث ذى الحجة من السنة عينها ، أثناء الكلام فى سفر السلطان الغورى إلى الإسكندرية : « ولم يكن بثغر الإسكندرية يومئذ أحد من أعيان التجار لا من المسلمين ولا من الفرنج ، وكانت المدينة فى غاية الخراب بسبب ظلم النائب وجور القبّاض ؛ فإنهم صاروا يأخذوا من التجار العُشر عشرة أمثال . فامتنع تجار الفرنج والمغاربة من الدخول إلى الثغر ؛ فتلاشى أمر المدينة وآل أمرها إلى الخراب حتى قيل طلب الخبز بها فلم يوجد ولا الأكل ، ووجد بها بعض دكاكين مفتحة والبقية خراب لم تفتح » .

لهذا اشتدت حاجة السلطان إلى المال واشتد حرصه على جمعه وكثرت مصادراته ، وأسفّ فيها إلى درك لا يلائم همته وسيرته .

يقول ابن إياس فى حوادث جمادى الأولى سنة ٩١٦ :

« وفى هذا الشهر كثرت مصادرات السلطان للمباشرين ، حتى إنه صادر عرب اليسار الذين يسكنون تحت القلعة ، وقرر عليهم مال له صورة وقال لهم إنتو عملتو كيمان تراب تحت القلعة من عفشكم ما يشتال ولا بعشرة آلاف دينار ، وجعل ذلك حجة عليهم » .

وفى حوادث رمضان سنة ٩١٨ :

« وفيه كان ما وقع لرئيسة المغانى ، وهى امرأة يقال لها هيفة اللذيذة . وقد رافعها بعض أعدائها بأن لها دائرة كبيرة من المال ، ولها حلة للكرا . فلما سمع السلطان ذلك قبض عليها وأقامت فى الترسيم ، وعرضت للضرب غير ما مرة ، وقرر عليها خمسة آلاف دينار ؛ فباعت الحلى وجميع ما تملكه وأوردت ألف دينار . وقد تكلم لها القاضى بركات بن موسى بأنها لا تملك غير ذلك فقرر عليها بعد ذلك خمسمائة دينار ترد فى كل شهر مائة دينار على كل جامكية[1] . وقد طفّل السلطان نفسه

(١) الجامكية ما يرتب للجند وغيرهم من المال أو الطعام واللباس وأحسبه مأخوذاً من لفظ جامه بمعنى الجبة بالفارسية .

إلى مصادرة المغانى أيضاً والأمر لله » .

وكان المال وسيلة إلى المناصب حتى مناصب القضاء أحياناً .

فى حوادث ربيع الآخر سنة ٩١٠ :

« وفيه أخلع السلطان على شخص يقال له طراباى . وكان طراباى هذا ولى الأتابكية بحلب ، ثم حضر إلى مصر وسعى فى نيابة صفد بمال له صورة حتى تولاها » .

وفى ذى الحجة سنة ٩٠٦ :

وفى يوم الخميس ثامن ذى الحجة عزل قاضى القضاة زين الدين زكريا الشافعى عن القضاء ، وهذا كان آخر عزله وولايته ، وقد كف بصره عقب ذلك .

فلما عزل زكريا سعى محيي الدين بن عبد القادر بن النقيب فى عوده إلى القضاء . وقد أورد مال له صورة . فأخلع عليه ، وأعيد إلى القضاء » .

وأكثر مساوئ الغورى ترجع إلى كثرة نفقاته وقلة دخله واضطراره إلى أخذ الأموال بكل الوسائل .

وإذا رجعنا إلى ابن إياس نجد جلّ المساوئ التى ذكرها من هذا القبيل[1] . ولولا هذه الضرورات لبرئت سيرة هذا الرجل الهمام مما اقترف من هذه المصادرات .

---

(١) حوادث رمضان سنة ٩٢٢ .

مكانة الغوري من معارف عصره :

لم تكن المعارف منتشرة مزدهرة فى مصر فى عصر الغورى . وإذا نظرنا إلى الأبحاث والمجادلات التى كانت فى مجالس هذا السلطان ، عرفنا ضيق الأفكار وقلة المعارف ، والولع بسفاسف الأمور والقصور عن جلائلها .

ولكن ينبغى ألاّ نعدّ هذه المجالس مصورة معارف علماء مصر فى ذلك العهد ، فإن كبار العلماء كانوا يتورعون عن هذه المجالس . فقد عاش بمصر فى عصر الغورى علماء كبار مثل جلال الدين السيوطى ، والسخاوى ، والقسطلانى ، وزكريا الأنصارى ، ولم تذكر أسماؤهم فى هذه المجالس ؛ بل القضاة الأربعة الذين يذكرون كثيراً فى شؤون ذلك العصر ، ولهم بالدولة والسلطان صلة مستمرة ، قلّ أن يذكر أحدهم فى مجالس الغورى .

ويتبين من تاريخ الغورى ، ومن أقواله التى يتضمنها الكتابان : نفائس المجالس والكوكب الدرى ، ومما كتبه الشريفى مترجم الشاهنامة ، أن السلطان كان ذاحظ من العلوم الدينية : التوحيد والفقه والتفسير ، مشاركا فى علوم العربية : النحو والبلاغة وغيرها ، وأنه كان مولعاً بقراءة كتب التاريخ

والسير والقصص ، وأنه كان ذا ملكة يتفهم بها الأدب وتُزيّن له أن يشارك فى النظم أحياناً ، وأنه كان مولعاً بالموسيقى والغناء ، وكان له نظم وألحان يُتغنى بها ، وأنه كان يعرف لغات عدة .

وعناية السلطان بالعلم والأدب ومشاركته فيهما ، وولعه بمطالعة الكتب ، مهّدت السبيل لمبالغة المادحين ، وتخيل الشعراء . يقول الشريفى فى خاتمة الشاهنامة :

نه سوز آ كلسه علم ومعرفتدن
سن آنك عارفيسن هرجهتدن
دلك هر معرفتدن أولدى محظوظ
ضمير كدر صناسن لوح محفوظ

« ما تذكر كلمة من العلم والمعرفة إلا أنت محيط بها . وقد أوتى قلبك حظا من كل معرفة ، كأن ضميرك اللوح المحفوظ » .

ويقول :

نه فن أولسه سنُك أنده ألك وار
نه يردن سوز آجلسه مدخلك وار
نجه مشكل كه أورُلمز أ كا أل
سن إيدرسن أنى إدرا كله حل

أكر إنشا أكر شعر وغزل لدر
أكر علم وأكر بحث وجد لدر

كورز طابك أنده بحر زاخر
سزوكه خلق حيران أول آخر(١)

« لك يدٌ فى كل فن ، ولك مشاركة فى كل موضوع ، وكم مشكل لا تناله الأيدى حلته بإدراكك ، الإنشاء والشعر والغزل والعلم والبحث والجدل ، كل هذه نراها فيك بحراً زاخراً . لقد تحير الخلق فيك » .

وفى مقدمة الكتابين الآتيين ما يبين عن غلو المؤلفين فى مدح السلطان بالعلم وسعة المعرفة(٢) .

فأما مشاركته فى العلوم الدينية ، فدليلها فى صفحات الكتابين ، لا تخلو منه بضع صفحات متتابعة . ولست فى حاجة إلى التمثيل هنا ؛ فحسب القارئ أن يلقى نظرة على بعض الصفحات . وفى الشاهنامة مدح السلطان بمعرفة الفقه والتفسير وأنه يديم مطالعة التفاسير .

وأما مشاركته فى علوم العربية فتدل عليها بعض المجالس ،

---

(١) الشاهنامة ص ١١٦١ ، ٦٢ .

(٢) انظر كذلك الكوكب الدرى ص ٤٠٢ .

كالمجلس الثامن من كتاب النفائس[1] ، والسؤال الذى فى آخر صفحة ٦٣ من الكوكب الدرى .

وأما ولوعه بالتاريخ والسير والقصص ؛ فقد أخبرنا به ابن إياس[2] ، وقد أخبرنا به كذلك الشريفى مترجم الشاهنامة ، يقول :

تواريخ وحكايا تيله أخبار أقيتر صحبتنده جمله تكرار

« تقرأ فى صحبته دوماً التواريخ والحكايات والأخبار » .

ويقول فى سبب ترجمة الشاهنامة إن السلطان كان مولعاً بالقراءة وعنده خزانة فيها ضروب الكتب . وكان فيها نسخة من كتاب الشاهنامة ، فأمره بترجمتها إلى التركية الخ .

وفى الكتابين اللذين نُقدم لهما هذه المقدمة ما يصدق قول ابن إياس والشريفى . ومن أمثلة هذا ما فى صفحة ٦٦ ، ١٣٠ من كتاب النفائس . وفى الكوكب الدرى أن إسماعيل الصفوى أهدى إلى الغورى كتاب تاريخ التتار[3] .

وأما بصره بالشعر والغناء والموسيقى ، وقدرته على المشاركة فيها ؛ فقد أخبرنا بهما ابن إياس والشريفى مترجم الشاهنامة ،

---

(١) النفائس ص ٢٠ .
(٢) حوادث رمضان سنة ٩٢٢ ، وص ٢٣ السابقة .
(٣) الكوكب ، ص ٧٣ .

ودل عليهما ما أثر من نظم السلطان وموشحاته .

فأما ابن إياس ؛ فقد نقلنا آنفاً قوله ، وهو يعدِّد محاسن الغورى :

« ومنها أنه كان يفهم الشعر ويحب سماع الآلات والغناء ، وله نظم على اللغة التركية »[١] .

وأما الشريفى ، فقد قدمنا قوله فى معرفة السلطان الشعر والإنشاء[٢] ونزيد هنا قوله فى مقدمة الشاهنامة[٣] :

نه فن أو لرسه أند ندر خبير أول
هرايشده تكرى كسترمش آ كايول
بلر شــعر ومعمّى فنّنى خوب
غزل إنشا إدر دُركيبى مرغوب
نبيك مدحنى توحيــد بارى
دمِش كم كيدر إيشيدن قرارى

« ما كان من فن فهو خبير به ، قد هداه الله فى كل أمر طريقاً . يجيد فنّ الشعر والمعمّى ، وله غزل مرغوب كالدرّ .

وقد قال فى توحيد البارى ومدح النبي ما بلغ به الغاية » .

(١) ص ٣٣ السابقة .
(٢) ص ٤٠ السابقة .
(٣) الشاهنامه التركية ص ٩ .

وفى كتاب النفائس ذكر موشحين من موشحات السلطان [1] .

و بين أيدينا نماذج قليلة من نظمه ، وعسى أن يهدى البحث إلى منظومات أخرى ، وفيما يلى إجمال الكلام فيما لدينا من نظمه :

١ — موشح ملمَّع أثبته صاحب كتاب نفائس المجالس فى آخر الكتاب . وهو عشرة أبيات ، أوله :

يا إلٰهى بن كنه كار ؛ أنت غفَّار الذنوب .

عيبمى يوزيه أورمه ؛ أنت ستار العيوب .

قاموا إشلرسا كه معلوم ؛ أنت علاَّم الغيوب .

بن فقيره قِل عنايت ؛ إننى أرجو رضاك .

٢ — وقصيدتان وموشحان بالعربية وموشح تركى أثبتها الشيخ محمد راغب الطباخ فى كتابه تاريخ حلب ، من مجموعة من شعر الغورى عند بعض أدباء حلب .

القصيدة الأولى إثنان وعشرون بيتاً أولها :

بالملك أنعم ربنا الرحمن   وهو الكريم المنعم المنان

فله علينا الشكر حق واجب   يقضيه قلب مخلص ولسان

يذكر فى هذه القصيدة أمراء دولته وجنده ، ويدعو الله

---

(١) النفائس ص ٦٣ ، ٦٤ .

أن يؤلف قلوبهم ، ويجمعهم حوله .

والقصيدة الثانية ثلاثة وعشرون بيتاً ، أنشأها فى نصف شعبان ، وفيها حث على إحياء ليلة النصف ، ودعاء له ولجنده ورعيته . وأولها :

لله فى أيامنــــا نفحات   من دهرنا تزكو بها الأوقات
فيها ألا فتعرّضوا وتضرعوا   فيها ، تجاب لـكم بها الدعوات
هذى مواسمها لنا قد أقبلت   ودنا بموعدها لنـا ميقات

وأحد الموشحين العربيين من نغم الحسينى ، وهو عشر أبيات . وأوله :

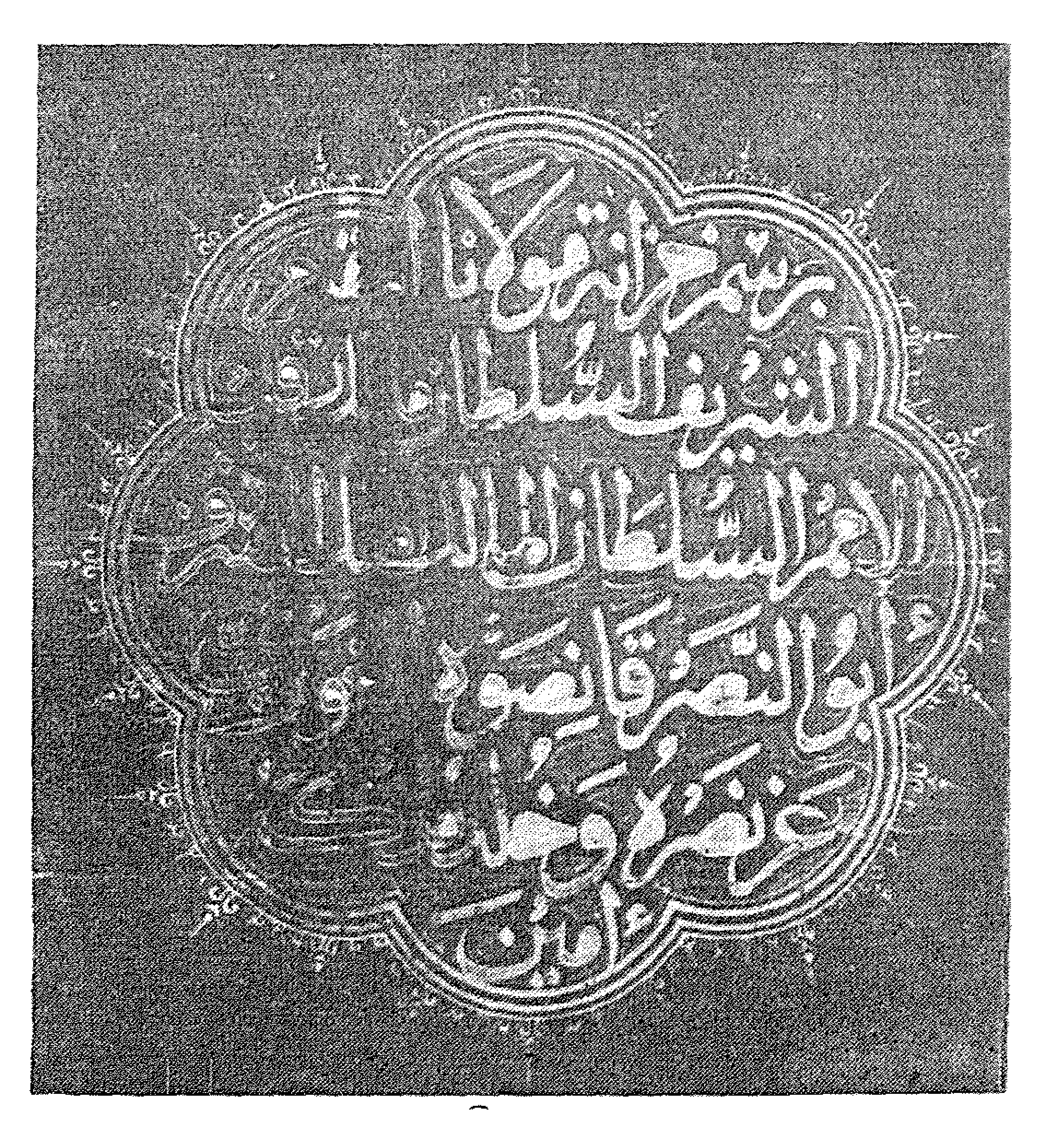
ربنـا أدم لنا نعما   جدت لى بها كرماً
فيضها حكى دِيَمـا   بالغمام منهــــلّه

والثانى كتب فوقه : « من نغمة المصرية علو محيَّر يهبط على عشاق العجم » .

وهو اثنا عشر بيتاً أولها

جل من لنا وهبا   ملك مصر واكتسبا
حيث سبّب السببا   فى قديم عـلم الله

والموشح الثانى ملمّع بين العربية والتركية ، وهو عشرة أبيات أولهـا :



صفحة العنوان من كتاب الشاهنامة التركية

كز لرم يا شـينه رحم إيت يا رحيم
سائلى ردّ ايلمز هركز كريم
رب هب لى من لدنك رحمـة
تب علينـا أنت تواب رحيم
حق جمالن اسـترز ، جنت ندر ؟
كورُنُر جنت بزه أنسز جحيم الخ

وأما معرفة اللغات فالعربية والتركية لا تحتاجان إلى بيان . وقد ذكر الشريفى فى الشاهنامه معرفته الفارسية . وروى مؤلف النفائس أن السلطان قال فى أحد المجالس أنه يعرف كثيرا من الألسن ، وعدّ سبع لغات[١] .

الغورى والشاهنامة :

قدم إلى مصر أحد شعراء التركية فى أواخر القرن التاسع الهجرى وأوائل العاشر ، وهو رجل عربىّ الأصل شريف النسب اسمه حسين بن حسن بن محمد الحسينى الآمدى ، ولعله فرّ إليها ، إذ كان من المقربين إلى الأمير جم ابن السلطان الفاتح . وبقى فى مصر حتى توفى سـنة ٩٢٠ . ولا ندرى متى قدم إلى مصر ، ولـكنا نعرف أنه اتصل بالسلطان أول سـنة

(١) نفائس المجالس ص ١٣٢ .

من ملكه ، فأمره بترجمة كتاب الشاهنامة إلى اللغة التركية ، فامتثل أمره ، وأتمه فى عشر سنين ، آخرها سنة ست عشرة وتسعمائة .

وقد نظم الشاعر فى مقدمة الشاهنامة فصلا بيَّن فيه أن السلطان كان مولعاً بقراءة التاريخ والقصص ، وكان فى خزانته كتاب الشاهنامة فأمره بترجمته إلى التركية ، مع أن السلطان يعرف الفارسية .

ولا ريب أن السلطان أراد أن يقرن اسمه بهذا الكتاب الخالد ، كما اقترن به اسم السلطان محمود الغزنوى ، الذى قدم إليه الأصل الفارسى ، وكما اقترن به اسم الملك المعظم الأيوبى الذى أمر بترجمته إلى العربية .

فى مقدمة الكتاب وخاتمته نحو ألف بيت . يبدأ المؤلف بالتحميد ومدح الرسول والخلفاء ، على سنّة شعراء الفرس والترك ، ثم يذكر سيرة مماليك مصر منذ سنة ٩٧٠ هـ ؛ يذكر قايتباى والملوك الذين خلفوه فى فترة الاضطراب التى بينه وبين الغورى ، ثم يفيض فى مدح السلطان ، ثم يبيّن سبب نظم الكتاب ، ثم يشرع فى ترجمة الشاهنامة . وفى الخاتمة يمدح السلطان ويبين أنه نظم الكتاب باسمه وأتمه فى دولته ، ويتكلم

عن أخلاق السلطان وسياسته وشغفه بالعلم والأدب ، ومعرفته لغات كثيرة ، ومشاركته فى الإنشاء والشعر ، ونظمه فى توحيد الله ومدح الرسول ، وإلمامه بالموسيقى ، ونظمه موشحاً للغناء ، وولعه بقراءة التواريخ الخ ... ثم يصف مجلس السلطان واجتماع العلماء فيه لمذاكرة العلم ، ويذكر المغنين والموسيقيين الذين يطربون السلطان فى مجالسه .

ثم ينتقل إلى وصف عمارات السلطان وصفاً مفصلاً ، فيعدد تسعاً منها .

والخلاصة أن فى مقدمة الكتاب وخاتمته ما يكشف عن بعض تاريخ الغورى ، ولا سيما الجانب الأدبى منه ، ويبين طرفاً من تاريخ مصر ، بعد حساب المبالغات الشعرية .

مجالس السلطان الغورى :

يقول الشريفى ، ناظم الشاهنامة باللغة التركية ، فى مقدمة الكتاب :

شها خوش مجلسك وار جنت آرا
أو مجلسده قمونسنه مهيّا
حقيقتده علومك منبعى دُر
دكل شك أول أفاضل مجمعى در

أو مجلسده أولر مشكللر آسان
نه مجلس كم أودر باغ وكلستان
أقينر أنده هر دلجه عبارت
أولر قانونله رمز وإشارت ...

« ما أجمل مجلسك أيها السلطان ، إنه يشبه الجنة ، كل شيء مهيَّأ فى هذا المجلس ، إنه فى الحقيقة منبع العلوم ، ومجمع الأفاضل بلا ريب . مجلس تُيسر فيه المشاكل . أى مجلس هذا ؟ إنه حديقة و بستان . تقال فيها العبارات بكل اللغات . وتسير على قانونه الرموز والإشارات » .

كان للسلطان مجالس تجمع العلماء والكبراء ، وتطرح فيها للبحث مسائل شتى .

وقد سجلت كثيراً من مسائل هذه المجالس فى كتابين يصوّران تصويراً حسناً كثيراً من أحوال مصر فى عهد السلطان الغورى :

١ — كتاب نفائس المجالس السلطانية ، فى حقائق الأسرار القرآنية : ألّفه حسين بن محمد الحسينى ، وهو شريف كما يؤخذ من اسمه ومن عبارات فى ثنايا الكتاب ، ويظهر أنه ساح فى إيران والبلاد الشرقية . وهو يعرف التركية فقد

نظم بيتين بالتركية فى رثاء ابن السلطان الغورى ، وروى من شعر حسين بيقرا [١] . وفد على مصر فأقام عشرة أشهر شهد فيها مجالس السلطان الغورى ، وجمع فى كتابه هذا بعض المباحث التى كان السلطان والعلماء يتكلمون فيها .

والعجمة ظاهرة فى كتابته حتى اسم الكتاب ؛ فقد سماه « نفايس مجالس السلطانية فى حقائق أسرار القرآنية » ، فحذف اللام من المجالس والأسرار .

والنسخة التى بأيدينا هى النسخة التى كتبت للسلطان وأهديت إليه .

وقد جعل المؤلف كتابه فى مقدمة وعشر روضات . والمقدمة قصيرة تتضمن كلام بعض السلاطين ومنهم الغورى . والروضات العشر يذكر فى كل واحدة منها مجالس السلطان فى شهر . وكانت المجالس تجتمع فى كل أسبوع مرة أو اثنتين أو ثلاثاً .

وأولها مجالس رمضان سنة عشر وتسعمائة . وأول مجلس منها يوم الخميس الثالث والعشرين من الشهر ، وآخرها مجالس رجب . فهى عشر روضات فى أحد عشر شهراً ؛ لأن السلطان لم يجلس فى شهر ذى القعدة لوفاة ولده محمد .

---

(١) النفائس ص ٢١ ، ١٣٤ .

والمؤلف يصف كل مجلس وتاريخه ومدته ، ويذكر الإمام الذى يحضر المجلس وكبار الحاضرين ، ثم يذكر المسائل التى طرحت للبحث فى المجلس .

يبدأ السلطان أكثر الأحيان بسؤال يجيب عنه أحد الحاضرين فيرتضى السلطان جوابه أو يناقشه ، وأحياناً يبدأ أحد الحاضرين الكلام . وأكثر المسائل دينية وبعضها تاريخية ومنها ألغاز فى موضوعات شتى ، وقصص عن الملوك وغيرهم .

وأحياناً يصف محافل السلطان . يصف ، مثلا ، إحياء السلطان المولد النبوى ، ويذكر طوائف الناس الذين اجتمعوا ، وما فعلوا فى هذا المحفل ، ويبين كيف جلس السلطان ليلا وكيف يتقدم إليه كبار الدولة وينشد كل منهم شعراً فى مدحه وكيف يقابلهم السلطان . وقد ذكر أن الخليفة يعقوب المستمسك بالله خليفة مصر تقدم « وباس الأرض كفرض العين وعين الفرض » ، وأنشده :

إن الخلافة ثوب قد خصصت به
إذا لبست فلم يفضل ولم يعزِ
ما أودع الله فى أحداقنا بصراً
إلا لنفرق بين الدر والخرزِ[١]»

(١) النفائس ، مجالس ربيع الأول .

وكذلك يمر القارئ بمسائل ذات خطر فى التاريخ والسياسة إذ ذاك كقول السلطان : « الجركس من الغساسنة فهم عرب » وكالبحث فى شروط الإمامة فى مجلس السلطان وقول مؤلف الكتاب : فإن لم يوجد من يستوفى الشروط من ولد إسماعيل جاز أن يُوَلى واحد من العجم أو من ولد إسحاق ، وقوله بعد هذا : الحمد لله والمنة ، والجركس من ولد إسحاق . وجميع هذا الشرائط موجودة فى السلطان الأعظم[1] .

بل نجد فى الكتاب بحثاً صريحاً فى نيابة الغورى عن الخليفة العباسى ، وهل هذه النيابة لازمة لصحة أحكامه فى الأمور الشرعية ، ويشتد الخلاف بين المؤلف وأحد العلماء فى هذه المسألة ، فيحقر المؤلف الخليفة ويعظم السلطان ، ثم يذهب يستفتى العلماء ويأخذ خطوطهم بأن نيابة السلطان عن الخليفة غير لازمة[2] .

ويرى القارئ أحياناً اهتمام السلطان بتعليم المماليك وإحضارهم من حين إلى آخر إلى مجلسه ، ليقرءوا أمامه ويمتحنهم[3] .

---

(١) النفائس ص ١٠٨ .

(٢) النفائس ص ١٠٠ فما بعدها .

(٣) النفائس ص ٦٦ ، ١٣٠ .

هكذا يجد القارئ في الكتاب مسائل مهمة لا يظفر بها في كتب التاريخ ، ويرى صوراً من آراء السلطان وعلماء عصره ، ويتبين مقدار اطلاعهم ومدى تفكيرهم .

٢ — والكتاب الثاني اسمه الكوكب الدرى فى مسائل الغورى ، وهو يحتوى على ألفى مسألة وأجوبتها من المسائل التى وقع البحث فيها فى مجالس السلطان الغورى أيضاً . ولدينا الجزء الأول من الكتاب وفيه ألف مسألة فى ٣٣٨ صفحة . والنسخة مكتوبة فى عهد الغورى . ويظهر أنها نسخة المؤلف . وعليها خطوط ثلاثة من علماء وقته المعروفين يشهدون بأنهم اطلعوا على الكتاب منهم عبد البر ابن الشحنة قاضى قضاة الحنفية . وبعض هذه الخطوط مؤرخ بالسنة التى تم فيها كتابة هذا الجزء .

ويقول المؤلف فى آخر الكتاب : «وكان الفراغ منه فى مستهل شهر ربيع الآخر سنة تسع عشر وتسعمائة» .

وفى مقدمة هذا الكتاب شبه بمقدمة الكتاب الأول ، وبعض عباراتهما واحدة ، وبين تاريخهما زهاء عشر سنين .

وفى الكتابين مسائل مشتركة مثل سؤال نكاح الشبهة ، والإكراه على سب النبى[1] .

---

(١) الكوكب الدرى ص ٥٢ ، ٨٣ .

وهذا الكتاب ليس مقسما على المجالس كالكتاب السابق ، بل المسائل فيه متتابعة بغير فصل . والمطلع على الكتاب يرى صوراً من أفكار علماء مصر وأمرائها فى ذلك العصر ؛ يرى إلى المسائل الدينية ، وهى معظم الكتاب ، مسائل تاريخية ، وجغرافية . ويرى انتقال الحديث من تفسير آية أو حديث إلى السؤال عمن بنى الأهرام ، أو عن زرقة السماء[١] ، أو السؤال عن كيومرث أول ملوك الشاهنامة أكان قبل نوح أو بعده[٢] ، أو عن شهر المحرم لماذا جعل أول التاريخ الهجرى ، أو هل الأرض أفضل أم السماء . ويجد القارئ فى الحين بعد الحين فكاهة من السلطان أو نادرة ، ويعرض فى المجالس ذكر الملوك المعاصرين والأمراء الذين وفدوا على السلطان كأبناء بايزيد وسليم . ويرى بعض الأسئلة الدينية التى سألها هؤلاء الأمراء وجواب السلطان أو بعض علمائه .

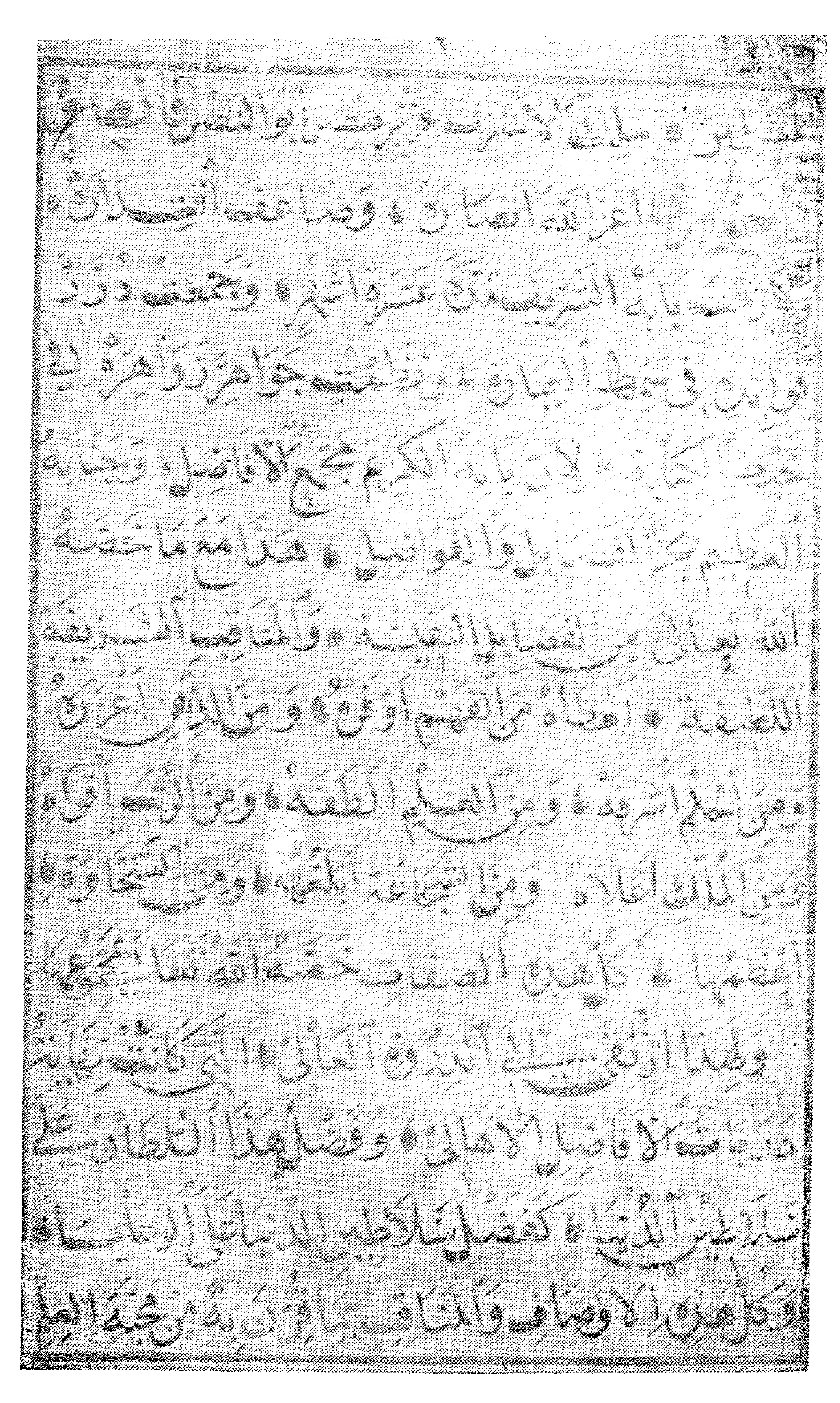
لا ريب أن هذا الكتاب ، على تفاهة معظم المسائل التى يدور عليها البحث ، يصور بعض النواحى الفكرية والاجتماعية فى مصر والعالم الإسلامى فى ذلك العصر .

---

(١) الكوكب الدرى ص ٥٤ ، ٨٨ .
(٢) الكوكب الدرى ص ٩٠ .



الصفحة الأولى من كتاب نفائس المجالس



الصفحة الثانية من كتاب نفائس المجالس

كتاب نفائس مجالس السلطانية

فى

حقائق أسرار القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

اغفر ذنوبنا يا سلطان السلاطين ، واستر عيوبنا يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، نرجو رحمتك يا أرحم الراحمين ، ونخشى عذابك يا أحكم الحاكمين ، توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

والصلاة والتسليم على شفيع المذنبين ، وسلطان الأنبياء والمرسلين ، الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد . فإنى لما تشرفت فى خدمة أشرف الملوك وأعظم السلاطين ، ظل الله فى الأرضين ، ناظر أربع حرم رب العالمين ، سلطان العرب والعجم ، صاحب البند والعلم ، حافظ بلاد الله ، ناصر عباد الله ، أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين . ملك الأشرف

عزيز مصر ، أبو النصر ، قانصوه الغورى ، أعز الله أنصاره ، وضاعف اقتداره . ولازمت بابه الشريف ، مدة عشرة أشهر ، جمعت درر فوائده فى سمط العبارة ، ونظمت جواهر زواهره فى خيط الكتابة . لأن بابه الكريم مجمع الأفاضل ، وجنابه العظيم بحر الفضائل والفواضل ، هذا مع ما خصه الله تعالى من الفضائل النفيسة ، والمناقب الشريفة اللطيفة . أعطاه من الفهم أوفره ، ومن الذهن أغزره ، ومن الحلم أشرفه ، ومن العلم ألطفه ، ومن الرتب أقواها ، ومن الملك أعلاه ، ومن الشجاعة أبلغها ، ومن السخاوة أعظمها . كل هذه الصفات خصه الله تعالى بمجموعها ، ولهذا ارتقى إلى الذروة (العالى ، التى كانت نهاية درجات الأفاضل الأهالى) ، وفضل هذا السلطان على سلاطين الدنيا ، كفضل سلاطين الدنيا على الرعايا .

وكل هذه الأوصاف والمناقب بما قُرن به من محبة العلم والعلماء ، والتفتيش عما وضعته الحكماء فى كل نوع من العلوم ، لو يقول البشر فى وصف هذا المظهر(١) ، أنه هو سلطان العلماء والمحققين ما هو كذب فى حقه ، أو يقول فى مدحه أنه هو سلطان العارفين ما هو عيب فى وصفه . قال أنو شروان : إذا أراد الله بأمة خيراً ، جعل العلم فى ملوكها ، والملك فى علمائها ، وسميته :

---

(١) يعنى أنه مظهر من مظاهر الله فى خلقه .

بنفائس المجالس السلطانية ، فى حقائق الأسرار القرآنية .

وهو مشتمل على مقـدمة وعشر روضات ، فينبغى لفوائد المجالس السلطانية ، وفرائد نفائس النكات القرآنية ، أن تكتب بالتبر ، لا بالحبر . لأنها مشتملة على أسرار الآيات ، ومتضمنة الحكايات ، ومندرج فيها الآثار النبوية ، ومذكور فيها أسرار العربية .

المقدمة فى كلام السـلاطين

ذوى الاقتدار فى فضل العلم

سئل إسكندر أى رجل يصلح أن يكون ملكا ؟

قال : إما حكيم ملك الحكمة . أو ملك طالب الحكمة .

قال فغفور الصين : الجهل مصيبة لا يؤجر عليها صاحبها .

قال قيصر الروم : كل قبيح فى الدنيا الجهل به أقبح منه .

قال فُور الهند : قرائن الأحوال تدل على حقيقة الحال .

قال كيخسرو : حسن الذكر ثمرة العمر .

قال بهرام كور : إنا نجمع الرجال ، لا الأموال . وندخر الذكر ، لا الوفر . ونذاكر العلوم ، لا الرسوم .

قال بطليموس الملك : العقول مواهب ، والعلوم مكاسب .

قال أردشير بابكان الملك : العلم عمود الدين ، والدين أس الملك ، والملك حارس الدين . فما لا أساس له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع .

قال مَنوچهِر الملك : علم الرفق مصباح النجاح .

قال كسرى قُباذ : ينبغى أن يكون الملك صاحب العلم والفراسة كالأسد حوله الفرائس ، لا كالفريسة حوله الأسْد .

قال خان ملك الترك : إضمار الغضب على من هو فوقك مهلك .

قال يزدَجِرد شَهرِيار الملك : أطع من هو فوقك يطعك من هو دونك .

قال محمود الغزنوى : العلم طبيب الدين والمال دواؤه .

ونختم هذا بقول خاتم السلاطين ، أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ، الملك الأشرف قانصوه الغورى عز نصره :

ما فى الدنيا أحسن من الأدب ، لأنه يزين الأغنياء ، ويستر فقر الفقراء .

وقال أيضاً : إذا اتفق جماعة على شىء وإن كان كذباً فلا تخالفوهم .

وقال أيضاً : لو كان الاجتماع بأبى حنيفة ممكناً لسألت عن حكمة كراهية قراءة المأموم خلف الإمام .

ولو كان الاجتماع بالشافعى ممكناً لسألتــه عن حكمة جواز الوضوء من قلتين مع أنه يتغير بأدنى تغير . لو أنت تبعت فى هذه المسألة مذهب أبى حنيفة لكان أحسن .

الروضة الأولى فى مجالس رمضان

المجلس الأول

طلعت يوم الخميس ثالث عشرين رمضان المبارك فى تاريخ ستة عشر وتسعمائة . وكان فى خدمته ناصح الملوك والسلاطين ، الشيخ حسين جلبى . وكان الإمام فى تلك الليلة الشيخ شمس الدين السمديسى ؛ وقعدوا فى الأشرفية ستين درجة ، ووقع فى تلك الليلة أسئلة :

السؤال الأول :

قال حضرة مولانا السلطان : الصلاة من الله تعالى رحمة ، ومن المؤمنين الدعاء . فمعنى اللهم صل على محمد أى ارحم محمدا ، فكيف يجوز لنا أن نسأل له الرحمة مع أنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ؟ لا بد أن تكون مرتبة السائل أعظم من للسئول له ؟

عجزوا عن الجواب . ثم قرأنا الفاتحة .

قال حضرة مولانا السلطان : إنا نسأل الدعاء فى الحقيقة لأجل أنفسنا ، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم ما هو محتاج إلى صلاتنا عليه ، والمقصود من صلاتنا عليه طلب زيادة قدر النبي صلى الله عليه وسلم ، وطلب زيادة قدر النبي صلى الله عليه وسلم مستلزم لزيادة قدر أمته ، كما ورد الأحاديث فى فضيلة الصلاة عليه .

قال الشيخ برهان الدين بن أبى شريف ، والشيخ جلال الدين السيوطى : هذا الجواب فى غاية الحسن .

السؤال الثانى :

قلت : ما السر فى أن الدعاء فى جميع الشرائع لا يقبل إلا بالصلاة على نبينا ، وفى الشرائع الأخر إجابة الدعاء ما هو موقوف على الصلاة على أنبيائهم ، بل بمجرد الصلاة على نبينا يقبل دعاؤهم ، كآدم عليه السلام ما استُجيبت توبته إلا بعد الصلاة على محمد ، وكذلك يوسف عليه السلام ما تخلص من السجن إلا بعد الصلاة على نبينا ؟

قال حضرة مولانا السلطان : الواجب على الداعى أن يتوسل بأعظم شفيع ، لا شك أن أعظم شفيع عند الله محمد عليه السلام .

السؤال الثالث :

قال مولانا السلطان : أى رجل صلى ركعتين بلا سهو فما لم يسجد سبع سجدات لا تصح صلاته ؟

وقال : أمهلتك ثلاثة أيام . ثم بعد ثلاثة أيام بُسْتُ الأرض وقلت :

رجل دخل مع الإمام فى الركعة الثانيــة ، فقد أدركه فى السجدتين ، فلمــا قعد الإمام قدر التشهد قبل أن يسلم أحدث وتأخر وقدم هذا المسبوق ليسلم ، ثم أخبره الإمام أنه ترك سجدة فإنه يجب عليه أن يأتى بها و يشير إلى القوم ليسلموا ، ثم يصلى ركعتين بأر بع سجدات .

السؤال الرابع :

قال الله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) . لأى حكمة ما قال : وأطيعوا أولى الأمر منكم ؟ ؟

قال مولانا السلطان : حتى يفهم منه أن أمر أولى الأمر ما هو مخالف لأمر الله وأمر الرسول . بل لا بد أن يكون موافقاً للشرع الشريف والـكتاب والسنة .

لطيفة :

ذكر مولانا السلطان على الطارى أنه قيل :

ركب خواجة محمود الكاوان فى الهند مع الوزراء فلما وصلوا إلى زريبة البقر وهى فى الصياح قالوا له : يا خواجة ، ما يقول البقر ؟

فقال : هى تقول لى : اخرج من بين الحمير وتعال عندنا .

المناسب لهذا المجلس .

حكاية :

قيل : قصد السلطان محمود الغزنوى رحمه الله زيارة واحد من الأولياء وسافر مسيرة شهر فلما وصل إلى بلاد الشيخ بعث قاصداً إلى الشيخ وقال قل له : إنا جئنا بطول مسافة شهر لقصد زيارتكم ووصلنا إلى باب مدينتكم فالواجب عليكم أن تخرجوا إلى باب المدينة حتى يزوركم السلطان ؟ قال الشيخ مالنا حاجة بزيارة السلطان . ثم بعث السلطان ثانياً فقال : قولوا له أما قرأت قوله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) ؟

قال الشيخ : إطاعة أولى الأمر واجبة إذا كانت موافقة للكتاب والسنة . والله تعالى ما أمرنا فى كتابه بزيارة السلطان .

فأعجبه منه هذا الجواب فركب إلى زيارة الشيخ .

نختم هذا المجلس بظرافة :

قيل : إن أعرابيا كان يأكل فى شهر رمضان الفاكهة بالنهار . قيل له : ما هذا ؟ فقال الأعرابى : رأيت فى كتاب الله (كلوا من ثمره إذا أثمر) ، وأنا خفت أن أموت قبل الإفطار فأكون عاصياً .

المجلس الثانى

طلعت ليلة الأربعاء سابع عشرين رمضان المبارك ، والإمام كان الشيخ شمس الدين السمديسى ، وقعدوا فى تلك الليلة ستين درجة فى الأشرفية فوقع فى تلك الليلة أسئلة :

السؤال الأول :

قلت : أى شىء فعله حرام وتركه حرام ؟

الجواب : قال مولانا السلطان : صلاة السكران

السؤال الثانى :

سأل مولانا السلطان : أى صائم إذا أفطر فصلاته صحيحة وإن تم صائماً بطلت صلاته ؟

الجواب : هذا رجل اغتسل فى ليل رمضان بدون المضمضة والاستنشاق ، فإذا شرب الماء وصل الماء إلى حلقه نخرج من الجنابة .

السؤال الثالث :

قال مولانا السلطان : أى جنب يطهر من الجنابة بوزن درهم من الماء ؟

الجواب : قلت : إذا اغتسل جميع بدنه فلصق فى بدنه قطعة من الشمع ، فما لم يغسل هذا الموضع لم يخرج من الجنابة . ويكفى فى غسل هذا الموضع قدر الدرهم من الماء .

السؤال الرابع :

قال مولانا السلطان : رجل صلى صلاة الظهر — مثلا — بالوضوء الكامل ، وما أحدث شيئاً وما وصل إليه نجاسة جديدة فركعتان منها صحيحتان وركعتان منها فاسدتان .

الجواب : قلت : رجل أصاب ثوبه دهن نجس أقل من الدرهم ثم انبسط بعد الركعتين الأوليين .

السؤال الخامس :

سأل مولانا السلطان : إذا ابتلع الصائم أشرفيا من الذهب هل هذا مبطل لصومه أم لا ؟

الجواب : قلت : عند الشافعي يبطل مطلقاً . وعند أبى حنيفة لا يبطل . وعند مالك فيه قولان .

السؤال السادس :

أى رجل إذا دخل فى مسجد فبدخوله يقع طلاق الإمام ويجب حلق ذقن المأموم ويجب هدم المسجد ؟ ؟

الجواب . قلت : هذا الرجل كان مسافراً ، وجاءت هذه الجماعة الذين هم مأمومون وقت دخوله ، وشهدوا بالزور بموته ، وأخذ الإمام امرأته وعمل بيته مسجداً .

السؤال السابع :

قال مولانا السلطان : امرأة رأت رجلا فقالت : هـذا ابنى وأخى وزوجى وعبدى ؟ ؟

عجز أهل المجلس عن جواب هذه المسألة .

ثم قال مولانا السلطان : أمهلتك ثلاثة أيام ، رح فهات

الجواب . وقال مولانا السلطان : ما يعرف جواب هذه المسألة إلا القاضى شهاب الدين بن الفرفور .

قلت : أروح عنده وأسأل وأجيب الجواب .

ثم بعث مولانا السلطان قاصدا إلى ابن الفرفور ، وقال : إن الشريف يأتى إليك لجواب المسألة . لا تذكر له الجواب .

فلما رحنا عند القاضى رحمه الله قال ما نقول جواب مسألة السلطان إلا بأمر مولانا السلطان .

ثم درت فى المدينــة ثلاثة أيام وسألت جميع الفقهاء والفضلاء ، ما قال لى أحد جوابها .

ثم بعد ثلاثة أيام طلب منى مولانا السلطان جواب المسألة ، قمت و بست الأرض وقلت : مولانا السلطان أعلم بها من جميع العلماء ، ثم قرأنا الفاتحة .

الجواب : قال مولانا السلطان إنه وقع نكاح الشبهة بين الأب والبنت فولد منهما ولد ، ثم تزوج هذا الولد أمه أيضاً بالشبهة ، ثم أسلمت الأم واشترت ابنه .

السؤال الثامن :

قال مولانا السلطان : لأى حكمة سموا الإمام الشافعى بالشافعى ؟

قلت : هذا السؤال بعينه سأله السلطان شاه رخ فى العجم .

الجواب : قيل ماتت امرأة وهى حبلى ، فأمر الإمام مالك بدفنها ؛ فلما خرجوا من عند الإمام مالك لقوا الإمام الشافعى ، وكان فى ذلك الزمان شابا يقرأ على الإمام مالك . قال الشافعى : ادفنوها ولكن اعملوا على لحدها قصباً مجوّفا وانتظروا ثلاثة أيام .

فلما عملوا بقول الشافعى ولدت الميتة فى اليوم الثانى ، فأخرجوا الولد من القبر . فلما كبر وقرأ القرآن دخل هذا الصبى يوما عند الإمام مالك ، فأعجب الإمام قراءته . فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا الذى أمرت بدفنى مع أمى . فقال الإمام : كيف جرى ؟ فقالوا : دلنا محمد بن إدريس على هذا ، فقال الإمام : هو الشافعى .

السؤال التاسع :

قال مولانا السلطان : هذا الجواب مردود ، لأنه على هذا التقدير لا بد ألاّ تدفن الميتة الحبلى الآن عند مالك . ومع هذا المسألة عندهم على خلاف هذا الجواب ، بل الحق أن الشافعى اسم لجده ، كما أن (الحنبل أيضا اسم لجده ومنسوب إليه) .

السؤال العاشر :

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) . إنا صلينا — مثلا — ركعتين فيجازينا فى القيامة بعشرين ركعة . ولا شك أنا محتاجون فى القيامة إلى الجنة والرحمة ، لا إلى الصلاة

قال مولانا السلطان : المراد عشرة أمثال التى كتبتها الملائكة فى الجزاء ، أو نقول باعتبار رجاء العبد يعنى التى هم يرجون من الله فلهم عشر أمثالها .

السؤال الحادى عشر :

لأى حكمة قال : (عشر أمثالها) وما قال : عشرة مثلها ؟

الجواب : حتى لا يتوهم أن الجزاء منحصر[1] بعشرة فقط ، بل يمكن أن يزيد إلى سبعمائة .

فائدة :

قال مولانا السلطان : ما فات منى إحياء ليلة القدر من حين أدركت و بلغت .

ورأوا فى بلاد چركس فى ليلة القدر لا يجرى المـاء ، ولا يتحرك الهواء .

المناسب بهذا المجلس .

حكاية :

قيل : جاء سائل إلى باب رابعة العدوية ، وكان عندها رغيفان ، فأعطتهما السائل .

ثم بعد هذا جاء واحد فدق الباب وجاب عشرين رغيفاً ، وسرقت جاريتها من الباب رغيفين وجابت قدام الست ثمانية عشر رغيفاً ؛ فلما رأت رابعة هذا قالت : رغيفين آخرين فى أين ؟ قالت الجارية : أى رغيفين . قالت رابعة : قال الله تعالى فى كتابه الكريم : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وأنا تصدقت برغيفين . فجزاء ذلك إنما يكون عشرين .

فلما سمعت الجارية هـذه المقالة من رابعة باست رجلها وأخرجت الرغيفين اللذين سرقتهما فى الأول .

ونختم هذا المجلس بقول إسكندر :

قال : ينبغى للملك إطاعة الله تعالى ، لأن سعادة الرعية فى طاعة الملوك ، وسعادة الملوك فى طاعة الله .

من المجلس الثالث

طلعت ليلة الجمعة فى سلخ رمضان المبارك ، والإمام كان الشيخ محب الدين المكى ، وقعدوا فى البيسرية أربعين درجة ، وجاء الشيخ ابن أم أبى الحسن مع كتابين ، واحد منهما (سيرة الملك الظاهر بيبرس ودخوله إلى الفرنج) ، والكتاب الثانى (أحاديث فى فضل المسلم) ، ويريد أن يقرأ جميع ما فى الكتابين ، مع أنه لا يمكن قراءتهما فى شهر كامل .

قلت : ما مناسبة قراءة هذين الكتابين فى تلك الليلة ؟ أما (سيرة الملك الظاهر) فلأنه لو كان الملك الظاهر حيا يتمنى أن يسمع سيرة مجلس مولانا السلطان .

وأما مناسبة الكتاب الثانى فى ليلة العيد فبعيد ، بل المناسب فى هذه الليلة الشريفة ذكر فضل رمضان وأدائه ، وفضل العيد وصلاته .

ووقع فى ذلك المجلس مسائل :

السؤال الثانى :

شخص رأى هلال العيد ، وما رآه غيره ، هل هذا الشخص يفطر أو يصوم ؟

قال مولانا السلطان : لا ينوى الصوم ولا يأكل الطعام أيضاً موافقة للمسلمين .

السؤال الرابع :

قال سلطان شروان : معنى العيد فى اللغة هو السرور فسرور المسلمين لأجل رواح رمضان الذى كل يوم يغفر فيه ذنوبهم وتُستر عيوبهم ، وأبواب جهنم مقفولة ، وأبواب الجنة مفتوحة . فالقياس أن لا يفرح المؤمن برواح مثل هذا اليوم ؟

الجواب :

قال مولانا السلطان : فرح المؤمنين لأجل أنهم أدوا هذه الفريضة أداء كاملا ووصلوا إلى درجة الصائمين الكاملين لا بواسطة رواح رمضان .

السؤال السابع :

بعض البلاد نهارها ستة أشهر وليلها ستة . فكيف يصوم المسلم فى ذلك البلد ؟

قال مولانا السلطان : الواجب عليهم أن يقيسوا بالمنكاب بقياس ليل مكة ونهارها ، ويصوموا ويصلوا الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، قياساً على مسألة يوم خروج الدجال .

جوهرة :

جاء خبر موت النشيلى فى تلك الساعة . وقرأ مولانا السلطان لأجل روحه ثلاث مرات سورة الفاتحة وقال : ألله تعالى يرحمه . ما تكلم أبداً عندى فى شر أحد غير أنه قال فلان يُحبك ، وفلان يُبغضك .

الروضة الثامنة فى مجالس شوال

من المجالس الأول

السؤال الخامس :

رجل مكره على سبّ النبىّ فالأولى له أن يرتدّ باللسان أو يصبر على الضرب حتى يموت ؟

الجواب :

قال مولانا السلطان : الأولى الصبر . لأن الإقرار شرط الإيمان أو شَطْره . فإذا انتفى الشرط انتفى المشروط .

وقال حضرة مولانا السلطان : لو وقعت أنا ، والعياذ بالله ، مجبوراً مكرهاً على سب النبى نختار الموت وما نسبّ النبى .

قيل : عليه قال الله تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)

ظاهر الآية يدل على أن المختار السبّ ؟

قلت : المراد من الآية الكريمة الرخصة فى الجملة لا أن السب واجب عليه . بل الأولى ترك السب والصبر على الضرب كما ذكره النووى فى الروضة .

فى آخر المجلس السادس

وفى يوم الجمعة واحد وعشرين من شهر شوال انتقل قطب فلك الإرشاد ، وخلاصة العُبّاد والزُّهّاد ، شيخ الإسلام حسين جلبي من عالم الفناء إلى عالم البقاء . وفى ذلك اليوم الشريف حسين أيضاً وصل إلى رحمة الله .

من المجلس السابع

جوهرة :

وفى آخر المجلس طلب مولانا السلطان الشيخ عبد الرزاق الإمام وقال : والعجب أن العلماء والصلحاء ، ما عملوا الدعاء لدفع الطعن والوباء . قال الإمام : الوباء رحمة من الله تعالى ويحصل بسببها لهذه الأمة درجة الشهادة .

قال مولانا السلطان : لا شك أن المطر أيضاً رحمة من الله

تعالى ، فإذا جاوز حدّ الاعتدال ففى الشرع رخصـة الدعاء فى تلك الحالة .

من المجلس الثامن

السؤال الرابع :

الفصحاء يذكرون الكلام بلا مؤكد ، و إذا أنكر المخاطب يؤكدون بأنّ ، ثم باللام . فما حكمة التأكيدات الثلاث أوّلا فى قوله تعالى : (إنّا إليكم لمرسلون) ؟ .

الجواب :

قال مولانا السلطان : قاعدة علم البيان أن أداة التأكيد على قدر إنكار المخاطب ، فالله يعلم ما تكنّ صدورهم فذكره بحسب إنكارهم .

المجلس التاسع

طلعت يوم السبت سلخ شوال . وما خرج حضرة مولانا السلطان فى تلك الليلة بسبب ضعف ابنه ، وأمر أن يختم له الحُفّاظ . وفرّق على كل واحد ديناراً من الذهب .

وفى يوم الجمعة سادس شهر ذى القعدة ، دُرّة دَرْج الخلافة ،

ودُرّى بُرج اللطافة ، ثمرة شجرة العـدالة ، وشجر ثمر الإيالة ، الواصل إلى جوار رحمة الصمد (السلطان محمد) الذى تفاخرت الأرض بسبب تربته الشريفة على صوامع الفلَك ، وتبختر الثرى بواسطة مقبرته اللطيفة على حظائر الملَك ، لمّا سمع نداء (أجيبوا داعى الله) تلـقّى بسمع القبول والطاعة . وانتقل من دار غرور الدنيا إلى دار سرور العقبى فى الساعة — سقى الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه .

والفقير الحقير ، المعترف بالذنب والتقصير ، طُعنت فى ذلك اليوم ، وكنت محروماً من ملازمة العتبة الشريفة مدة أربعين يوماً . ونظمت تاريخ وفاته الشريفة باللسان التركى .

سويلمك كم أوغلى أولدى حضرةِ سلطانِ مصر
بر مؤمن أولمدى فى كل أرض العامره
مالك أولدى كلِّ دنيا بالعـــــــدالة آتَسى
كتدى أوغلى تا كه دوتسون مُلكِ دار الآخره
عقل مندن صُردى تاريخ وفاتن ، سويلدم
يتشر تاريخه أعلى القصور «الفاخره»[1]

(١) أظنه أراد أن يؤرخ بكلمة « الفاخره » وحدها وحسابها ٩١٧ والوفاة سنة ٩١٦ فقد أخطأ فى واحد . وكأنه لم يحسب الألف فى أداة التعريف .

الروضة الثالثة

فى ذكر المجالس التى وقعت فى ذى الحجة

من المجلس الأول

طلعت ليلة الأحد عشرين ذى الحجة الحرام . وقعدوا فى الأشرفية خمسة وعشرين درجة . والإمام فى تلك الليلة كان الشيخ عبد الرزاق . ووقع البحث فى الألغاز .

اللغز الثانى :

ألا فاخبرونى أى شىء رأيتمو
من الطير فى أرض الأعاجم والعرب
فيؤكل مطبوخا لذيذاً وتارة
فيؤكل مشويا إذا اشتدّ فى اللهَب
وليس له أيد وليس له فم
وليس له رجل وليس له ذنَب
وليس له مُخّ وليس له دم
وليس له عظم وليس له زغَب

الجواب :

قال مولانا السلطان : هو البيض .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل : جماعة من الشعراء اجتمعوا فى خدمة سيف الدولة وقصدوا إيذاء المتنبي وقالوا إنا نبيض فى هذا المجاس . وكان مع كل واحـد بيضة مخفية . فلما جاءت نوبة المتنبي صاح صيحة الديك . فقال السلطان : ما هذا . قال : لا بد لهذه الدجاجات من ديك .

خاتمة :

قال بهرام بن بهرام : أسد حَطوم خير من ملك غَشوم . وملك غشوم خير من فتنة تدوم .

من المجلس الثامن

طلعت يوم الخميس سابع عشر المحرم . وقعدوا ثلاثين درجة فى المقعد . فلما دخل سيدى على الأخميمى قال له مولانا السلطان : يا إِمام الأعظم .

ولهذه العبارة معان :

الأول : أنت إمام أعظم سلاطين الدنيا أو أنت أعظم أئمة السلطان . الثانى : أو أنت الإمام الأعظم فى هذا العصر ، يعنى أنت أبو حنيفة الوقت .

ووقع فى تلك الليلة مسائل :

السؤال الأول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحانك ما عرفناك حق معرفتك .

وقال على رضى الله عنه . لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

ولا شك أن مرتبة النبوة أعلى من مرتبة الولاية . فقول النبي صلى الله عليه وسلم يدل على عدم المعرفة ، وقول الولىّ على كمال معرفته ، فما التوفيق بينهما ؟

الجواب :

قال مولانا السلطان : ليس بينهما تناقض . لأن مراد النبي صلى الله عليه وسلم كنه الذات . ولفظ حق معرفتك يدل على هذا . ومعرفته بالكنه لا تحصل للبشر ، سواء كان فى الدنيا أو فى الآخرة .

وقول الولىّ يدل على أن المعرفة التى يمكن تحصيلها حصلناها فى الدنيا ولا يزيد فى الآخرة شىء . لأن الدنيا دار تحصيل الكمالات ومزرعة الآخرة .

درّة :

قال مولانا السلطان : ادعت جماعة محبة السلطان محمد القلاوون . فقال لهم : إن كنتم تحبوننى ارموا أرواحكم من

القصر . فقالوا : بسم الله وجروا من أول سطوح القصر إلى نهاية طرف القصر . فوقفوا وقالوا : يامولانا السلطان . محبتنا لك إلى هذا الموضع . فمن يزيد علينا قدماً فالمحبة له .

الروضة الخامسة

فى المجالس التى وقعت فى شهر صفر

من المجلس الخامس

طلعت يوم الخميس خامس عشر شهر صفر وقعدوا سبعة وعشرين درجة فى المقعد ووقع فيه مسائل الخ

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل : فى أيام المعتصم وقع فى شبكة صياد مخلاة فيها كف مخضب بخواتم الذهب . فلما سمع المعتصم نظر فى الخاتم فرأى أنه ما هو من شغل بغداد . فطلب المخلاتيين فقال واحد منهم : اشترى هذه المخلاة منّى مباشرٌ فى هذه الأيام فسأل عن هذا المباشر . فقيل له : هو رجل يشرب الراح ويحب الملاح ، وفى الليل والنهار فى الخمر والزمر . ففتش عن أحواله من جيرانه ، فقالوا إن هذا المباشر هوى جارية وكانت من المغنّيات وقصد بيعها ووقع الخلاف فى قيمتها . فصاحب الجارية خلّاها عند المباشر

فأنكرها ، وحلف أنها خرجت من عنده إليه . ثم راحوا واشتكوا إلى الديوان . فأمر بتفتيش بيت المباشر . وهو من الخوف قتلها . ثم أمر الخليفة بإحضار سيد الجارية . فلما رأى ذلك قال : هذا كف جاريتى . فأحضر الخليفة المباشر وقال له : يا ولد الزنا يا فاسق ، ما قنعت بهذه الأفعال الذميمة حتى قتلت نفساً محرّمة . فأمر بشنقه على باب داره والمخلاة فى عنقه .

من المجلس السادس

طلعت يوم السبت سابع عشر شهر صفر وقعدوا فى المقعد سبعة وعشرين درجة . ووقع فيه مسائل الخ

المناسب لهذا المجلس :

أنه كان شيخ نصّاب فى العجم يدّعى دعوة الجن . فبعث إلى السلطان تَمُور[1] وقال له : للجن عرس ويطلبون منك شيئاً من الذهب لأجل الزفّة . قال تمور فى الجواب : سلموا على الشيخ وقولوا له : ما باب فى الدنيا إلا وهو مفتوح عليهم ، فلابدّ هم يدخلون فى ذخيرتى ويأخذون من الذهب مهما شاؤا .

---

(١) يعنى تيمورلنك

من المجلس السابع

طلعت يوم الثلاثاء عشرين شهر صفر وقعدوا فى المقعد ثمانية وعشرين درجة . والإمام كان الشيخ عبد الرزاق . وفتح مولانا السلطان فى تلك الليلة لغزين . ووقع فيها مسائل :

السؤال الثانى :

قال الشيخ عبد الرزاق : هل معرفة الله بالقلب أو بالنقل ؟

الجواب :

قلت : معرفة الله بالقلب ماتكلّم به العلماء ، وفساده ظاهر ، لأنه إذا كان مناط المعرفة القلب يلزم أن يكون جميع الحيوانات العُجم والأطفال والمجانين كلهم مكلفين لأنهم أصحاب قلوب وليس كذلك . بل قالوا : معرفة الله تعالى إما واجبة شرعاً أو عقلا .

قلت : عند الحنفية واجب عقلا بدليل قوله تعالى : (أو لم يتفكروا فى خلق السموات والأرض) .

وعنـد الشافعية واجب شرعاً بدليل (وما كنا معذبين) إلى آخر الآية[1] .

---

(١) « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل : أسلم ابن وزير ملك الصين واشتكت الأمراء والمباشرون وقالوا للملك : قد آمن ابن وزيرك بسيد المرسلين ؟ قال الملك فى جوابهم : بدنه مأمور لأمرنا ، ومحكوم تحت حكمنا ، وقلبه ما هو تحت أمرنا . خلّوه يرتبط بأى شخص يشتهى خاطره .

من المجلس الثامن

طلعت يوم الخميس ثانى وعشرين شهر صفر وقعدوا فى المقعد ثلاثة وثلاثين درجة . والإمام كان الشيخ محب الدين الحلبى . ووقع فيه الألغاز والمسائل :

اللغز الأول :

وميْتٍ بقبر طُعمه عنـد رأسه
إذا ذاق من ذاك الطعام تـكلّما
يقوم ويمشى ناطقاً بفصـاحة
ويأوى إلى القبر الذى كان قيّما

قال : هو القلم .

اللغز الثانى :

خليــلان ممنوعان من كل لذة
يبيتان طول الدهر مجتمعان
إذا أمسيا كانا على الناس حارسا
وعنــد طلوع الفجر يفترقان ؟

قال : هو الباب .

من المجلس التاسع

طلعت يوم الثلاثاء سابع وعشرين شهر صفر وقعدوا فى المقعد ثلاثا وعشرين درجة . ووقع فيها مسائل ولغزان .

اللغز الأول :

وذى سفر لا يحب المُقام ولا يسأم السير فى كل حالِ
يبيــد الليالى فى مرّه وتضنيه فى مرّهن الليالى

قال : هو القمر .

من المجلس العاشر

طلعت يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر صفر وقعدوا فى المقعد عشرين درجة . ووقع فيه مسائل الخ .

الخاتمة :

سئل الإسكندر : ما أحسن حال الرعية ؟

قال : إذا كان ملكهم لطيف العقل صحيح الرأى عالماً بالحكمة .

وسئل : ما أسوأ حال الرعية ؟

قال : إذا عدم من الملك هذه الخصال .

فى الدعاء :

الحمد لله والمنة ؛ إن هذه الخصال موجودة كلها فى حضرة سلطان العرب والعجم ، أشرف ملوك العالم ، وارث ملك يوسف الصديق ، خليفة الأرض بالحق والتحقيق ، أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ، الملك الأشرف أبو النصر ، عزيز مصر ، قانصوه الغورى . اللهم خلّد ظلال معدلته ورأفته فى بسيط الأرضين ، وأيد أنوار سلطنته وخلافته على كافة المسلمين إلى يوم الدين . آمين .

الروضة السادسة

فى مجالس ربيع الأول

المجلس الأول

طلعت يوم السبت ثانى ربيع الأول وقعدوا فى المقعد عشرين درجة . ووقع فيه لغز ومسائل :

اللغز الأول :

وآكلة بغير فم وبطن　　لها الأشجار والحيوان قوت
إذا أطعمتها نعشت وعاشت　　وإن أسقيتها ماء تموت

قال : هو النار .

السؤال الأول :

قال مولانا السلطان : لا يخفى على الله شيء فى الأرض ولا فى السماء . فلأى حكمة ما بيّن حقيقة الروح فى جواب : (يسألونك عن الروح) ؟

الجواب :

قال الشيخ برهان الدين بن أبى شريف : اليهود قصدوا تعجيز النبي وتغليطه . فسألوا عن مشترك بين المعانى ، وقصدوا أنه مهما يقل لهم النبي يقولوا فى الجواب : ما قصدنا هذا المعنى . وأما اشتراك الروح فإنه قد يطلق ويراد به جبرائيل وقد يطلق ويراد به عيسى أو الملَك . وقد يطلق ويراد به قوة فى الحيوانات وهى مبدأ الحس والحركة . فقال الله تعالى فى جوابهم شيئاً يصلح لجميع هذه المعانى .

الجواب الثانى :

قال مولانا السلطان بعد قراءتنا الفاتحة : جواب آخر : وهو أن يقول الله : ما ينفعكم معرفة حقيقة الروح لأنه لا يتعلق به أحكام الشريعة . والأولى لكم معرفة مسائل يتوقف عليها التكليف .

من المجلس الثانى

طلعت يوم الثلاثاء خامس شهر ربيع الأول وهذه الليلة كانت ليلة كسر النيل . وفى تلك السنة أوفى البحر عشرين ذراعاً وعشرة أصابع . ووقع فى تلك الليلة ألغاز . والمماليك الصغار فى تلك الليلة قرءوا قدام مولانا السلطان .

قال ابن النحاس : كنت فى خدمة قاضى كاتب السر فقال لى : تعال إلى تفرّج كسر النيل . وأنا ما رضيت . لأن مولانا السلطان هو البحر الكبير . وبحر النيل بحر الكسر فى هذه الليلة ، وهذا البحر له جبر الخواطر .

قال مولانا السلطان :

اللغز الأول :

أى شىء تلف محض بلا نفع ؟ عجزوا عن الجواب فقرأنا الفاتحة .

الجواب :

قال مولانا السلطان : تودير[1] المصريين فى هذه الليلة .

اللغز الثانى :

وطائرة أمست عديمة أربع
عظام ولحم والدماء وريش
فيؤكل منها البعض والبعض طائر
ويحرق منها البعض وهى تعيش ؟

قال : هو النحل .

اللغز الرابع :

ما اسم شىء قد غدا نزهة — للنفس ، محبوب لدى الأزمنه
وإن ترد تصحيف مقلوبه — تجده شهراً من شهور السنه

قال : هو البحر[2] .

---

(١) يقال فى اللغة العامية المصرية : ودّره : أى أتلفه أو أهلكه .
(٢) يعنى إذا قلبت كلة بحر وصحفت فهى « رجب » .

المناسب لهذا المجلس :

قيل لإسكندر : إن فى عسكر داراب الملك ثلاثمائة ألف رجل . فقال إسكندر فى الجواب : بكثرة الغنم لا تخوّفوا القصّاب .

قيل لأنوشروان : إن فى عسكر سلطان الحبوش والسودان أربعمائة ألف رجل . فقال أنوشروان لهم : لا تخافوا لأن النار القليل تفنى الحطب الكثير ،

المناسب لهذا المجلس :

أنه سئل أفلاطون : ما علة ملوحة البحر ؟

فقال لهم : بينوا لى فائدة العلم بهذا حتى أبين لكم علته .

وتوقيعه من كلام سيد الأنام عليه السلام أنه قال : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

الخاتمة :

قال إسكندر : ينبغى للعاقل أن يكون مع سلطانه كراكب سفينة البحر إن سلم جسمه من الغرق لم يسلم قلبه من الخوف .

من المجلس الثالث

طلعت نهار الخميس سابع شهر ربيع الأول . وقعدوا فى المقعد ثلاثين درجة . ووقع فيه المسائل ولغز :

اللغز الأول :

ألا خذ وعد موسى مرتين — وضع أصل الطبايع تحت ذين
وركب بيت شطرنج نخذها — فركبها[1] خلال الموعدين
فذاك اسم لمن يهواه قلبي — وقلب جميع من فى الخافقين

الجواب :

قال مولانا السلطان : وعد موسى أربعين وهو بحساب الجمل ميم . وأصل الطبايع أربعة وهى دال . وبيت الشطرنج ثمانية وهى الحاء . والمجموع هو أسم محمد . وهو حبيب قلوب من فى الخافقين .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قال الشيخ الربانى علاء الدولة السمنانى قدس الله روحه ، وكتب فى وصيته . إذا دخل الكافر أيضاً فى زاويتى فأطعموه . لأن كل من يستحق عند الله التشريف بجوهر

---

(١) فى الأصل : فكسّبها .

الروح اللطيف . فهو يستحق عندنا أيضاً قرص الرغيف .

وتوقيع هذا : أكرموا الضيف ولو كان كافراً .

الخاتمة :

قال المأمون لأمرائه : عليكم بأهل السخاوة والشجاعة ، فإنهم من أهل حسن الظن بالله تعالى . ومنع الجود سوء الظن بالمعبود .

انعام حضرة السلطان :

نزّلنى فى المدرسة الغورية وأعطانى وظيفة التصوف فيها . اللهم كما سلّمت بيده زمام الدين ، وجعلته من أفضل الملوك والسلاطين ، شرّف مسامع مجامع المسلمين ، بصيت فتحه المبين ، يا رب العالمين . آمين .

واقعة :

فى يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الأول دخل فى القاهرة مفخر الأمراء والأكابر ، صاحب المناقب والمآثر ، الواثق بالملك الحقّ ، أمير سيباى ، وشرف بتقبيل العتبة العلية ، الغورية ، شيد الله أركان قواعدها .

من المجلس الرابع

طلعت يوم السبت تاسع ربيع الأول وقعدوا فى الأشرفية عشر درجات . ووقع فيها المسائل والألغاز .

اللغز الأول :

مولاى شمس الدين يارب الحجا
ما اسم ثلاثىّ له وجـه يسر
لم يبق لى فى العشق لو ما قلبه
صحّف وذق إن لم يكن حلوا « فمر »

قال : هو القمر .

اللغز الثانى :

أتى بلغـــــــز ثلاثى يعجّزنى
وظن ذلك بحرا لست أسلـكه
وقال فسّره شمسَ الدين قلت له
مولاى لغزك ليس الشمس تدركه[1]

قال : هو القمر .

---

(١) إشارة إلى الآية الـكريمة : « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر » .

مولد السيد الأعظم صلى الله عليه وسلم

الليل لما عسعس ، والصبح حين تنفس ، خرج سلطان ممالك الأفلاك من خيمته الأزرق[١] . وهربت منه جيوش حبوش الليل الغسق . ونزل عساكر أنواره على وجه الأرض ، واستولى على جميع الممالك بالطول والعرض . أمر السلطان الأعظم ، والخاقان المعظم ، سليمان الزمان ، إسكندر الدوَران ، وارث ملك يوسف الصديق ، خليفة الحق[٢] بالحق والتحقيق . أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين ، الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى خلد الله تعالى ملكه وسلطانه ، وأفاض على العالمين بره و إحسانه — رب كما جعلت شموس معدلته رافعة لظلام الظلم عن كافة الأنام فى العالم ، اجعل خيام بقائه مشيدة بأوتاد الأبد ، وأطناب الدوام المؤبّد . بجاه محمد . يا واحد يا أحد — أمر[٣] بضرب خيمته الزرقاء ، على فرش مسطّح الغبراء ، التى كان الفلك الأطلس يتمنى أن يكون من سقوف قبابها ، وترتجى النجوم والكواكب أن تكون من مسامير أبوابها . ما كانت الكواكب فى تلك الليلة ظاهرة ، بل كانت عيون الملائكة من الملأ الأعلى لأجل

(١) يريد خيمته الزرقاء ، وسلطان ممالك الأفلاك : الشمس .
(٢) الحق : الله تعالى .
(٣) يعنى السلطان الغورى .

تفرّجها ناظرة ، و بواسطة هذه الخيمة السلطانية صارت السموات السبع ثمانية ، وكأن أشارت سماء الدنيا بأنملة الأهلة إلى الملِك ، وقالت : هل رأيتم مثل هذا الفلك ؟ والشمس والقمر يدوران حولها و يرميان روحهما من المنافذ حتى يتفرجا المجلس العالى . وفلك القمر فتح أعين الكواكب الثواقب ، حتى ينظر وجوه الأكابر والأهالى .

ثم سلطان الحرمين الشريفين ، فى يوم الاثنين ، عمل مولد سيد الكونين ، ورسول الثقلين ، وسلطان قاب قوسين .

وكان هذا اليوم مصداق : (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) ، لأنه يوم معراجه صلى الله عليه وسلم ووفاته ، و يوم المولود(١) .

وكان هذا اليومَ موكب عظيم ، لافيه لغو ولا تأثيم . وفى هذا اليوم اكتسبت السماء من الأرض استفاضة النور . وهذا الخبر عند أهل الأثر معروف ومشهور .

وكان مولانا السلطان فى الخيمة كالشمس فى وسط سماء الدولة ، أو بدر كامل فى فلك أطلس السعادة ، فى طرفيه اثنا عشر منزلا ، وفى كل منزل مقام مقدَّم ألف ، وهو كقمر كامل

(١) المولود : المولد . وهى بهذه الصيغة فى اللغة الفارسية والتركية والأوردية .

بلا نقصان ، أو بدر لامع بلا خسران . فأمر حضرة مولانا السلطان بإحضار السادات العظام ، والعلماء الأعلام ، وقضاة الإسلام ، والأمراء الكرام ، ووزراء الأنام . ووجوه الناس من المباشرين والحكام ، والصلحاء والفقراء والمشايخ والزهاد ، والعبّاد من جميع البلاد ، والفقهاء والفضلاء والمدرسين ، وأجواق القراء والحفاظ والمؤذنين ، من العرب والعجم ، والترك والديلم .

ومد سُمُطاً عجيبة كبيرة ، مع أطعمة غريبة كثيرة ، بحيث لا يقدر لسان الإنسان على ذكر بيانه ، أو كأن : (و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) نازل فى شانه ، أو نزلت مائدة من السما ، على جميع من فى الدنيا .

لما فرغوا من الطعام ، وقرءوا كلام الملك العلام ، وذكروا مولد سيد الأنام ، عليه السلام ، بالكمال والتمام ، ألبس أعظم سلاطين الإسلام الخلع على الجميع ، من الشريف والوضيع ، وصار الحوش من مآثر الأولياء ، وميامن بركات الأتقياء ، ومن كثرة ازدحام الخلق ، شبيهاً بموقف عرفات ، بل بعرصة العرصات[1] .

وأنعم عليهم إنعامات بلا غاية ، و إحسانات بلا نهاية .

---

(١) أظنه يعنى المحشر .

(درر الكواكب ، لو ما كانوا متوهمين أن يبخششهم مثل الليالى ، على الأهالى الأعالى ، لكانوا منتظمين فى خزينته العامرة . والشمس والقمر ، لولا كان خوف أن يفرقهم بدل النقدين ، بوجه إنعامات القراء ، لكانا منسلكين فى ذخيرة القاهرة ، الدر والدرّى ، خافا من جوده فتحصنا بالبحر والأفلاك)[١] .

وأنا كنت قاعداً فى الدُهَيشة ، فى دهشة عجيبة من مشاهدات الرايات السلطانية ، ومطالعات غرائب الألطاف السبحانية . لأنى رأيت مجلساً لا عين رأت ، وسمعت مولداً لا أذن سمعت . فخطر ببالى ما لم يخطر ببال أحد ، وهو أنه يمكن بحسب تخيلات الشعر ، وموجب تصرفات الفكر ، تشبيه هذا اليوم بيوم الجزا ، وتشبيه هذه النعمة بنعمة تُجزى ، وتشبيه الخيمة الزرقاء بسماء يوم الدين ، وتشبيه قرب شمسه بقرب سلطان السلاطين . ولله المثل الأعلى فى السماوات والأرض ، سبحانه منزه عن الشِّبه والنظير ، (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) . ثم بعد الفراغ من المولد ، وكان قريب وقت المغرب ، جاء أسْود الليل الغاسق ، بزى السراق العائق . فسرق زرّ الذهب ، من جيب الفلك الأطلس المذهب . فانهزم عسكر الروم

(١) أبقيت الأسطر التى بين القوسين بغير إصلاح ليرى القارئ مثلا من إنشاء المؤلف حين يتكلف .

من جيش الحبش[١] ، وصار عين الفلك من هذا الهم أعمش ، فنوروا القناديل والشموع ، من أول الليل إلى وقت الطلوع .

وفى تلك الليلة ، كان وجه الأرض أنور من السما . من كثرة الشموع والثريا . لأن شمس فلك السعادة من برج الإقبال كانت فيها طالعة ، وكواكب عساكره المنصورة من مدارج الجاه والجلال لامعة .

ثم قام مقدّمو الألف ، وجاءوا كالملَك صفا على صف ، بالطول والعرض ، كلهم باسوا الأرض . فقدم عليهم أكبر أولاد قريش ، ووارث المملكة والجيش ، ابن عم النبى العربى ، الهاشمى المطّلبى ، أمير المؤمنين يعقوب المستمسك بالله ، خليفة مصر . باس الأرض ، كفرض العين وعين الفرض ، وقال الخليفة :

إن الخلافة ثوب قد خصصت به[٢]
إذا لبست فلم يفضُل ولم يعزِ
ما أودع الله فى أحداقنا بصراً
إلا لنفرق بين الدرّ والخرز

فميّزه مولانا السلطان بجبر الخاطر ، وفضّله على جميع الأفاضل والأكابر .

ثم جاء من أصحاب اليمين، ذو التمكين ، أتابك العساكر

(١) كناية عن إقبال الليل . (٢) أظنه بفتح التاء خطابا للسلطان .

المنصورة ، فى أعظم بلاد المعمورة ، صاحب الرأى والتدبير ، الأمير الكبير ، وباس الأرض ، كأداء الفرض ، وفتح اللسان[١] بمدح مولانا السلطان . وقال الأمير الكبير :

إن الفضائل فى الدنيا مشتّتة
وما جُمعن مرورَ الدهر فى فِقَر
لكنهن بحمد الله قد جمعت[٢]
أشتاتها عندكم فى أحسن الصور

قال حضرة مولانا السلطان : الحمد لله الذى جعل شكره سبباً للمزيد ، وأجرى من ينابيع القلوب إلى مجارى الألسنة زُلال الشكر والتحميد .

ثم جبر خاطره بتحسينات وافرة ؛ وتعريفات متكاثرة ، بحيث تنفّس أمير قُرقماس شمائم روائح جبر الخاطر ، ونسيم امتيازه على البادى والحاضر .

ثم جاء خلاصة الأمراء والأخيار ، وحاكم البلدان والأمصار ، الواثق برحمة الملك الحىّ ، الأمير سيباى ، باس الأرض وقال هذا النظم :

---

(١) هذه ترجمة العبارة الفارسية : زبان كشاد . وفى الكتاب كثير منها .
(٢) فى الأصل : لكنها بحمد الله قد اجتمعت . وأظنها من تحريف المؤلف .

الحمـــد لله على كل حالْ   قد ذهب الهجر وجاء الوصالْ
وصلتُ من لم ينـــله المنى   وكنت أرضى بطواف الخيال

ثم حضرة مولانا السلطان جبر خاطره ، فزين باطنه وظاهره .

ثم جاء الأمير عالى القدر ، أمين الملوك والسلاطين ، مقبول الخلائق أجمعين ، حافظ الأسلحة والأرماح ، محبّ أهل الصلاح أمير السلاح ، باس الأرض وقال هذا الشعر :

يا من أعاد رميم الملك منشوراً   وضم بالعدل شملا كان منشوراً
لا زال قاليك بالمنشار منشوراً   وصدر واليك للزوّار منشوراً

فامتازه مولانا السلطان ، بجبر الخاطر بين الأعيان .

ثم جاء الأمير رفيع المقدار ، مغيث المظلوم عند الاضطرار ، مهندس قواعد المملـكة والمؤسس ، وأمير المجلس . باس الأرض وفتح اللسان ، بثناء مولانا السلطان وقال :

جنابك فردوس جرى من خلاله
كياس أياديك العزيزة كوثر
سأشكرها ما دمت حيا وإن أمت
فإن رميم المظم فى اللحد يشكر

فجبر خاطره . وزين ظاهره

ثم جاء الأمير الأعظم الأكرم عماد الدولة ، وناظر أمور

المملكة ، الواثق بالملك القدير ، أمير آخور الكبير . باس الأرض وقال هذا النظم :

توجّه وفدُ الفتح والنصر حيثما
توجه فى عين الإله لواؤه
وكل مكان مسّ حافر خيله
تخلص من داء الفناء فِناؤه

فجبر مولانا السلطان خاطره .

وبسبب هذا انشرح صدره ، وازداد قدره .

ثم جاء الأمير الأشجع ، الأرفع ، حامى شرع أحمد المختار ، المؤيَّد بتأييد الملك الغفار ، أمير دوادار . باس الأرض وقال هذا الشعر :

ولو أن البحار لنا مداد
ودجلة والفرات وكل وادى
ونَبت الأرض أقلاماً جميعاً
نخط بها إلى يوم التنادى
إذن أستطع إحصاء ما بى
من الشكر المدخّر فى فؤادى

فامتازه حضرة مولانا السلطان ، من بين الأقران ، بتحسينات لائقة ، وتمديحات شائقة .

بعده :

ثم جاء الأمير الأعظم ، الأكرم ، حافظ أبواب الملوك والسلاطين ، مقرَّب أمير المؤمنين ، صاحب العز والرفعة ، نائب القلعة ، باس الأرض وقال أمير طقطباى :

بقيت مدى الأفلاك ملكُك راسخ
وظلك ممدود وبابك عامر
يردّ سناك البدرَ والبدرُ زاهر
ويقفو نداك البحرُ والبحر زاخر

فجبر خاطره حضرة مولانا السلطان ، فامتازه من بين الأقران .

بعده :

ثم جاء الأمير الواقف ، العارف ، خلاصة الأمراء والأعيان ، مقرَّب حضرة السلطان ، زين الحجَّاج ، أمير الحاج . باس الأرض وقال الشعر :

أيا كعبة الآمال وجهك حجتى وعمرة نسكى إننى فيك والع
بمزدلفات فى طريق غرامكم عوائق من دون اللقاء قواطع

فامتازه بتحسينات لطيفة ، وتمديحات شريفة .

بعده :

ثم جاء تاج رأس أرباب العمائم ، ورأس تاج أركان الأعاظم . سلالة الأكابر فى العالم ، صاحب السيف والقلم ، مفتاح أبواب البر ، ومصباح مشكاة الخير . كاتم سر حضرة الإله ، وكاتب سر ظل الله ، صاحب الرياستين ، ناظر الديوانين ، المختص بعناية الملك الودود ، القاضى محب الملة والشريعة والحقيقة ، والتقوى والفتوى والدين ، محمود . صانه الله تعالى من شر كل حسود ، وضرّ كل حقود . وكان جميع أكابر الأعاظم ، وجمهور أرباب العمائم ، فى حوالى المخدوم العالى القدر ، كالهالة حول البدر فى ليلة القدر ، ووقف فى موقف العرض ، وباس الأرض ، وفتح اللسان بمحامد مولانا السلطان ، وقال القاضى :

سجاياك من طيب أعراقها تُبارى النجوم بإشراقها
وما للعفاة غياث سواك كأنك ضامن أرزاقها

قال حضرة مولانا السلطان : الحمد لله الذى فضلنا على عباده ، وخصصنا بتشبث أهل وداده . فجاء له جبر الخاطر من سلطان السلاطين ، ما لم يؤتَ أحدٌ من العالمين .

بعده :

ثم جاء قضاة الإسلام ، والعلماء العظام ، الذين هم خلاصة أمة محمد ، وأساس بناء دين أحمد . فحركوا ألسنتهم بالثناء . وفتحوا الأيادى بالدعاء . ثم فتح اللسان ، بثناء مولانا السلطان ، قاضى القضاة الشافعى الذى هو كان صاحب الرفعة ، وخطيب القلعة . وقال شعراً :

ففى كل عضو فىّ كل صبابة إليكم وشكر جاذبٌ لزمامى
أصلّى فأشدو حين أتلو بشكركم وأطرب فى المحراب وهو أمامى

فباسوا الأرض . ثم حضرة مولانا السلطان كان كالصبح الصادق على وجوه الوجوه متبسّما . وهم برياح أنفاسه الشريفة متنسّما .

بعده :

ثم جاء المخدوم المعظّم ، زين الوزراء فى العالم ، أسعد أولاد عثمان ذى النورين ، وناظر جيش سلطان الحرمين الشريفين ، آصف العهد والزمان ، أشرف ذرية عثمان بن عفان ، المختص بعناية الملك القاهر ، القاضى عبد القادر ؛ باس الأرض . وأمر[1] بخطيب اللسان ، بثناء مولانا السلطان . وقال : نظم

(١) أمر بمعنى قال . وهى ترجمة فرمود بالفارسية أو بيوردى بالتركية . والأمر فى هاتين اللغتين يوضع موضع الفعل للتعظيم .

وإنكَ المولى الذى بك أقتدى
وإنكَ للنجم الذى بك أهتدى
وأنت الذى بلّغتنى كل رتبة
مشيتُ إليها فوق أعناق حُسّدى

فامتازه بجبر الخاطر بين الأعيان، حضرة مولانا السلطان .

بعده :

ثم جاء أعظم الوزراء والمباشرين، مفخر الأمناء والمعتمدين، مقرّب سلطان السلاطين، صاحب العز والاختصاص، القاضى ناظر الخاص . وباس الأرض بالصدق والإخلاص . وقال : نظم

اشكرْ مآثره ولسن مآثراً   لـكنهن قلائد الأعناق
والثم أنامله ولسن أناملا   لـكنهن مفاتح الأرزاق

فامتاز حضرة السلطان القاضى ناظر الخاص، من بين الخواص .

بعده :

ثم جاءت العساكر المنصورة حزبا بعد حزب، وفوجا بعد فوج، كلجىّ البحر فى الموج، بعدّ أقطار الأمطار، وأوراق الأشجار، من أمراء الألوف الأربعينيات، والخاصكيات

والعشروات ، الذين عجز بَنان البيان عن إظهار شمائلهم ، ولا يقدر لسان الإنسان على بيان فضائلهم . جاؤا بأدعية وافرة ، وأثنية متكاثرة ، فجبر خاطرهم ، بقدر مراتبهم .

وأيضاً : ثم بعد العشاء أمر حضرة مولانا السلطان أولاد الرقاع ، بالسماع . فلبسوا خرقة واسعة الأكمام والذيل ، ورقصوا إلى نصف الليل . لما وصل غُلغُلة[1] الرقص بمسامع المَلَك ، فرقص معهم سكان صوامع الفلَك . ولبس شيخ الفلك[2] بزيهم خرقة المرقّع الأزرق ، وتشدد بشدّ الأحمر من الشفق ، ورقص معهم ، ودار حولهم ، حتى طلع النهار ، بأمر فاطر الليل والنهار .

لما فرغوا من السماع ، قُربَ طلوع الشمس والارتفاع ، اجتمعت المشايخ والعلماء والفقهاء ، والزهاد والعباد والفقراء ، وقالوا : اللهم أيد دولة هذا السلطان الأعظم ، وشيد أركان معدلة الخاقان المعظم ، واجعل راياته مرفوعة فوق خيمة الفلك الزرقاء ، وأحكامه نافذة إلى أصقاع بقاع الغبراء ، بحق محمد عين أعيان الإنسان ، وآله وصحبه أصحاب الشهود والعيان .

---

(١) غلغل وغلغلة تستعملان فى الفارسية بمعنى الضوضاء .

(٢) أظنها ترجمة « پيرِ فلك » الفارسية وهى كناية عن زُحَل .

من المجلس الخامس

طلعت نهار الثلاثاء ثانى عشر شهر ربيع الأول وقعدوا فى صُفّة الدُهَيشة خمسا وعشرين درجة . ووقع فية المسائل والألغاز .

اللغز الأول :

ما إسم شىء حسنٍ شكلُه تلقاه عنـــد الناس مخزونا
تراه معـــدوداً فإن زدته واواً ونوناً صار « موزوناً »

قال : هو الموز .

اللغز الثانى :

ما اسم شىء طاب أكلا ناعم فى الحلق ليّنْ
كيف يخفى عنك هذا وهو فى التصحيف « بيّن »

قال : هو التين[1] .

من المجلس السادس

طلعت يوم الخميس رابع عشر شهر ربيع الأول . وقعـدوا فى الأشرفية ثلاثين درجة . وخسف القمر . ووقع فيه مسائل :

(١) يعنى أن « تين » تصحّف إلى « بيّن » .

السؤال الأول :

قال مولانا السلطان : ما الحكمة فى الكسوف والخسوف ؟

الجواب :

قلت : هما آيتان من آيات الله . كما ورد فى السنة .

الجواب الثانى :

قيل : سبب الخسوف حيلولة الأرض بينه و بين الشمس ، والقمر مظلم ، فبقى القمر بلونه الأصلى أسود .

قلت : هذا مخالف لقوله تعالى : (وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) .

السؤال الثانى :

قلت : ما الفرق بين الضوء والنور ؟

الجواب :

قال مولانا السلطان : الضوء هو النور الغالب القاهر المحرق بخلاف النور ، فإنه يطلق على غير المحسوس أيضاً كنور القلب ونور الإيمان ، دون الضياء .

السؤال الرابع :

قال مولانا السلطان : لأى حكمة وقت الخسوف يضربون الطاسات ؟

الجواب :

قلت : لأن المنجمين حكموا بخسوف القمر فى ليـلة معينة عند هُلاكو خان . وكان الخان منتظراً لتفرّجه . ولما انخسف القمر كان هلاكو خان نائماً . فعمل المنجمون حيلة لأجل استنباهه ودقوا الكاسات وقالوا : دَقّ الكاسات عند الخسوف واجب . ثم بعد ذلك صار هذا بدعة فى الدنيا .

من المجلس التاسع

طلعت يوم السبت سلخ ربيع الأول . وقعدوا فى الأشرفية ثلاثين درجة . وكان الإمام الشيخ عبد الرزاق . ووقع فيه المسائل والألغاز :

اللغز الأول :

أتعرف طائراً فى الأرض يُلفى   وفى جوّ السماء مع الجوارى

به عجب لأن الرأس حُوت وآخره ترى ذنَب الحمار ؟

قال : هو النسر .

اللغز الثانى :

لى جمع أصحابْ أعشقْهم وأهواهم
ولا أُشتهى قط أنظرْهم ولا راهُمْ
أقسم بما خلقْهم ثم سوّاهم
ماطاب لى عيشْ فى الدنيا برؤياهُمْ

قال : هو الأسنان .

اللغز الثالث :

وذات ذؤابة تنجرّ طولا تراها فى المجىء وفى الذهاب
وما لبست مدى الأيام ثوباً وتكسو الناس أنواع الثياب ؟

قال : هو الإبرة .

درة :

قرأ مولانا السلطان لروح صاحب العقائق سورة الفاتحة ثلاث مرات .

خاتمة :

قال إسكندر : أفضل الملوك من بقى بالعدل ذكره . واستملى من بعده فضائله .

والحمد لله والمنة أن هاتين الصفتين موجودتان فى السلطان الأعظم ، مالك رقاب الأمم ، حاكم بسيط الأرض ، بالطول والعرض ، أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ، عزيز مصر ، الملك الأشرف أبو النصر ، قانصَوه الغَورى . اللهم اجعل شجرة رجائه مثمرة المراد ، وأظهر صورة عدله فى مرايا قلوب العباد .

الروضة السابعة

فى مجالس ربيع الآخر

من المجلس الأول

طلعت يوم الثلاثاء ثالث ربيع الآخر وقعدوا فى الأشرفية خمسا وثلاثين درجة ، والإمام كان الشيخ محب الدين المكى . ووقع فيه المسائل :

السؤال الرابع :

قال السلطان بَيقرا[1] نصره الله : لا شك أن الملائكة

---

(١) الظاهر أنه يريد السلطان حسين بيقرا سلطان هراة من أحفاد =

معصومون ، وكمالاتهم بالفعل ، ولا يزيد فى أعمالهم شىء من الكمال ، فما فائدة بعثة الرسل فيهم ؟

الجواب :

قال مولانا السلطان : معنى رسل الملائـكة أنهم جاءوا بالرسالة إلى أنبيائنا لا بمعنى أن جبرئيل صاحب أمة ويكمل النواقص ، فالرسالة لفظ مشترك بين الملك والإنس .

جوهرة :

وقع البحث فى شَبْ چِرَاغْ[1] .

قال مولانا السلطان : ماهو موجود فى خزينتنا .

قلت : فعلى هذا شب چراغ ليس بموجود فى الدنيا . لأن الجواهر النفيسة العجيبة ينسبونها إلى خزانة مصر . وحُبّ ملوك مصر الجواهر النفيسة مشهور .

من المجلس الثانى

طلعت يوم الخميس خامس ربيع الآخر وقعدوا فى الأشرفية ثمانيا وعشرين درجة . وكان الإمام الشيخ عبد الرزاق . ووقع فيه المسائل الخ .

= تيمور لنك وقد توفى سنة ٩١٢ قبل تاريخ هذه المجالس . فهذا سؤال قديم حكاه المؤلف فى مجلس الغورى .

(١) شبچراغ : « مصباح الليل » جوهر لماع له بصيص فى الظلام .

درة :

قال حضرة مولانا السلطان فى آخر المجلس : إنه جاء فى زمن السلطان السعيد الشهيد المرحوم قايتباى رحمه الله ستة عشر مراكب من الروم وظهرت على شاطئ البحر فى طرابلس قريب العصر، وجاء من جانب مصر الأمير الكبير مع عسكر كثير لأجل المقابلة والمقاتلة . قلت لبعض أصحابى تعالوا حتى نقرأ الفاتحة لدفعهم ، فقرأنا الفاتحة بعد العصر فغرق الجميع بأمر المقدّر فى تلك الليلة . فلما طلع الصبح بعثنا المراكب الصغار مع الرجال لأجل ضرب رقاب الذين تخلصوا بالأخشاب . وفتحنا بسورة الفاتحة هذا الفتح المبين ، وصرنا من المقاتلة آمنين . والحمد لله رب العالمين .

من المجلس الخامس

طلعت يوم الخميس ثانى عشر ربيع الآخر وقعدوا فى الأشرفية ثلاثين درجة . وكان الإمام الشيخ محب الدين المكى ووقع فيه المسائل .

السؤال الأول :

سأل مولانا السلطان عن الشطرنج من قاضى قضاة الحنفية ؟

الجواب :

قال القاضى : عند الشافعية مباح بثلاثة شروط : الأول — ألاّ يكون بالرهن . والثانى — ألاّ تفوت الصلاة بسببه . والثالث — ألاّ يزيد على ثلاث لعبات .

حكاية :

قال مولانا السلطان فى آخر المجلس :

إن أمير تمور كوركان كان مشتاقاً لصحبة السلطان أحمد البغدادى ؛ فدخل السلطان أحمد بزىّ القلندرى[1] على تمور، ولعب معه الشطرنج فأخرج من عبّه ثلاث قطع من الياقوت البهرمانى وقال : إنا وصلنا إلى سرنديب ، وأعطانا سلطان سرنديب أرضاً بطول ذراعين وقال : هذا ميراث أبيكم آدم ؛ أحفروا ومهما يطلع منه خذوه . وهذه اليواقيت منه . وقدّم واحداً منها إلى تمور . فأمر تمور بإحضار ثلاث قطع مثلها . فلعبا بالشرط ، فغلب السلطان أحمد على تيمور مرتين ، فأخذ منه ياقوتين بحكم الشرط ، وخلّى مكتوباً تحت بساط أمير تيمور أن السلطان أحمد وصل إلى خدمتك وخرج . لما رأى تيمور هذا الورق وقع فى ندامة عظيمة .

---

(١) قلندر : الدرويش الجوّال الذى لا يبالى بشىء .

درة :

فى آخر المجلس قال مولانا السلطان : فضائل خواجه عبد القادر صاحب فن الموسيقى .

منها : أنه أُسر فى عسكر أمير تمور عند الجمّالين . فعمل جلاجل الجمل بحيث تخرج صوتاً ملائماً . فلما عبر تمور إليهم بالليل سمع صدى هذه الجلاجل فأخرج عبد القادر من بينهم فربّاه تربية عظيمة فوق الحدّ والوصف .

من المجلس السادس

طلعت يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر وقعدوا فى الأشرفية ثلاثين درجة والإمام كان الشيخ شمس الدين السمديسى ووقع فيه المسائل الخ .

درة :

قال مولانا السلطان : ما فى الدنيا أحسن من الأدب . الأدب جوهرة والعقل معدنها . ولهذا ، السلطان محمود فى وقت لعب الشطرنج مع إياس الخاص[1] كان يقول له : ياسيدى ألعب ،

---

(١) فى الأصل خاص إياس يعنى إياس الخاص . وإياس هذا كان من خواص السلطان محمود . وصار أدبه وحب السلطان إياه مضرب المثل فى الأدب الفارسى .

ويا أمير ألعب ، قال إياس : يامولانا السلطان ما أنا مستحق لهذا التعظيم ؛ فقال له السلطان : قصدى مداومة لسانى على الكلام المليح ، والاجتناب عن[1] الكلام القبيح .

من المجلس السابع

طلعت يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر . وقعدوا أربعين درجة فى الأشرفيـة . وكان الإمام الشيخ محب الدين المكى ووقع فيه المسائل :

السؤال الثانى :

إذا دخل أربعون نفساً على مولانا السلطان ، والذى دخل أولا أخذ ديناراً ، والذى دخل ثانياً أخذ دينارين ، والذى دخل ثالثاً أخذ ثلاثة دنانير ، إلى الأربعين . فالمجموع كم يكون عدده ؟

الجواب :

قال مولانا السلطان : المجموع سبعمائة وثمانون .

---

(١) الاجتناب عن الخ محاكاة للعبارة الفارسية .

من المجلس العاشر

طلعت يوم الثلاثاء ثالث عشرين شهر ربيع الآخر وقعدوا فى الأشرفية ثلاثين درجة . والإمام كان سيدى على الأخميمى ، وطلع الشيخ عباس مع مملوكين ؛ واحد منهما حفظ عبادات مذهب أبى حنيفة[1] رحمه الله ، والآخر حفظ القرآن . ووقع فى تلك الليلة مسائل وألغاز :

السؤال الثانى :

سأل مولانا السلطان من الشيخ عباس[2] لأجل مناسبة بحث العبادات : ما تقول فى صلاة العريان : السجود والركوع واجب عليه أو يكفيه الإيماء ؟

الجواب :

قال الشيخ عباس : الواجب عليه أن يركع ويسجد دون الأيماء .

---

(١) يرى فى هذه القصة وأشباهها عناية السلطان الغورى بتعليم المماليك .

(٢) « سأل من الشيخ عباس » فى تعدية سأل بمن ، محاكاة للعبارة الفارسية .

الرد :

قال له مولانا السلطان : أخطأت لأن علماء الحنفية صرحوا بالإيماء . لأن ستر العورة شرط ، وانتفاء الشرط مستلزم لانتفاء المشروط .

السؤال الثالث :

قال مولانا السلطان له : أى صورة تصح الصلاة بثوب نجس و بدونه لا تصح ؟

الجواب :

قال الشيخ عباس : المصلى إذا كان عرياناً وما معه إلا ثوب فيه نجاسة .

قال مولانا السلطان : هذا يؤيد كلامنا . لأن المصلى لا تصح صلاته عرياناً و إن كان الثوب نجساً .

السؤال الرابع :

قال مولانا السلطان : إذا كان بينهم قميص واحد من أولى بلبسه ؟

الجواب :

يلبس الإمام ويتقدم على الكل والباقى فى صف واحد .

السؤال :

إذا كان بينهم قميص واحد فصلاتهم بالفرد أولى أو بالجماعة .

الجواب :

الأولى ترك الجماعة إذا كانوا قادرين على أداء الصلاة فيلبس هذا الثوب كل واحد منهم ويصلى به .

من المجلس الحادى عشر

طلعت يوم الخميس خامس عشرين شهر ربيع الآخر وقعدوا فى الأشرفية ثمانيا وثلاثين درجة . والإمام كان الشيخ شمس الدين السمديسى . وجاء ابن عفريت مع المماليك الصغار وعرضهم على المقام الشريف ثم أنشد موشح قاضى القضاة الحنفى فى الغزال الذى كان مطلعه .

يابلائى بأعين الحبشى

وقال مولانا السلطان الموشح فى جوابه :

مابلائى من أعين الحبشى

بل من الجـــــــــركسى

وذكر ابن عفريت : أن عند قاضى القضاة جارية حبشية فأنشد القاضى هذه القصيدة لأجلها . ووقع فيه المسائل الخ .

الخاتمة :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : السلطان ظل الله فى الأرض ، فمن نصحَه اهتدى ، ومن غشه ضلّ .

من المجلس الثانى عشر

طلعت يوم السبت ثامن عشرين ربيع الآخر . قعدوا فى وسط الدُهَيْشة الأشرفية أربعين درجة ، وكان فى خدمته الشريفة الشيخان الكاملان الفاضلان العالمان العاملان شمس الضحى ، بدر الدُجى ، اللذان يرتجى البحر أن يكون قطرة على خضرة حديقة جودهما ، ويفتخر الفلك فى هذا الزمان بوجودهما ، يعنى حضرة محمود الخصال ، مسعود الإقبال ، مفتّح أبواب الخير والبرّ ، القاضى كاتب السر ، لا زال عاقبته كاسمه محموداً ، وظله إلى الأبد ممدوداً . والثانى أسعد أولاد عثمان ذى النورين ، وناظر جيش سلطان الحرمين الشريفين ، ملجأ أعاظم الأكابر ، القاضى عبد القادر ، لازال أقدام أقلامه على هامة الأنام ، إلى آخر الشهور والأيام . وكان الإمام فيها الشيخ محب الدين الحلبى ، وصنّف باسمه الشريف كتاباً فى وصف مدرسته ومأذنته الشريفة . وهو من هذه الحيثية كتاب شريف ، لأن فيه أوصاف المقام الشريف . ثم قرؤا وأنشدوا موشح مولانا السلطان فى نغمة العشاق ، وموشح قاضى القضاة الحنفى فى العزّال .

درة :

قال حضرة مولانا السلطان : إنا مدحنا الترك ، وقد مدحهم جميع شعراء العرب والعجم والترك والديلم ، وما مدح أحد من الشعراء قديماً وحديثاً الحبوش لأنهم ليسوا فى درجة المدح[1] .

نكتة :

قلت : إن الله تعالى مدح الحور بالبياض فى قوله تعالى (كأنهن اللؤلؤ والمرجان) .

ووقع فى تلك الليلة ثلاثة ألغاز الخ :

المناسب لهذا المجلس :

قول إسكندر : إنه لا يُعرف أربع إلا عند أربع :

لا يُعرف الحلم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الصديق إلا عند الحاجة ، ولا العالم إلا عند البحث والتصنيف .

الخاتمة :

قال أنوشروان :

حسن النية من العبادة ، وحسن الجِلسة من الرياسة ،

---

(١) إشارة إلى موشح قاصى القضاة فى وصف الحبش وموشح السلطان اللذين تقدم ذكرهما .

وحسن الاستماع من الحلم ، وحسن البحث والجواب من العلم .

الحمد لله والمنة ، هـذه الصفات موجودة فى السلطان الأعظم ، مالك رقاب الأمم ، حافظ بلاد الله ، ناصر عباد الله ، أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ، عزيز مصر ، الملك الأشرف أبو النصر ، قانصَوه الغَورى .

اللهم خلد دولته إلى يوم القيام ، وأظهر معدلته على الخواص والعوام ، بالنبى عليه الصلاة والسلام ، آمين .

الروضة الثامنة

فى مجالس جمادى الأولى

من المجلس الأول

طلعت يوم الثلاثاء ثانى شهر جمادى الأولى وقعدوا ثلاثين درجة فى الأشرفية ، والإمام كان الشيخ شمس الدين السمديسى وعرض ابن خواص المؤذن كتابين ، الأول منهما المختار فى مذهب أبى حنيفة ، وابن مالك فى النحو .

قال حضرة مولانا السلطان : يا خواص أخذت مذهبين : ابنك حنفى وأنت شافعى ؛ ياخوّاص أنت طماع .

ووقع فى تلك الليلة مسائل الخ :

لطيفة :

قال مولانا السلطان : إن ابن عثمان أمر[1] لناصر الدين[2] أن يشوى له وزًّا ، فشوى وأكل منه رجلا ، فسأل السلطان عن رجل الوز ، فقال : ما يكون للوز إلا رجل واحد ، فسكت السلطان . فركب السلطان وركب معه الشيخ فإذا طائفة من الوز واقفة على رجل واحد ، فقال ناصر الدين للسلطان : انظر كل واحد منها برجل واحد . فدق السلطان طبل بازه[3] فمدوا أرجلهم . قال السلطان لناصر الدين أكلت الرجل وكذبت .

قال أيضاً ناصر الدين : يافلان لإيش ما دقيت طبل بازك ذلك الوقت حتى يمد الوز المشوى رجله الملتمّ .

حكاية :

لما خطبوا بنت ناصر الدين فقال للمخاطبين لا آخذ منكم لأجل مهرها أقل من خمسين ديناراً ، فقالوا له : هذا كثير . فقال : كيف كثير و بنتى حبلى ، فقالوا : ياناصر الدين كلامك ردىء وأتْلَفت المجلس . فقال لهم : كلامى فى غاية الحسن . لأن

---

(١) ابن عثمان لقب سلاطين العثمانيين عند أهل مصر فى ذلك العصر .
(٢) يعنى نصر الدين خوجة وهو عند الترك مثل جحا .
(٣) طبل باز = طبّال . واستعمله هنا بمعنى الطبل .

الأمس باعوا فرساً بعشرة دنانير ذهبا فلما ظهر عليها الحمل زادوا في الثمن أشرفيين . فبنتى أقل من الفرس ؟ فضحكوا من كلامه فوزنوا خمسين ديناراً .

خاتمة :

قال بعض الحكماء : الهزل في الكلام كالملح في الطعام .

من المجلس الثاني

طلعت يوم الخميس رابع شهر جمادى الأولى وقعدوا في الأشرفية خمساً وثلاثين درجة ، والإمام كان الشيخ محب الدين المكى ، ووقع فيه لغز ومسائل الخ :

مخمرة :

مدح جماعة من الأفاضل خبز مدرسة المقام الشريف بالخبز المسلم وفيه ثلاثة وجوه[1] :

الأول : أن قلبه كقلب المسلم أبيض .

والثاني : أن هذا الخبز خبز أعظم المسلمين في هذا الزمان .

---

(١) هذه الأوجه لا تأتى مع تعريف الخبز بأداة التعريف وإنما يمكن الوجه الأول فقط . ولكن المؤلف مضطرب في استعمال أداة التعريف لخلو الفارسية والتركية منها .

لأن أشرف الخلق الملك ، وأشرف ملوك الأرض وأعظمهم سلطان الحرمين الشريفين ، وسلطان مصر ، ويمكن أن يراد به مثل :

أنا أبو النجم وشعرى شعرى [١]

والثالث : أن هـذا الخبز يفرق على المسلمين الصالحين القائمين بوظائفهم .

ثم حضرة مولانا السلطان بعـد أن ذاق الخبز أمر بزيادة الملح حتى يأكله الفقراء مع السعتر بالهيّن .

قلت : يا أمير المؤمنين ، و ياخليفة المسلمين ، و يا أفضل ملوك الدنيا ، و يا سلطان معمورة الغبراء ، جاء فى خاطرى حكاية إن كان الدستور فنحكى [٢] . فقال لى : احكى . قلت : عمل جهانشاه [٣] التبريزى مدرسة بالخبز الأسود ، وخمية بلا لحم ، أخذ فقير زُبدية من هـذا الطعام والخبز وجاء به قدام السـلطان فقال للسلطان كل . ما قدر السلطان أن يأكل منه اللقيمة . فقال الفقير خف من يوم يقول الله تعالى لك : كل عشرة مثل هذه الزبدية . قال السلطان : من شأن إيش ، قال : لأجل قوله تعالى

---

(١) يعنى أن وصف السـلطان بهذه الصفة كالإخبار عن الشىء المعروف ، بنفسه .

(٢) الدستور : الإذن وهى مستعملة فى العامية المصرية اليوم .

(٣) الظاهر أنه جهانشاه أحد ملوك قراقيونلى (٨٤١ — ٨٧٢ هـ)

(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) مع أنك ما تقدر أن تأكل لقيمة . فارتعد بدن السلطان من هذا البيان ، فأمر بسماط المدرسة مثل سماط العادة السلطانية ، وزاد فيه كثيراً من الأطعمة والحلاوات ، ومن جاء بعده من السلاطين اقتدوا به وعملوا فى مدارسهم سماطات عظيمة . يا أمير المؤمنين الخبز والسعتر من عادة الفقراء ، فلا بد إذا وصلوا إلى السماط السلطانى أن يغتنموا أنواع الأطعمة . فلما سمع مولانا السلطان هذه الحكاية انشرح صدره وقال : إن شاء الله تعالى أعمل فى مدرستى مثل هذا .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل : ملك الهند ذهب سمعه وصار أطروشاً ، فاشتد حزنه لما دخل عليه أهل مملكته لتعزيته عن سمعه . قال حزنى ما هو من فوت هذه الجارحة ، بل حزنى بسبب أنّى ما أقدر على سماع استغاثة المظلوم ، ولكن إذا ذهب سمعى ما ذهب بصرى . فأمرت لكل مظلوم أن يلبس الأحمر حتى إذا رأيته عرفت أنه مظلوم فأقرّبه فأُنصفه فينتصف .

من المجلس الرابع

طلعت يوم الثلاثاء تاسع جمادى الأولى وقعدوا فى الأشرفية ثمانيا وعشرين درجة ، والإمام كان الشيخ محب الدين المكى ووقع فيه مسائل .

السؤال الرابع :

قال مولانا السلطان : زكاة أربعين شاة واحدة . فما زكاة ثمانين شاة ؟

الجواب :

قيل : شاتان . فضحك السلطان وقال : هذه مسألة تعبّدية لا قياسية حتى يبلغ مائة وإحدى وعشرين فشاتان .

المناسب لهذا المجلس :

قيل : وقف ناصر الدين[١] على باب مسجد والمؤذن ينادى حى على الصلاة والناس يسارعون من كل مكان فقال : والله لو قال حى على الزكاة أو على الصدقة ما جاءه من كل عشرة واحد .

---

(١) يعنى نصر الدين خوجة . وهو جحا الترك .

الخاتمة :

سئل أنوشروان . أنت شيخ وتجمع المال . فقال : الإنسان إذا مات ويخلف لأعدائه ، خير من أن يحتاج فى حياته إلى أصدقائه .

المجلس الخامس

طلعت يوم الخميس حادى عشر جمادى الأولى وقعدوا ستة عشر درجة فى الأشرفية ، والإمام كان الشيخ كمال الدين البرقوقى .

قال حضرة مولانا السلطان : إيش الخبر فى المدينة . قال : المؤذنون يدعو لكم جميع من فى البلد .

قال مولانا السلطان : وما سبب الدعاء . فخافوا إظهار سببه لئلا يغتاظ السلطان .

قال سيدى إسماعيل : لأجل رواح الحج . قال السلطان : كل سنة يروح الحج .

ثم ذكر مولانا السلطان : أريد أن أبعث هذه المراكب مع العسكر إلى مكة وأبنى قلعة فى جدة وقلعة فى ينبع .

قلت : أهل البلد يدعون لمولانا السلطان لأجل هذا .

ثم سأل مولانا السلطان هل بطل الحج فى الزمان القديم أم لا ؟

فقيل : مذكور فى تاريخ الملك الظاهر بيبرس أن مدة عشر سنين بعد قتل خليفة بغداد بطل الحج . ومهما بعث الملك الظاهر القفل يأخذه العرب . بعد هذا بعث ألف مملوك مع الكسوة ، وفى هذه السنة أيضاً بعث هلاكوخان كسوة مكة مع عشرة آلاف طاطر[1] من عسكره . فألبسوا كسوة الملك الظاهر تحت وكسوة هلاكو فوق . فاتفق الططار مع أمير مكة أن ينهبوا قافلة الحج المصرى . لما عرف أمير المحمل اتفاقهم راح نصف الليل وقتل أمير الطاطر فى خيمته ، فركب أمير مكة مع بقيتهم وفعل بالمسلمين ما فعل ، ثم بعث أمير المحمل إلى أمير مكة مكتوباً مضمونه : العجب أنتم تساعدون الكفار . ثم قال أمير مكة : رح فهات سلطانك حتى تنتقم منا بشرط أن يركب عسكره الخيل البلق . ونهب القفل . ثم جاء أمير المحمل وذكر القصة التى وقعت من أولها إلى آخرها عند الملك الظاهر . فأمر بجمع الخيول البلق من البلاد فوجدوا سبعة آلاف فركب عليهم سبعة آلاف من الفرسان الشجعان ، و بعث فى السنة الثانية إلى الحج . ففى عاشر شهر ذى الحجة جاء الخبر أن هلاكوخان بعث

---

(١) يعنى تتارى .

ثلاثين ألفاً إلى مكة فى هذه السنة ، فركب الملك الظاهر بنفسه مع هجين ووصل إلى مكة بعشرين يوما . ولما التقى الجمعان وقع بينهما قتال عظيم وركب مع الطاطر نائب مكة . وكان فى الآخر الظفر مع الملك الظاهر ، وقتل أمير مكة ونهب عسكر الططر ، فرأى الملك الظاهر شيخا شريفاً يبارز مع هؤلاء ، فسأل الملك الظاهر هـذا الشريف مَنْ أنت ؟ فقال : أنا رجل شريف ظهر عندى عدم حقية أمير مكة لأجل مساعدة الـكفار فأغزيت فيهم . فأعجب الملك الظاهر كلامه وألبسه خلعة النيابة . وكان اسمه الشريف عجلان ، وهو جد الشرفاء الآن[1] .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قال كسرى : إذا أراد الملك أن يستخدم عاملا فى شيء فالواجب أن يحقق أخلاقه وصبره وتدبيره لنفسه ومنزله ، فإن كان حسن الخلق شديد السياسة صابراً على المشاق فليستخدمه وإن كان ضد ذلك فليحذر منه .

الخاتمة :

قال النبى صلى الله عليـه وسلم : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

---

(١) ليس فى أمراء مكة أيام بيبرس من اسمه عجلان وإنما تولى عجلان فى القرن الثامن سنة ٧٤٥ فى أيام بنى قلاوون .

من المجلس السابع

طلعت يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الأولى ، وقعدوا فى الأشرفية خمسا وعشرين درجة ، والإمام كان الشيخ محب الدين المكى ، ووقع فيه لغزان ومسائل الخ :

المناسب لهذا المجلس :

أنه سئل إسكندر : أى سلطان أطهر السلاطين ؟ فقال : الذى أمن فى ظل عدله الطاهرون ، وخاف منه المذنبون .

الخاتمة :

قال النبى صلى الله عليه وسلم : إذا دخل أحد فى بلد ليس فيها سلطان فلا تقعدوا فيه جزافا .

قال أمّ أبو الحسن[1] : لكل عضو موكل به ملك .

قال مولانا السلطان : أى ملك موكل بالبطن ؟

حادثة :

جاء خبر ضعف الشيخ جلال الدين السيوطى . فقرأ مولانا السلطان سورة الفاتحة ثلاث مرات لأجله ، وتوفى فى الجمعة .

---

(١) هذا اسم عجيب لأحد جلساء السلطان ، وكان ضحكة المجلس فيما يظهر .

من المجلس الثامن

طلعت يوم الخميس ثامن عشر جمادى الأولى ، وقعدوا فى الأشرفية خمساً وخمسين درجة ، والإمام كان الشيخ عبد الرزاق ، وحضرة مولانا السلطان مدح السعتر فى تلك الليلة كثيراً ووقع فيه مسائل الخ .

المناسب لهذا المجلس :

قيل لما قرب موت إسكندر كتب إلى أمه من بلاد الططر : أما بعد يا أمى اتركى سنة النساء من البكاء والجزع ، كما تركتُ سنة الرجال من القبائح والبدع . والمقصود من هذا الكتاب ألّا تحزنى ولا تبكى لأجلى ولا تخالفى قولى ، وقد علمت أن الموضع الذى أروح إليه خير من الموضع الذى أنا فيه . يا أمى اطهرى واستعدى لاتباعى ، فقد انقطع بالموت من الدنيا ذكرى بالرأى والتدبير ، فتحيي ذكرى بأن تصبرى وترضى بالتقدير ، فلا تعملى بى إلا ما أحبه ، لأن علامة المحب أن يعمل بما يحب حبيبه ، ويدع ما يكرهه . يا أمى بعض الناس يدلّك إلى المصيبة ليعرف طاعتك من المعصبة ، ويجرب قبولك قولى من الخلاف . يا أمى فى وقت هذه البلايا كان فكرى مشغولا بأحوال الرعايا ، واعلمى أن الخلائق تحت الكون والفساد من الابتداء إلى الانتهاء ،

والإنسان بعد انتهائه لابد أن يرجع إلى مقامه الأصلى ، فاعتبرى يا أم بمن مضى من القرون الماضية والأمم السالفة ، فانظرى إلى أبنيتهم العالية ، ومساكنهم الخالية . واعلمى يا أمى أن ابنك ما رضى أن يكون مثل الملوك الصغار ، فالواجب أن تكون أعمالك مثل أمهات الملوك الكبار . وليكن صبرك بقدر قدرك . واعلمى أن كل شىء أوله صغير ثم يكبر ، إلا المصيبة فإن أولها كبير ثم تصغر . يا أم ارضى بالتقدير ، وخلينى للعليم القدير .

الخاتمة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الموت هديّة المؤمن .

من المجلس التاسع

طلعت يوم السبت عشرين جمادى الأولى ، وقعدوا فى الأشرفية أربعين درجة ، والإمام كان الشيخ محب الدين الحلبى .

قال صاحب العقائق : إن هارون الرشيد جمع الحكماء ، وطلب منهم مدح قلة الكلام .

قال الأول : الكلام جوهر إذا تكلمت به بقى مثل الخرز .

وقال الآخر : الكلام سيف إذا تكلمت به خليته فى يد الغريم .

قال الآخر : الكلام فرس فإذا تكلمته أركبت عليه غيرك .

درة :

قال مولانا السلطان : كثرة الكلام مطلقاً ما هو مذموم ، لأن كثرة بحث العلم وكثرة النصح محمودة .

ثم قال يارأس أسود كثرة الكلام ما هو مليح ؟ قلت له : اسمع كلام حضرة مولانا السلطان فقال : السلطان ما قال إلا لأجلكم لا لأجلي[١] . قال مولانا السلطان : ما قلت يا شيخ أحمد إلا لأجلك .

المناسب لهذا المجلس :

ثلاث كلمات من الملوك الثلاثة :

قال كسرى : ما ندمت أبداً من كلام ما تكلمته ، وندمت من الكلام الذى تكلمت به .

قال قيصر الروم : الكلام الذى تكلمت به خرج من تحت حكمى وتصرفى ، والذى ما تكلمت به هو تحت تصرفى .

قال خاقان الصين : كثرة الكلام لا يخلو من الغلط والأسقام .

الخاتمة :

قيل : جمع ملك الهند أربعين حملا من الكتب فأمر بتلخيصه ، لخصوه بأربع كلمات :

---

(١) يعنى أن الخطاب لهم لا له .

الأول : دلالة السلاطين بالعدالة ، الثانى : وصية الرعايا بالإطاعة ، الثالث : التكلم بقدر الحاجة ، الرابع : الأكل بقدر قوة البدن والطاقة .

من المجلس العاشر

طلعت يوم الثلاثاء ثالث عشرين جمادى الأولى وقعدوا فى الأشرفية اثنتين وثلاثين درجة ، والإمام كان الشيخ كمال الدين البرقوقى ، ووقع فيها الألغاز ومنام الشيخ شهاب الدين المحلى :

المنام :

رأى الشيخ شهاب الدين المحلى فى المنام أنه جاءت جماعة لابسين الحديد بهيئة التركمان وقصدوا ملك مصر . ثم جاء النبى صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وقال : أنا ضامن سلطان مصر ارجعوا . وقال لى رح وكلم السلطان وقل له ليذكر ليالى العادة فى الدهيشة مع الشيخ تمرتاش والشيخ صانتباى والشيخ شاهين .

بعد عرض المنام قال حضرة مولانا السلطان : الحديد هو القوة بدليل أنى يوماً من الأيام رحت إلى بيت الأمير يشبك الدوادار ورأيت فيها أميراً وقال لى : يا أمير قانصوه رأيتك

البارحة فى المنام وأنت فى طوق كبير من الحديد ثم فى النوم عرضت هذه الواقعة على الأمير يشبك الدوادار فقل لى فى الجواب : الحديد هو القوة يحصل له دولة عظيمة وقوة كبيرة بدليل (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) لا بد أن تحصل لك السلطنة . وهذه الحكاية كانت قبل هذا التاريخ بثلاثين سنة .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل : دخل شخص عند السلطان شاه رخ[1] وقال : رأيت البارحة فى أذنك درًّا بقدر البطيخ الصيفى فقال شاه رخ استحى من هذا الكلام ؛ هل يوجد الدر أولا بقدر البطيخ فى الدنيا ، وهل يسع فى أذن شخص[2] .

قال الفقير فى جوابه : احمد الله وأشكر له ؛ لو رأيته بقدر قبة الصخرة فى أذنك إيش عملت به .

الخاتمة :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : نوم الأنبياء على ظهورهم ، ونوم المؤمنين على أيمانهم ، ونوم الكفار والمنافقين على شمائلهم ، ونوم أهل النار على وجوههم .

---

(١) شاه رخ : ابن تيمورلنك .

(٢) يسع فى أذنه الشخص ترجمة الكلمة الفارسية كنجد .

المجلس الحادى عشر

طلعت يوم الخميس خامس عشرين جمادى الأولى ، وقعدوا فى الأشرفيـة اثنتين وثلاثين درجة ، وكان الإمام الشيخ شمس الدين السمديسى ، ووقع فيه حكايات ومسائل . وكمل شاه نامه فى هذه[1] الأيام .

قلت : من عجائب دولة مولانا السلطان إتمام هذا الكتاب باسمه الشريف بالتركى .

حكاية :

قال مولانا السلطان : قصد السلطان محمود بقاء اسمه إلى يوم القيامة . قيل له : ابن العمارات العالية . فقال : تخرب بعد ثلاثمائة أو أر بعمائة سنة . فاتفق رأيهم على تصنيفات الكتب باسم السلطان محمود ، فأمروا بنظم كتاب شاه نامه وواعدوا الفردوسى بإزاء كل بيت مثقالا من الذهب ؛ فلما كمل قال وزيره : يكفى لشاعر فى كل بيت مثقال من الفضة . وكان عدد أبياته ستين ألفاً . فبعث السلطان ستين ألف مثقال فضة إلى الفردوسى . وكان فى الحمام فأعطى عشرين ألفاً أجرة الحمّامى ، و بعشرين ألفاً شرب فُقّاعا ، وعشرين ألفاً أعطى لمن جاء بها ، فلما

(١) ينظر الكلام على الشاهنامه التركية فى المقدمة .

سمع السلطان غضب عليه وأمر بقتله بعذاب أليم . واختفى الفردوسى ؛ فأنشد هجو السلطان وراح نصف الليـل عند خزين دار[1] ، وكان صاحبه وطلب كتاب الشاه نامه ليطالعه ، فأخذ الـكتاب وكتب فيه هجو السلطان محمود ، وهرب منه . وكان السلطان فى الصيد يوما من الأيام فطلب كتاب شاهنامه ، فلما فتح رأى هجوه فيه فانغاظ غيظاً عظيما وأمر بقتل الوزير ، و بعث ستين ألف مثقال ذهبا إلى مدينة الفردوسى ؛ لمـا وصلت هذه الفلوس إلى باب مدينة طوس خرج تابوت الفردوسى من باب آخر . فعرضوا هذا الذهب على بنته ماقبلته ؛ فأمر السلطان بصرف الفلوس على العمارة لأجل روح الفردوسى فعملوا قنطرة عظيمة وهى الآن موجودة[2] .

حكاية :

قال مولانا السلطان : اشتكوا عند السلطان محمود أن إياسا يروح كل يوم إلى بيت خلوة وفى هـذا البيت جوار بيض . فجاء السلطان إلى بيت إياس ودار جميع بيوته ثم قصد الدخول فى البيت المعهود . فامتنع إياس فبالغ السلطان فقال : أنا أستحى أن تدخلوا إلى هذا البيت . قال السلطان لا بد أن أدخل قال

---

(١) الخازن .

(٢) هذه قصة شائعة ينظر نقدها فى مقدمة الشهنامه العربية .

إياس : إذا كان كذلك فادخل أنت وحدك ؛ ففتح باب المخزن ودخل مع السلطان فرأى خرقة مقطعة فى البيت . قال السلطان ما هذا . فقال : هــذه الخرقة كانت لباسى قبل خدمتكم أجي كل يوم وأنظر إليها حتى لا أنسى فقرى أولاً وأعرف قدر خدمتك ونعمتك ثانياً .

حكاية :

قال مولانا السلطان : طلب السلطان محمود المماليك فجابوهم فقال إياس الخاص : يا سلطان اشترنى لله تعالى . وعندى معرفة بالأحجار والدواب والإنسان . فاشتراه وخلاه فى الطبقة . فوقع عند السلطان لؤلؤ كبير كثير الثمن فوقع الاختلاف فى ثمنه ، فقال السلطان : هاتوا إياسا ؛ فلما نظر إياس إلى اللؤلؤ قال : فى جوفه دود ، فأمر السلطان بكسر اللؤلؤ ، الأمراء امتنعوا ، وأمر إياساً فأخذه وكسره فخرج الدود من جوفه . ثم قال الأمراء حسداً عليه : يا قليل العقل بأى سبب كسرت هذا الجوهر ؟ فقال : أنا ما كسرت الجوهر بل كسرت الحجر وأنتم كسرتم الجوهر الحقيقى وهو كلام الملك . فتعجب محمود من قوله وزاد فى رزقه كل يوم رغيفين . ثم جاء فرس هدية ، قال السلطان : هاتوا إياساً لينظر الفرس أيضاً . لما نظر إليه قال هذا

الفرس شرب لبن البقر ، فسألوا صاحبه قال : نعم ، ماتت أمه وهو صغير ، فر بيناه بلبن البقر . قال الملك يا إياس بأى شيء عرفته ؟ قال : بأن رواحه مثل رواح البقر . فزاد فى رزقه كل يوم رغيفين . ثم طلبه بعد هــذا وقال يا إياس أنت قلت أنا أعرف الإنسان فاكشف حالى . قال : أخاف أن أقول . قال : لا تخف ، قال : العفو يامولانا السلطان . ما أنت إلا ابن الخباز لا ابن سبكتكين . فانغاظ السلطان . فراح عند أمه وسألها ابن مَن ؟ وقال إن صدقت خلصت من يدى و إلا أقتلك فى الساعة . قالت : أنا كنت مزوجة بسبكتكين وكان عقيما ، وكان يريد ألاّ يرث ملــكه أحد من غير بيتــه ، وعملت حيلة وقلت أنا حامل . بعد تسعة أشهر أخذت ابناً من خباز وقلت ولدته . ثم قال الملك لإياس بأى شيء عرفت أنى ابن الخباز ؟ قال بزيادة الخبز فى وظيفتى . فرباه تربية عظيمة فوق الحد والوصف .

المناسب لهذا المجلس :

قول على بن أبى طالب رضى الله عنــه : شرف الشخص بالعلم والأدب ، لا بالأصل والنسب .

الخاتمة :

قال عمر بن عبد العزيز : لو كان فى الدنيا جوهر أعلى من الـكلام ، لأنزل من السماء على الأنبياء عليهم السلام .

من المجلس الثانى عشر

طلعت يوم السبت سابع عشرين جمادى الأولى ، وقعدوا فى الأشرفية سبعاً وثلاثين درجة ، ووقع فيه مسائل ، والإمام كان الشيخ محب الدين المكى .

السؤال الثالث :

ما معنى الجركس ؟

الجواب :

قال مولانا السلطان : أصل الجركس هو صاركس ؛ جاء بنى غسّان فى خلافة عمر بن الفاروق رضى الله عنه وأسلموا وحجوا وكان . سلطانهم فى الطواف وقدم فقير عليه فدفعه فوقع ومات الفقير ؛ فجاء جماعة الفقير وطلبوا من القاتل الدم فحكم عمر بقتل القاتل أو يرضيهم وما رضوا منه إلا بقتله .

قال السلطان . أمهلونى ثلاثة أيام . وفى ذلك الليل هرب وجاء عند هرقل القيصر وتنصر فبعثهم هرقل إلى بلاد الدشت ، والجركس من نسلهم[1] .

---

(١) يعنى قصة جبلة بن الأيهم وعمر الفاروق ، وكان الغورى يرى أن الجركس من الغساسنة .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل : كان رجل طويل الأنف ومدح نفسه عند جماعة بأنه رجل متحمل المكاره . قيل له : لو ما كنت صابراً على المكاره لما قدرت أن تحمل هذا الأنف ستين سنة .

الخاتمة :

قال النبي عليه السلام : أوصيكم بالسمع والطاعة و إن كان سلطانكم عبداً حبشيًّا .

من المجلس الثالث عشر

طلعت يوم الثلاثاء سلخ جمادى الأولى ، وقعدوا فى الأشرفية ستا وثلاثين درجة ، والإمام كان الشيخ شمس الدين السمديسى ، ووقع فيه مسألة الخ .

الخاتمة :

قال الغزالى : اطلبوا العلم والعمل والمال حتى تجدوا رياسة العام والخاص وعند الله .

الحمد لله والمنة ؛ هذه الصفات موجودة فى سلطان العالم ، خليفة العرب والعجم ، يوسف مصر ، شمس الخلافة ، فلك الدولة

والسعادة ، أمير المؤمنين ، و إمام المسلمين ، الملك الأشرف ، عزيز مصر ، أبو النصر ، قانصوه الغورى عز نصره .

رب كما جعلت أغصان اللسان فى بساتين أفواه الإنسان مثمرة لذكر خيره الذى هو خارج عن الوصف ؛ اجعل مدة خلافته أكثر من ألف ألف ، والملائكة نظّارة بمواكبه الشريفة صفًّا بعد صف .

الواقعة :

وفى يوم الخميس ثانى جمادى الآخرة انتقل القاضى شهاب الدين ابن فرفور ، من دار الغرور إلى جوار رحمة الرب الغفور . خفف الله حسابه يوم النشور .

الروضة التاسعة

فى مجالس جمادى الآخرة

من المجلس الأول

طلعت يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة ، وقعدوا فى الأشرفية خمسا وأربعين درجة ، وكان الإمام الشيخ محب الدين الحلبى ، ووقع فيه مسائل وحكاية الخ .

مرحمة :

ثم سألنى مولانا السلطان فقال : أنت حجيت يا شريف ؟
قلت : لا . فقال : ألا تحج . قلت : نعم .

ثم قال : أنت دخلت بلاد الأكراد . قلت : خفت أن أدخل .

قال مولانا السلطان : لإيش . قلت : دخل شريف إلى بلادهم فعززوه وعظموه غاية التعظيم والتكريم ، ثم جاءوا وقالوا له إن بلادنا ليس فيها تربة شريف شهيد وأنت رجل فى غاية الديانة ؛ مقصودنا أن نقتلك ونبنى على قبرك تربة عظيمة ، هل نقتلك بسيف أو بخنجر ؟ فلما سمع الشريف هذا الكلام منهم هرب فى نصف الليل وترك حوائجه عندهم ،

حكاية :

قال مولانا السلطان : إن الأكراد يضيفون الضيف غاية الضيافة . وإذا خرج الضيف من بينهم يجيئون قدامه ويقولون له : إن الأكراد يعزّونك . فنحن أولى بالتعرية فإنك أكلت خبزنا وملحنا .

قال أيضاً : هم بعكس العرب : قيل أعرابى قصد قتل

واحد وجاءت زوجته بغيبة الرجل فأعطته رغيفاً . فلما رأى العرب أنه أكل من رغيفه قال : دمك ومالك صار حراماً علينا . من ناولك هذا الخبز ؟

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل : دخل لصوص الكرد إلى بيت رجل فقير (مهما فتشوا ما وجدوا فيه شيئاً [1]) . قال صاحب البيت : يا فتيان هذا الذى تطلبونه بالليل قد طلبناه بالنهار فلم نجده [2] .

الخاتمة :

قيل . حضر أعرابى فى سماط الحجاج فجابوا الحلاوة ، قصد الأعرابى أكلها . قال الحجاج من يأكل من هذا نضرب رقبته . فامتنع الناس كلهم . وكان الأعرابى ينظر إلى الحجاج مرة وإلى الحلاوة مرة وقال : أيها الأمير أوصيك بأولادى خيراً . فمد اليد إلى الحلاوة فأكل منها ، وضحك الحجاج حتى استلقى وأمر له بصلة .

---

(١) مهما هنا تقابل بالفارسية : چندانكه . وظاهر فى العبارة المحاكاة الفارسية .

(٢) هذه الحكاية فى كلستان الشيخ سعدى الشيرازى .

من المجلس الثانى

طلعت يوم الأربعاء ثامن جمادى الأخرى فى الديوان مع حضرة مفتاح أبواب البر، القاضى كاتب السر والقاضى ناظر الجيش وطلبت إجازة السفر.

قال حضرة مولانا السلطان : ما سبب سفرك ؟ قلت قولكم البارحة أولا، وصلة الرحم ثانياً. فقال : البارحة مزحت ؛ تروح من البر أو من البحر ؟ قلت : أروح من البر. فقال : ما نبعثك إلا من البحر وبلا حج ما نخليك أن تروح. وفى الآخر رضيت بالبحر.

قال مولانا السلطان : الغالب أن الشريف مفلس فى هذه الأيام. قلت : وكيف لا ؟ أعطيتنى وظيفة التصوف فى المدرسة وما وصل إلىّ جديد واحد منه[1].

قال مولانا السلطان : أُعطيتُ الوظيفة نعم. قلت اسمع يا قاضى عبد القادر وأنا من المائة.

قال السلطان : ما معنى هذا ؟ قلت : القاضى يقول لى أنت[2] خارج عن جماعة المتصوفة.

---

(١) الجديد سكة لا تزال تذكر على لسان عامة مصر.

(٢) بنى السلطان مدرسة فى الغورية وأجرى فيها أرزاقا على الصوفية

قال مولانا السلطان : أنت من المـائة بدل شهاب الدين الرملى . وزاد عليها من الجوالى بمصر كل يوم نصف فضة .

ثم قرأنا الفاتحة ونزلنا .

المجلس الثالث

طلعت يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة وقعدوا ثمانى عشرة درجة فى الأشرفية ، وكان الإمام سيدى على الأخميمى ، ووقع فيه مسائل :

السؤال الأول :

قال الله تعالى فى حق يحيي (سيداً وحصوراً) .

وقال فى حق مالك يوسف (وألفيا سيدها لدى الباب) .

كيف يجوز مدح كافر بمدح نبى ؟

الجواب :

قال مولانا السلطان : وصف الله تعالى مالك يوسف بالسيد لأنه ما التفت إلى شكوى زليخا وحكم بينهما بالحق ؛ ولهذا وصفه بالسيد .

السؤال الثانى :

ما حكمة وصف مالك يوسف بوصف العزة فى قوله (امرأة العزيز) مع أنه قال فى حق نبيه (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز) ؟

الجواب :

قال مولانا السلطان : بسبب إعزاز يوسف فى قوله (أكرمى مثواه) وصل إلى درجة العز .

السؤال الثالث :

يوسف الصديق هل وصل إلى درجة السلطنة أم لا ؟

الجواب :

قيل : نعم بدليل (رب قد آتيتنى من الملك) وضعفه ظاهر .

حكاية :

قال مولانا السلطان : إن الريان كان سلطاناً ذا شوكة وكان له فى مصر ثلثمائة وستون مقعداً ويجلس كل يوم فى مقعد ؛ وفى سنة كاملة يدور جميع المقاعد . وسافر إلى بلاد الحبشة اثنتى عشرة سنة . وكان يوسف نائباً عنه فى مصر وما تغير حال مملكته قط بغيبته .

قال صاحب العقائق : القميص الذى لبسه يوسف فى الجب لما لبسه أبوه ارتد بصيراً ، و بعد هذا كل من يلبس هذا القميص لو كان شيخاً يصير شابًّا .

درة :

قال مولانا السلطان : يا ليت هـذا كان فى خزينتنا حتى نلبس به ابن عبد العزيز ليصير شابا . قلت : هو صار شابا بسبب التفات مولانا السلطان .

حكمة :

قال مولانا السلطان : ملوك الصين يسمونهم بالخاقان قديماً ، و بالفغفور حديثاً .

وملوك الترك العظام يسمونهم خان ، ودونهم يسمونهم بكوركان[1] .

وملوك العجم يسمونهم قبل الإسلام بكسرى ، و بعد الإسلام يسمونهم بادشاه .

وملوك الروم فى الجاهليـة بقيصر ، وفى الإسلام يسمونهم بخوانكار[2] .

---

(١) معناه بالمغولية : الصهر . وبه لقب تيمور .

(٢) يعنى سلاطين السلاجقة والعثمانيين فى آسيا الصغرى التى كانت تسمى بلاد الروم . وكلمة خوانكار (وتكتب أحيانا خنكار) مختصرة من خداوندكار بمعنى السيد أو الأمير

وملوك الهند يسمونهم قديماً بِرَاى ، وحديثاً يسمونهم بفور .

وملوك اليمن يسمونهم فى الجاهلية بتُبَّع ، وفى الإسلام يسمونهم بالمشايخ .

وملوك مصر يسمونهم فى الكفر بفرعون ، وفى الإسلام يسمونهم بالعزيز .

وملوك الحبشة يسمونهم بالنجاشى .

وفى جميع بلاد الإسلام الآن يسمون ملوكهم سلطان وبَكْ .

المناسب لهذا المجلس :

قول سيد العرب والعجم ، صلى الله عليه وسلم : سيد الكلام العربية ، وسيد كلام العربية القرآن ، وسيد القرآن آية الكرسى . وسيد الجبال طور سينا ، وسيد الأشجار طوبى ، وسيد البلدان مكة ، وسيد السودان لقمان ، وسيد فارس سلمان ، وسيد الروم صهيب ، وسيد الحبشة بلال ، وسيد القوم خادمهم .

الخاتمة :

اشترى رجل شيئاً فمر بسلمان الفارسى رضى الله عنه وهو لا يعرفه ، وكان أمير المدائن ، وقال له : احمل هذا ياعلج . ولقيه واحد وقال ادفعه إلىّ أيها الأمير ؛ فقال لا والله مايحمله إلا العلج .

من المجلس الرابع

طلعت يوم السبت حادى عشر جمادى الآخرة ، وقعدوا فى الأشرفية ثلاثين درجة ، وكان الإمام الشيخ عبد الرزاق ، ووقع فيه مسائل الخ

حكاية :

قال صاحب العقائق : خرج رجل من مصر ودار البلاد مدة مديدة ، ولما وصل إلى الصالحية ومعه خرج من الأقمشة جاء اص نصف الليل وربط رجله بحبل إلى مسمار وأخذ الخرج من تحت رأسه ؛ فجاء اللص إلى مصر ودقّ باباً وخلّى الخرج عندهم أمانة ، ثم جاء الخواجة [١] إلى بيته مهموماً فلقى خرجه فسأل امرأته ؛ فقالت أمانة لجماعة غرب . فبعد يوم جاء اللص ودق الباب ، فبعث الخواجة له الحبل والمسمار .

المناسب لهذا المجلس :

قيل : رجل اشترى الأحجار لأجل البناء فجاء االص وأخذها ؛ فالتقى بصاحب الحجر فقال له اللص والله ما عرفت

---

(١) يعنى التاجر . وكلمة خواجه (والواو غير ملفوظة) تقال للسيد والتاجر . وبها سمى تجار الأوربيين ثم قيلت لكل أوروبى

أنها لك ، فقال صاحب الحجر هب أنك ما علمت أنها لى ؛ أما علمت أنها ليست لك ؟.

الخاتمة :

سرق خرج لشخص وفيه ثيابه وأسبابه ؛ قيل له وجب أن تقرأ سورة يٓس وتعملها تعويذا ، قال المصحف الكامل كان أيضا فى الخرج وسرقوه .

من المجلس الخامس

ظلعت يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الآخرة ، وقعدوا خمسين درجة فى الدُهَيشة ، والشريف ما كان حاضرا فى خدمته ، فسأل عنه السلطان ، فقلت : الشريف مريض ثم قال هل عنده أحد يخدمه ؟ فقلت : عنده جارية سوداء ، قال السلطان : ليله ظلام ونهـاره ظلام . وكان الإمام الشيخ محب الدين المكى ، ووقع فيه حكايات الخ

من المجلس الثامن

طلعت يوم الخميس ثالث وعشرين جمادى الآخرة ، وقعدوا فى الأشرفية خمسا وأربعين درجة ، ووقع فيه مسائل ، وكان الإمام الشيخ عبد الرزاق .

حكاية :

قال فى التاريخ : ذِكْر الحاكم بأمر الله[١] .

لطيفة :

قال مولانا السلطان : ينبغى أن يقال : ذكر الحاكم بغير أمر الله .

غريبة :

ووقع البحث فى نهاية زيادة النيل . قيل : اثنين وعشرين ذراعا ؛ قال أم أبى الحسن : أنا رأيت الماء فى القرافة .

قال مولانا السلطان : هذا جزاف لأنه لو زاد المـاء خمسة وعشرين ذراعا ما يصل الماء إلى القرافة .

عجيبة :

ذكروا فى التاريخ زيادة شط بغداد وتخريبه ووصول الماء إلى دار الخلافة فركب الخليفة على مركب وما وجد طعاما يأكله أياما .

---

(١) يعنى أنهم كانوا يقرءون كتابا فى التاريخ وفيه فصل عنوانه : ذكر الحاكم بأمر الله .

السؤال الأول :

قال مولانا السلطان : هل تجوز الزكاة على اليهود والنصارى فى المذاهب الأربعة ؟ .

قلت : عند الإمام أحمد يجوز أن يكون العامل نصرانيا أو يهوديا .

السؤال الثانى :

قيل : هل يجوز للشريف أن يأخذ الزكاة ؟

الجواب : قالوا : لا .

قال مولانا السلطان : ولا الصدقة أيضاً . لأنهم من أولاد أشرف المخلوقين ؛ فبسبب أخذ الزكاة والصدقة تكسر حرمتهم ، بل لا بد من رعاية الأشراف من جهة الخُمس[1] .

السؤال الثالث :

هل تجوز الزكاة لليتيم ؟

---

(١) خمس الغنائم .

الجواب :

قال مولانا السلطان : لا بد من رعاية الأيتام مثل أولاد الصلب .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل : الأمير نصر أحمد السامانى [١] كان من كبار سلاطين سمرقند . وكان له فقيه وهو صغير ، فلأجل التعليم ضربه كثيراً . وكان فى خاطر السلطان أنه إذا تولى المملكة فأول حكمه أن يأمر بضرب الفقيه . لما تسلطن بعث طواشيا مع الفاق والعصا . لما رأى الفقيه هذا عرف أنه يوم الانتقام والجزاء . فأخذ سفرجلا وراح إلى خدمته . قال له الملك : كيف حالك وما بالك ؟ فأخرج الفقيه السفرجل وقل : هذه الفاكهة اللطيفة لا تحصل إلا من العصا . وهذه الصفات المرضية والأخلاق الحميدة التى فيك من هذا . وذلك الوقت الأمر أمرك والحكم حكمك . فأمر له بخلعة فاخرة .

(١) يعنى نصر بن أحمد وهو الرابع من الملوك السامانيين (٣٠١ — ٣٣١) .

الخاتمة :

قال إسكندر : ينبغى للعاقل أن يخاطب الخصم مخاطبة الطبيب المريض .

من المجلس العاشر

طلعت يوم الثلاثاء ثامن عشرين جمادى الآخرة ، وقعدوا فى الدُهَيشة أربعين درجة ، وكان الإمام الشيخ كمال الدين ، ووقع فيه مسائل :

السؤال الأول :

[مناقشة فى الخلافة والسلطنة]

قال مولانا السلطان : إذا كان السلطان فى الجنازة حاضراً مَن الأولى بالإمامة ؟

الجواب :

قلت : السلطان فى مذهب أبى حنيفة وقول الشافعى القديم ومالك وأحمد رحمة الله عليهم .

السؤال الثانى : ثم من ؟

الجواب : قلت : القاضى .

قال أم أبى الحسن : الأولى هو الخليفة .

قلت : اسم الخليفة ما هو مذكور فى كتب الفقه .

قال أم أبى الحسن : لا تصح أنكحة المسلمين فى بلادٍ مالبس سلطانُهم خلعة الخليفة ، وأولادهم أولاد الزنا .

قلت : فعلى هـذا أولاد بلاد الروم والعرب والعجم كلهم أولاد الزنا . لأن سلاطينهم ما لبسوا خلعة الخليفة قط .

المطايرة :

قيل : أى شىء فى بلاد العجم صحيح حتى تكون سلطنتهم أيضاً صحيحة ؟

الجواب :

قلت : من يقول هؤلاء خلفاء ، ومن ولّاهم[١] ؟

مطايبة :

قبل هذا التاريخ بأربعين سنة[٢] بعث خليفة مصر خلعة

(١) يعنى الخلفاء العباسيين فى مصر

(٢) سلطان مصر قبل أربعين سـنة من تأليف هذا الـكتاب كان السلطان قايتباى (٨٧٢ ـــ ٩٠١) .

إلى سلطان العجم جهانشاه[١] فقعد فى بابه القاصد مدة ستة أشهر فذكروه عند السلطان . لما دخل القاصد وذكر قصة الخلعة قال الملك : لو ما كنت غريباً لقطعت لسانك . ثم قال الملك : البس خلعة خليفتك أنت . وأعطاه ثلاثمائة دينار ؛ وقال ما أعطيتك هذا الفلوس لأجل الخلعة ولكن أعطيتك لأنك جئت إلى أبوابنا الشريفة . والعلماء ما أنكروا على السلطان .

حكاية :

بعث خليفة مصر خلعة إلى بلاد ابن عثمان لأجل السلطان محمد[٢] الرومى . لما دخل فى مجلسه العلى وذكر قصة الخلعة قال السلطان : أنا خليفة الأرض ينبغى أن ألبس الخلعة جميع سلاطين الدنيا . فقطع خلعة الخليفة وقال : ما يستحى ذلك الشويخ أن يتكلم بهذا الكلام وانغاظ يومين . وعلماء الروم ما أنكروه[٣] .

---

(١) ينبغى أن يكون المراد جهانشاه بن قره يوسف من أسرة قرا قيونلى الذين حكموا فى العراق وأذربيجان (٧٨٢ — ٨٧٤) وكان ولاية جهانشاه من ٨٤١ إلى ٨٧٢ وكان الخليفة العباسى إذ ذاك المستنجد بالله يوسف (٧٥٩ — ٨٨٤) .

(٢) السلطان محمد إما أن يكون محمد بن با يزيد المعروف باسم محمد جلبي (٨١٦ — ٨٢٤) وإما أن يكون محمداً الفاتح (٨٥٥ — ٨٨٦) .

(٣) رواية فيها نظر ؛ فان رسائل السلاطين العثمانيين تدل على تعظيم الخليفة العباسى .

الجدل :

قال أم أبي الحسن : ما تقولون فى حديث عباس : الخلافة فيك وفى أولادك إلى يوم القيامة ؟ .

الجواب :

قلت : هذا حديث موضوع ؛ لأنه لو كان هذا الحديث صحيحاً لما تقدم أبو بكر على عباس رضى الله عنهما ، لأن هذا نص فى العباس . وأيضاً إذا كان الخلافة بالإرث فلا بد بعد أبي بكر أن يكون الخليفة ابنه ، ويلبس الخلعة عمر من ابن أبى بكر رضى الله عنه .

وأيضاً قال أهل السنة : الخليفة الحق بعد النبي عليه السلام أبو بكر . وقال الشيعة : الخليفة علىّ . وما شك أحد من الفريقين فى خلافة عباس .

السؤال الثالث :

قيل : وصّى النبي عليه السلام بالخلافة لأبى بكر ثم لعمر ثم لعثمان ثم لعلى رضوان الله عليهم أجمعين .

الجواب :

قلت : هـذا مخالف لقوم المتكلمين لأنهم قالوا : ما وصّى النبي عليه السلام بالخلافة لأحد من الصحابة ؛ بل صار الأمر بعده بالمبايعة ؛ فبايع الصحابة لأبى بكر رضى الله عنه ثم وصّى لعمر . فعمل عمر أمر الخلافة بالشورى بين طلحة والزبير وعثمان وعلى وعبد الرحمن وسعد . وقال : لو اتفق هؤلاء الستة على واحد فهو الخليفة . ولو اتفق أربعة على واحد فاعملوه . ولو اتفق ثلاثة على واحد وثلاثة على واحد فاعملوا مَن ابن عوف معه . واتفق الثلاثة مع ابن عوف على عثمان فعملوه خليفة . ثم بعد عثمان بقى أمر الخلافة مهملا فاختار المسلمون علىّ بن أبى طالب .

التحقيق :

وأنت تعلم أن معاوية ما لبس خلعة الخلافة من العباسيين ولا يزيد . وكذلك مروان والوليد ، مع أن عبد الله بن عباس كان فى زمانهم .

أعلم أن الخلفاء العباسية ما ولاهم إلا أبو مسلم الخراسانى .

السؤال :

قال مولانا السلطان : ما مقصودك من هذا البحث ؟

الجواب :

قلت : أريد أن أخرج نفسى من بين أولاد الزنا . لأن سلاطين بلادنا ما لبسوا خلعة الخليفة قط .

السؤال :

قال مولانا السلطان : أنت دخلت مجالس سلاطين العجم ورأيت مجالسنا ؟

الجواب :

قلت : إشكالى ما هو إلا هذا : لأنهم بطول النهار فى الخمر والزمر ؛ ومع هذا لا يشك أحد فى صحة توليتهم ؛ فكيف يجوز أن يشك أحد فى سلطان الحرمين الشريفين وعزيز مصر ويقول: توليته بغير إذن الخليفة لاتصح ؟

السؤال الرابع :

قال مولانا السلطان : كم تكبيرة فى صلاة العيد ؟

الجواب :

قلت : يرتعد بدنى وما أقدر أن أتكلم .

قال مولانا السلطان : خفت ؟ . قلت : لا .

الجواب :

قلت : خمسة فى مذهب الشافعى فى الركعة الأولى بغير تكبيرة الإحرام وتكبير الركوع ، وخمسة فى الركعة الثانية. وعند أبى حنيفة رحمه الله فى الركعة الأولى خمسة مع تكبيرة الافتتاح وأربع فى الثانية فالمجموع ثمانية[1] .

المجاراة :

قال كمال الدين البرقوقى : يامجنون .

الجواب :

قلت : المجنون ما هو إلا أنت .

قال مولانا السلطان : لا تتكلم مع الشريف بالحرق .

جدل :

قال خواص المؤذن : يا مولانا السلطان من وُلد فى بلاد ما لبس سلاطينهم خلعة الخليفة لا يليق بهذا المجلس .

الجواب :

قلت : اسكت . قال مولانا السلطان : تخلصت لو جبت

---

(١) تكبيرات العيد عند الحنفية ثلاث فى كل ركعة وقد زاد المؤلف عليها تكبيرتى الركوع .

الفتوى من الأئمة الأربعة . قلت : لو ما جبت ليضرب رقبتى حضرة المقام الشريف .

المناسب لهذا المجلس :

قول سلطان الأنبياء عليه أفضل الصلاة والسلام : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا و إمارة .

الخاتمة :

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أعدل الناس يستحق أن يكون أميرا عليكم .

من المجلس الحادى عشر

طلعت يوم السبت ثامن عشرين جمادى الآخرة ، وقعدوا فى الدُهَيشة أربعين درجة ، وكان الإمام الشيخ شمس الدين السمديسى ، وجاء المماليك الصغار وقرءوا قدّام مولانا السلطان جوقا بعد جوق ، وما وقع البحث فى تلك الليلة .

الخاتمة :

قال أفريدون الملك : لا بد أن يكون السلطان تام الخلقة ،

عظيم البطش والقوة ، جهير الصوت ، لأنه أوقع فى النفوس ، تام القامة ، سليم الأعضاء والحواس .

وكان العجم يصوّرون صور سلاطينهم ووقائعهم فى جدران بيوتهم تخليدا لذكرهم .

وهذا موافق للشريعة الغراء المحمدية (عليه الصلاة والسلام) وهو أنهم قالوا : شرط الإمام أن يكون عاقلا بالغا مسلما حرا ذكراً مجتهداً شجاعا ذا رأى وكفاية سميعاً بصيراً ناطقاً سليم الأعضاء قرشيا . وإن لم يوجد قرشي مستجمع للشروط فكنانى ، وإن لم يوجد فمن ولد إسماعيل ، وإن لم يوجد يولّى المستجمع من العجم أو من ولد إسحاق .

الحمد لله والمنة ؛ أصل الجركس من بنى إسحاق ، وجميع هذه الشرائط موجودة فى السلطان الأعظم ، الخليفة المعظم ، عمدة سلاطين الآفاق ، وقدوة الملوك بالاستحقاق ، مظهر أسرار « جعلناكم خلائف فى الأرض » سلطان الأقاليم السبع بالطول والعرض ، أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ، الملك الأشرف أبو النصر ، عزيز مصر ، قانصَوه الغَورى . اللّهم كما محوت راية الظلم وجعلت آية النهار مبصرة ، وصيّرت هجوم عصاة دولته عند ارتفاع شعاع صولته كحُمُر مستنفرة فرّت من قسورة ، اجعل ذيل مدة

بقائه إلى الأبد، وزين ملكه بزينة « مالم يؤت أحد »(١) بجاه محمد يا واحد يا أحد ، إنك بالإجابة جدير يا فرد ياصمد .

الروضه العاشرة فى مجالس شهر رجب

المجلس الأول

طلعت يوم السبت ثالث شهر رجب المرجّب ، وقعدوا فى الدُهَيشة أربعين درجة ، وكان الإمام الشيخ محب الدين المكى ، وسأل حضرة مولانا السلطان جواب مسألة الخلافة ؟

قمت و بست الأرض وقعدت فى وسط المجلس وأخرجت الفتاوى . وكان المكتوب فيها :

ما قول سادة العلماء رضوان الله تعالى عليهم فى رجل يقول لا تصح أنكحة المسلمين ولا ولاية حضرة سلطان مصر ثبّته الله تعالى على قواعد مملكته بلا استخلاف أمير المؤمنين يعقوب المستمسك بالله خليفة مصر العباسى . ويصرّ بهذا القول ولا يرجع بفتوى الأئمة الأربعة . هل للحاكم أن يعزره أم لا ؟

الجواب :

كتب الشيخ برهان الدين ابن أبى شريف فى الجواب :

الحمد لله الهادى للصواب ؛ ليس الأمر كما قال هذا القائل ،

(١) إشارة إلى الآية : وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين .

ومن عاند فى ذلك وأصرّ على المعاندة يعزّر ، والله أعلم .

وفى آخره : كتب إبراهيم بن أبى شريف الشافعى

الجواب : وصححه الشيخ كمال الدين الطويل .

الجواب :

وصححه القاضى عبد البر بن الشحنة قاضى قضاة الحنفى .

وصححه أيضاً الشيخ برهان الدين الدميرى قاضى قضاة المالكى.

وصححه قاضى قضاة الحنبلى .

الجواب :

وصححه أيضاً الشيخ بدر الدين الديرى الحنفى .

هذيانه :

ثم قال أم أبى الحسن : فخر سلطان مصر على سلاطين الدنيا بأنه هو نائب الخليفة ؟

الجواب :

قلت : بقى عليكم شىء وهو أن سلطان اليمن مستقل فى السلطنة بلا نيابة أحد ؛ فكيف يجوز أن يكون سلطان مصر

والحرمين الشريفين نائبا ، ولا يفتخر أحد بالنيابة غير الشرعية .

المسألة :

قال حضرة مولانا السلطان : ماتقول فى الملك بيبرس الظاهر أنه لبس خلعة الخليفة ؟

الجواب :

قلت : لأجل جبر خاطرهم لأنهم كانوا أولاد الخلفاء العباسية وكانوا مكسورى الخاطر ؛ فقصد الملك الظاهر تعظيمهم ولبس منهم خلعة . ونخر الخليفة أنه لبس منه سلطان مصر . ولا يفتخر سلطان مصر بخلعته .

هذيان :

قال أم أبى الحسن : لو تكلم الشريف هذا الكلام فى زمن السلطان قايتباى لضرب رقبته .

ثم غضب حضرة مولانا السلطان وقال : أنت جئت لتضرب رقبة الناس ؟ ما لنا بك حاجة و بالذى يضرب رقبة أصحابنا ؛ كنتَ فى لعنة الله لولا تضرب رقبته بكرة بالشرع[1] .

درة :

وفائدة كلامك أن قايتباى كان ظالما بهذه المرتبة ؛ متى

---

(١) الخطاب للشريف مؤلف الكتاب .

رأيت السلطان قايتباى ومتى دخلت مجلسه . أنت تحسب أنا ما أعرفك ؟

دره :

وقال له : أنت تقعد فى وسط المجلس بسبب إيش ، وتتكلم كثيراً ؟ قم .

دره :

ثم التفت حضرة مولانا السلطان إلى اليمين وإلى اليسار وقال : ما أنتم شاهدون على أنه قال رأس أسود : لا تصح أنكحة المسلمين فى بلاد ما لبس سلطانهم خلعة الخليفة وكلهم أولاد الزنا ، ولا يصح أيضاً تولية سلطانهم . روحوا بكرة مع الشريف واشهدوا عند القضاة الأربعة . ومهما يجئ عليه بالشرع اعملوا به

هذيانه :

قال : أنا قلت : لا تصح أنكحة المسلمين فى مصر إلا باستخلاف الخليفة .

فغضب عليه مولانا السلطان ثانياً وقال : بلاد مصر ليست ببلاد المسلمين أو سلطانها أقل من سلاطين الدنيا ؟

لحضّار المجلس قالوا له : قم من مقابلة السلطان . فصار كالميت .

جوهرة :

قال حضرة مولانا السلطان : يا شريف أنت وأولاد الروم والمغرب والعجم واليمن كلكم روحوا معه عند القضاة وعزروه .

عجز :

وفى آخر المجلس راح أم أبى الحسن وباس رجل الشيخ محب الدين الإمام فشفعوا فيه .

فطلبنى حضرة مولانا السلطان وقال : اصطلحوا ولا تذكروا من هذا الكلام .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل لأنو شروان : ما بال الرجل يتحمل حمل الثقيل ولا يتعب به ولا يتحمل مجالسة الثقيل ؟

الجواب :

قال أنو شروان فى الجواب : لأن حمل الثقيل تساعده فيه جميع الجوارح ومجالسة الثقيل تنفرد فيها الروح .

الخاتمة :

قال إسكندر : أضيق الحبُوس مجالسة الثقيل .

من المجلس الثالث

طلعت يوم الخميس ثامن شهر رجب ، وقعدوا فى الدهيشة سبعاً وعشرين درجة ، والإمام كان الشيخ محب الدين الحلبى ، ووقع فيه مسائل .

ذكر فى التاريخ كتاب دارا إلى إسكندر وهو هذا :

من داراب ملك ملوك الدنيا الذى أنور من السماء إلى ذى القرنين اللص . أما بعد : اعلم أن ملك السماء جعلنى ملك ملوك الأرض ، وقد بلغنى أنك جمعت لصوصا لتفسد فى أرضنا ، واعتقدت أن تغلب على بلادنا . فارجع إذا نظرت إلى كتابنا من غير مؤاخذة بسفك الدماء . فإنك غلام حقير ليس مثلى مقابلك . أبقِ على نفسك و بلادك و إلا كنت أول مشئوم على ديارك .

جواب الكتاب :

من ذى القرنين بن الفيلفوس الملك إلى الذى زعم أنه ملك للملوك وأن جند السماء له ، وأن جنود الدنيا منه .

و بعد : فقد كتبت أن إضاءتى كاضاءة الشمس ؛ فكيف

يجوز أن يهابك إنسان صغير مثل ذى القرنين . فلا تظنن نفسك ملك الملوك وأن نور الدنيا منك ، وإنما ملك الملوك هو الله الذى خلق المُلك والمَلِك ، يؤتى الحكمة من يشاء وينزع الملك ممن يشاء . وإنما أنت إنسان مترف أظهر لك جهلك . سميت نفسك باسم الإله الذى يحيي ويميت ، وهو حى لا يموت . ويجب عليه الغضب ممن تسمى باسمه . وكيف يكون ملك الملوك من يموت ويذهب سلطانه ويترك دنياه بغيره . وما أنت إلا ضعيف من الضعفاء ولا تطيق مساواة ذوى القوة والبأس .

والآن أنا متوجه لقتالك لأذيقك مثل ما يذيق الميت ملك الموت . وأرجو النصرة من الإله الذى خلقنى وإياه أعبد وبه أستعين .

واعلم أنك غلوت فى نفسك ، وسطوت فى سلطانك .

وأرجو أن يساعدنى الله بقدر ما رفعت نفسك حتى يسمع أهل الأرض . وعليه توكلت وإليه أنيب .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل لبزرجمهر : هل تعرف نعمة لا يحسد عليها صاحبها ، وبلاء لا يرحم عليه صاحبه ؟ قال : نعم . أما النعمة فهى التواضع . وأما البلاء فهو الكبر .

الخاتمة :

قال جمشيد الملك : هلاك المرء فى العجب والكبر .

من المجلس الرابع

طلعت يوم السبت عاشر شهر رجب ، وقعدوا فى الدُّهيشة عشرين درجة ، وكان الإمام سيدى على الأخميمى . وفى تلك الليلة ماغير حضرة مولانا السلطان قماشه، وقعدوا فى الدهيشة من أول طارئ إلى آخر المجلس . ووقع فيه مسائل ، وجابوا مماليك الصغار وقرءوا فى المجلس . وكان كثير من الأمراء واقفين فى خدمته ، وأم أبى الحسن أيضا كان واقفا بينهم .

***

فراح حضرة مولانا السلطان إلى المبيت فطلب قاضى غزة ، فدخل أم أبى الحسن مع القاضى بلا سؤال .

قال حضرة مولانا السلطان : من طلبك يا شيخ أحمد ؟ فقام على حيله . و بعد ساعة تكلم وقال : فى يوم بنى الجامع عمرو ابن العاص عمل فيه ثمانمائة زوج من البساط أقل طول كل واحد منه عشرون ذراعا فى عرض عشرة . فتعجب الحضّار .

جوهرة :

قال حضرة مولانا السلطان : هذا الكذب قطرة من نهر

كلامه . قلت : أولاً قد ثبت أن الصحابة رضى الله عنهم ما صلّوا على البساط .

درة :

قال حضرة مولانا السلطان : على تقدير الوجود هذا يملأ عشرة مثل هذا الجامع فما حكمة الإسراف فى البسط ؟

المناسب لهذا المجلس :

قيل : خرج ضرير فى ليل مظلم وفى يده لحم على الساج وفى يده الأخرى السراج . قيل له : حمل سراج الضرير من صقاعة الذقن وسوء التدبير . لأن الليل والنهار متساويان عند الضرير . فضحك الأعمى وقال : إسمع ؛ فائدة حمل هذا النور لأجل مثلك أعمى القلب المغرور ، حتى لا يدفعونى ويكبوا طعامى لا لأجل نفسى .

الخاتمة :

قال الخليفة لابنه : إذا أردت المهابة فلا تكذب ؛ لأن الكاذب لا يُهاب ولو كان معه مائة ألف سيف .

المجلس الخامس

طلعت يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رجب ، وقعدوا فى

الدهيشة ثمانياً وثلاثين درجة ، وما خرج حضرة مولانا السلطان بعد المغرب من الدهيشة ، وكان الإمام فى تلك الليلة الشيخ شمس الدين السمديسى ، ووقع فيه مسائل .

السؤال الأول :

قال مولانا السلطان : ما معنى أشتاتا فى اللغة ؟ .

الجواب :

قال أم أبى الحسن : إن فى القيامة يعطر أربعين يوما منى الآدمى . الرد : قلت : لا دخل لهذا الكلام فى جواب سؤال مولانا السلطان .

تحقيق :

قال مولانا السلطان : ياشيخ أحمد تريد أن تتوه كلامى وسؤالى .

السؤال الثانى :

قال مولانا السلطان : ما معنى قوله تعالى : (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء) . ماشجرة بهذه الصفة فى الدنيا ؟

الجواب :

قلت : المراد من السماء هو العلو . أو نقول : المراد من الشجرة النخل . أو نقول : يمكن أن يفرض شجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . وشبهت الكلمة الطيبة بها مثل قول القائل :

أعـــــلام ياقوت نشر   ن على رماح من زبرجد

ولا يلزم أن يكون المشبّه به موجودا .

السؤال الثالث :

قال مولانا السلطان : ما معنى لفظ الحين فى آخر هـذه الآية الكريمة ؟

الجواب :

فيه اختلاف بين المفسرين . قيل : المراد من الحين ستة أشهر وقيل شهران .

قال السمديسى : الحين يطلق ويراد به أربعون سنة كقوله (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) .

وقد يطلق ويراد به ستة أشهر بدليل (تؤتى أكلها كل حين) وقد يطلق ويراد به الآن .

السؤال الرابع :

قال مولانا السلطان : لفظ الحين فى هذه المعانى مستعمل على الحقيقة أو على المجاز ؟ وعجز الشيخ عن الجواب

الجواب :

قلت : قد يطلق الحين أيضاً على القيامة مثل (فتمتعوا حتى حين) .

وقد يطلق بمعنى الموت كقوله تعالى (ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين) .

التحقيق :

قلت : هذه المعانى الثلاث التى ذكرها الإمام فى اصطلاح الفقهاء . وأما عند أهل التفسير فاستعمالات لفظ الحين كثيرة .

واقعة :

وفى هذه الأيام خرج ثيران السلطان إلى برسيم ، ونهب خدام الثيران بعض الدكاكين . وكانت هذه عادة مستمرة ، وبدعة مستقرة ، فى زمن السلاطين السالفة مثل بيبرس وقلاوون .

لما سمع حضرة مولانا السلطان أنهم نهبوا أمر بالنـداء

برفع هذه البدعة القبيحة والعادة السيئة .

وأمر أيضاً بالنداء : من ضاع منه شيء بسبب هذه الجماعات لا بد أن يجيء و يأخذ من حاجي بركات المحتسب . وخلّى عنده ألف دينار .

ثم كتب أصحاب الدكاكين فكان كل ماضاع منهم ثلاثمائة دينار . فأخذوها من المحتسب .

العدل :

قال حضرة مولانا السلطان : لو ضاع منهم والله عشرة آلاف لأعطيتهم .

سياسة :

وقال للجماعة الذين اشتكوا : لأى شيء ما قتلتم هذه الجماعة البقّارة .

مرحمة :

وقال حضرة مولانا السلطان : لو كان ابنى يظلم الناس مالى حاجة به .

الإنصاف :

ثم أمر حضرة مولانا السلطان بصلبهم . فشنقوا أربعا منهم وجرّسوا البواقى .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل : خرج ليلا السلطان محمود بزى فقير ، فرأى عجوزاً مهمومة فقال : ما سبب همك ؟ قالت : يجئ جندى و يزنى ببنتى قال : ما لباسه وما زيه ؟ قالت : كذا وكذا . قال الملك مهما يجىء أخبرى فلانا الطواشى .

لمّا أخبرته خرج السلطان بهيئته الأولى وفى يده سيف ، فجاء إلى بيت العجوز وقال : يا عجوز أطفئى السراج . فقتل الجندى . ثم قال السلطان : هل عرفت من هو ؟ قالت : لا . قال : هذا ابنى ، وأنا السلطان محمود ، وأنا أمرتك بإطفاء السراج حتى لا أنظر وجهه فأرحمه .

الخاتمة :

قال أنو شروان : إصلاح الرعية أحسن من كثرة الجنود والمملكة .

المجلس السادس

طلعت يوم الخميس خامس عشر شهر رجب ، وكان الإمام الشيخ محب الدين المكى ، وعمل حضرة السلطان مولداً جمع فيه السادات والعلماء والقضاة والمشايخ والأمراء ، وحضره المخدوم تاج الأكابر القاضى كاتب السر ، والقاضى عبد القادر القصروى ، ولبس الأمير الكبير بعد العشاء خلعة بدن مولانا السلطان ، وقعدوا فى الدُهَيشة خمسا وسبعين درجة .

المناسب لهذا المجلس :

قيل لما قصد إسكندر تسخير مُلك الصين جاء رسول من الخاقان إلى إسكندر وقال : أمرنى الخاقان أن أتكلم فى الخلوة . فربطوا يديه وطلعوا به إليه . قال إسكندر : ما رسالتك ؟ فقال : أنا ملك الصين جئت إليك ، مهما تحكم أطاوع ، ومهما تأمر أسمع . قال له إسكندر : ما خفتَ من هذه الجرأة ؟ فقال الخاقان : قد عرفت أنك ملك صاحب دولة ، وما بينى و بينك نفاق ، ولا بين آبائى وآبائك خناق . ولو تقتلنى قتلت شخصا واحدا من عسكرى ، فيولّون شخصاً آخر فى موضعى .

لما سمع إسكندر عظّمه تعظيما عظيما . ثم قال إسكندر لخاقان

الصين : نطلب منك أن تبوس الأرض ، وخراجَ ثلاث سنين . فقبلها بالسرعة .

ثم قال إسكندر : فكيف حالك بعد هذا ؟ قال فى غاية المذلة ؛ أخرب أنا والرعية .

ثم قال : لو نقنع بخراج سنتين فما حالك ؟ قال أحسن من الأول .

ثم قال : لو نأخذ خراج سنة فما حالك ؟ .

قال الخاقان : تفرغ ذخيرتى ولكن ما تُستأصل مملكتى ورعيّتى . لما رأى إسكندر منه هذا الرأى والتدبّر رضى منه بخراج ستة أشهر .

فحمده ملك الصين وقال لإسكندر : إذا قُرّر هذا الأمر مقصودُنا أن نأكل معكم لُقَيمة ، ونقعد فى خدمتكم لحَيظة . فعملوا ميعاداً لأجل الضيافة . فباس الأرض وخرج فى الساعة .

وما ذكر إسكندر هذه القصة لأحد من العسكر . ولما جاء ميقات اليوم الموعود ركب إسكندر مع جميع عسكره وراح إلى المحل المعهود . وخرج سلطان الصين مع عسكر الأولين والآخرين . فلما التقى الجمعان كان عسكر إسكندر بين عسكر الخاقان كالنقطة بين الدائرة ، أو حلقة فى وسط البادية . فاستعد

إسكندر للحرب وقصد الهرب . فحينئذ خرج من عسكر الصين الخاقان . قال له إسكندر غدرت بى ، قال ملك الصين : الغدر ما هو شغل السلاطين عالى القدر . الخدع إنما هو صنعة الفجار ، لا الملوك ذوى الاقتدار . مقصودى من عرض العسكر أن يعرف إسكندر أن إطاعتنا ما هى من العجز ، بل لأجل أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها . ومطاوعتى بناء على هذا . قال إسكندر : ما نأخذ منك ولا جديداً . فمدّ الخاقان سماطا لعسكر إسكندر مارأت مثله عين البشر ، ونزل الخاقان مع إسكندر فى موضع آخر ، فقعدوا من البكرة إلى العصر بلا طعام . فمدّ سماطا لهم صحونهم ملأى باللآلى ، وأقداحهم ملأى من اليواقيت الغوالى . وعمل أقراص الخبز من الذهب ، وأحضر من الجواهر الأشياء العجَب . فقال الخاقان لإسكندر : باسم الله فى هذا لمّا حضر . قال إسكندر : فى هذه البلاد يأكلون هذه الأشياء ؟ قال الخاقان : فأهل الروم يأكلون ماذا ؟ قال إسكندر الخبز واللحم والأرز والدجاج والماموية(؟) والوز . قال الخاقان : لو كان أكلكم هذه الأشياء لما خرجتم من الروم إلى ههنا . ما كان فى الروم الخبز واللحم والتين والعنب ، حتى تجىء إلى الصين وتأكل بهذا التعب ؟ فبكى إسكندر . فقال لأعيان دولته : حصل لنا فائدة

هذا السفر ، و بواسطة هذا ما لقينا من سفرنا هذا نصبا ؛ وباس يدَ الخاقان ، وقال درويشى درويشان[١] .

الخاتمة :

قال الضحاك الملك : إذا أرسلت رسولا إلى حاجة فابعث حكيما ؛ فإن لم تجده فاذهب أنت بنفسك . كذبك على نفسك أحسن من كذب الغير عليك .

المجلس الثامن

طلعت يوم الثلاثاء عشرين رجب ، وقعدوا فى الدُهَيشة أربعين درجة ، وكان الإمام الشيخ محب الدين الحلبى ، وأهل المجلس مدحوا عمارات حضرة مولانا السلطان .

قال مولانا السلطان : لو كانت الدُهَيشة فى زمن السلطان قايتباى بهذه الهيئة لما خرج من القلعة ، وما راح إلى القبة .

تنبيه :

قلت : ومن جملة عجائب عمارات السلطان عمارة الميدان ، الذى تحير فيه عقل الإنسان ، ومنها تجديد البيسرية ، ومنها

(١) كذا فى الأصل . وأظنها درويش درويشان أى درويش الدراويش ، يعنى تابع الأتباع .

الدهيشة الأشرفية ، وتجديد القصر الأبلق ، الذى فى البلاد مثله ما خلق .

ومنها جامع الغورية ، ومنها المدرسة الأشرفيـة مع القبة الزرقاء ، الذى ليس مثلها فى القبة الإسلام تحت قبة الزرقاء .

ومنها عمارات الأشرفية والطبقات التى حولها ، وهى كجبل شامخ فى مصر جامع ، وعمارات القلعة الشريفة وأطرافها التى هى كبناء مصر جامع فى الجبل .

ومن عجائب دولته عمارات كثيرة ، فى مدة يسيرة ، عمل فى ستة سنين ، الذى لا يمكن مثله فى ستين .

والمشهور بين الجمهور أن شداد بن عاد بنى الأهرام الذى لم يخلق مثلها فى البلاد فى مدة ستة سنين ؛ لا شك لو جمع هذه العمارات يجىء بقدر الأهرام مع بعد عماراته الشريفة عن الجبل ، وتعب الحمل بالجمل . وكان بناء الأهرام فى وسط الجُبل .

المناسب لهذا المجلس :

قيل : الملك كالجبل الشامخ فيه الثمار والمياه ، وفيه الوحوش والطيور ، وفيه الانخفاض والارتفاع .

الخاتمة :

قال إسكندر : زائر السلطان يُرفَع قدره ، ويعلو ذكره ، ويبلغ إلى حصول مقصوده إذا كانت الزيادة على السنة المرضية .

من المجلس التاسع

طلعت يوم الخميس ثانى عشرين شهر رجب ، وقعدوا فى الدهيشة أربعين درجة ، وكان الإمام سيدى على الأخميمى وقرؤا فى تلك الليلة تواريخ عجيبة .

قال صاحب التاريخ : زوّج السلطان ملك شاه السلجوقى بنته بالخليفة ، وكان مائة ألف جمل تحت جهازها[١] .

ورة :

قال مولانا السلطان : هذا مثل البلخش[٢] بقدر رأس الجمل .

غريبة :

قال فى التاريخ : دخل الفارابى فى مجلس سيف الدولة ؛ قال له الملك : اقعد . فقال : أقعد فى مكانى أو مكانك ؟ قال : اقعد فى مكانك . فقعد فوق الكل بحيث يخرج سيف الدولة من السرير .

---

(١) تزوج الخليفة المقتدى بالله (٤٦٧ — ٤٨٧) بنت السلطان ملك شاه . ويقول ابن الأثير إن الجهاز حمل على مائة وثلاثين جملا وأربعة وسبعين بغلا أمامها ثلاث وثلاثون فرسا من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب الخ .

(٢) البلخش من الأحجار الكريمة .

تأديب :

قال حضرة مولانا السلطان : ما عمل الفارابى مليحاً لأنه مستلزم لقلة الأدب مع ظل الله .

فقصد مماليك سيف الدولة قتل الفارابى وتكلموا باللسان العجمى ، أن هـذا رجل قليل الأدب خفيف العقل . قال لهم الفارابى باللسان العجمى : اصبروا إنما الأعمال بالخواتيم . فبحث مع علماء المجلس وغلب على الكل . وتعجب سيف الدولة من هيئته وهيبته . قال له : تأكل لقمة ؟ فقال : لا . قال : أتسمع نغمة ؟ قال : نعم . فأحضروا المغنّيات . فما أعجب الفارابى شغلهم وقال : لو كان مرسومكم لنضرب قليلا . قالوا : لا بأس . فأخرج قطعة من الخشب وركب عليه الأوتار وضرب . فضحك جميع من فى المجلس . ثم ضرب فبكوا . فأمر له سيف الدولة بدينارين فى كل يوم .

ومات الفارابى فى الشام .

الحكمة :

قال حضرة السلطان : ما خلّص الفارابى من القتل عند سيف الدولة إلا اللسان العجمى . ولهذا قيل : اللسان مع الإنسان شخص ثان .

حكاية :

قال فى التاريخ : إن المأمون رأى جارية فصيحة على ظهرها قربة . قالت : يا أبتى أدرك فاها ، غلبنى فوها ولا طاقة لى بفيها . قال المأمون : أنت تريدين عشرة آلاف معجلة أو مائة ألف مؤجلة . قالت يا أمير المؤمنين بقى قسم آخر ، وهى مائة ألف معجلة . فتعجب المأمون من كلامها .

نادرة :

قيل فى التاريخ : كان اسم أم خليفة شَراراً . واسم امرأته قطرا .

درة :

قال حضرة مولانا السلطان : الشرار اسم موحش . وأعجبه اسم القطر . قال : تسمية الحبيب بالأشياء اللطيفة لطيف .

موقف :

قرؤا التاريخ إلى أن ذُكر أن اسم أم الخليفة كان زمرداً .

درة :

قال مولانا السلطان : الزمرد مناسب لختم المجلس والخاتم .

سؤال :

سأل مولانا السلطان فى كل وقت أكل الفالوذج : ما اسمه باللسان العجمى ؟

قلت : پالوده .

من المجلس العاشر

طلعت يوم السبت رابع عشرين شهر رجب ، وقعدوا أربعين درجة فى الدهيشة . والإمام كان الشيخ عبد الرزاق ، ووقع فيه أشياء .

نكتة :

قال صاحب العقائق : إن حسن الدنيا كان عشرة ، فجاء تسعة ليوسف ، وواحد لجميع الدنيا .

قلت : يشكل بقوله عليه السلام : أنا أملح ؟

الجواب :

قال مولانا السلطان : المراد أن حسن يوسف تسعة أعشار حسن الدنيا التى فى زمانه ، ونبينا كان الأحسن الحقيقى ويوسف الأحسن الإضافى .

عجيبة :

قال فى التاريخ : ولد ولدان ملتصقان بالظهر ، وكانا متخانقين فى كل يوم.

وذكر أيضاً أن فى تلك السنة وقعت مخانقات كثيرة .

درة :

قال مولانا السلطان : إذا كان أخوان ملتصقان يتخانقان فالمخانقة بين الناس بطريق الأولى .

درة :

قال مولانا السلطان للقاضى شمس الدين الغزى : عقلك عقل العامى .

ومعنى هذا الكلام أنه لما قصد دولَتْباَىْ العصيان على مولانا السلطان قال له القاضى : العصيان مع هذه الدولة مثمر للندامة ، وموجب البعد عن طريق السلامة . قال له : اسكت عقلك عقل العامى . فغضب عليه . فهرب القاضى منه . فسمع مولانا السلطان هذا الخبر ، وقال له إذ حضر : عقلك عقل العامى .

ثم قال مولانا السلطان : أنا أعرف كثيراً من الألسن فتكلم فى كل لسان مثل فصحائهم . الأول العربى والثانى اللسان العجمى

والثالث التركى والرابع الـكردى والخامس الأرمنى والسادس الجركسى والسابع أُوَزَه وَأُخُوخْ واسى .

اتفاقية :

قال فى التاريخ : إن المتنبى وقع عليه الحرامى فى طريقه ليلا من الليالى فقصد الهرب . قال له العبد : أنت ما أنشدت فى قصيدة وما قلت :

الخيل والليل والبيداء تشهد لى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرجع المتنبى وقتل[١] .

درة :

قال حضرة مولانا السلطان : العبد قصد التفرج .

حكمة :

قال مولانا السلطان : دخل جَانِبَك الحبيب إلى الروم وكان قاصداً . قيل له : من أنتم حتى تحكموا بيت الله الحرام يا أولاد الـكفرة . وهذا الملك يليق بسلطاننا وهو السلطان ابن

---

(١) تحريف قصة المتنبى المعروفة حينما خرج عليه الأعراب فقتلوه .

السلطان ابن السلطان . قال جانبك فى جوابهم : (فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم) من كان أبا سيدنا إبراهيم ، ومن كان أبا محمد عليه وعليهم السلام ؟

وأيضاً ورد أن شرف الشخص بالعلم والأدب لا بالأصل والنسب .

قال الشيخ كورانى : لا تتكلموا فى حق سلاطين مصر فإنكم تفضحون أنفسكم . فتعجب السلطان بايزيد من كلامه فأنعم عليه إنعامات كثيرة دقيقة .

قلت : والعجب أن إسكندر باشا لما أمسكه السلطان قايتباى خلّاه فى الطبقة بسبب عدم معرفته بواجبات الشريعة .

ثم حضرة السلطان طلب منى أشعار الملوك . قلت : يقول سلطان حسين البَيْقَرَا[1] : شعر .

وه نه حالتدُركه من هرنيجه كُوزْ كَزسَمِ نياز
أى بُتِ بَدْ مهر ! سندن ظاهر أولمز غير ناز

المناسب لهذا المجلس :

أن ملوك الفرس يتكلمون فى يوم الحرب بالتركى ، وفى الأمر والنهى بالفهلوى ، وفى المنادمة والمجالسة بالفارسى .

---

(١) يعنى حسين بيقرا من بنى تيمور المتوفى سنة ٩١٢

الخاتمة :

قال عبد الملك بن مروان : ثلاثة أشـياء تدل على مقدار أربابها : الـكتابة تدل على مقدار كاتبها ، والهدية تدل على عقل مهديها ، والرسول يدل على مقدار عقل مرسله .

من المجلس الحادى عشر

طلعت يوم الثلاثاء سابع عشرين شهر رجب ، وقعدوا فى الدهيشة زمنا قليلا ، وكان الإمام الشيخ محب الدين المـكى ، ووقع فيه المسائل .

حكاية :

قال صاحب العقائق : إخوة يوسف لمـا وصلوا إلى الجب لـكموا ولطموا يوسف وقصدوا قتله فمنعهم يهوذا من القتل ، ويوسف يبكى ويبوس أيدى وأرجل الكل .

السؤال :

قال مولانا السلطان : والعجب أنهم ارتـكبوا بيوسف هذه الأفعال الشنيعة وفى الآخر صاروا أنبياء ! .

الجواب :

قلت يامولانا السلطان : ما ثبتت نبوتهم .

جدل :

قال الخواص : أنا رأيت فى الكتاب أنهم أنبياء .

قلت : أنت قرأت شيئا من العلوم ؟ وفى أى كتاب رأيت ؟ فليس للعامى أن يتعرض للعلماء ، ويتكلم أمثال هذه الأشياء .

قال القاضى محمود الخليلى : لابد أن يكون إخوته أنبياء لأن ولد النبي نبي ؟

الجواب :

قلت : يلزم أن يكون جميع الناس أنبياء بناء على هذا حتى الكفرة ، لأن كلهم أولاد آدم صفى الله ، ونوح نجىّ الله . وأنت تعلم قصة قابيل ولد صلب آدم الصفىّ وقصة ابن نوح النجي اللذين نزل فى التنزيل قصتهما[1] .

تربية :

قال مولانا السلطان : ياشريف ؛ خلاف الجماعة ما هومليح.

---

(١) يريد قصة قتل قابيل أخاه هابيل وقصة ابن نوح الذى أبى أن يركب فى السفينة مع أبيه فغرق (سورة المائدة وهود) .

قيل : رأى حاتم شخصا فقال له : (كنت فى أين ؟) فقال : كنت فى ضيافة حاتم . فذبح لأجلى الوز والغنم ، وطبخ أنواع الأطعمة وأحضر الفواكه والأشربة . قال له حاتم : أنا حاتم (فى أين رأيتك)[١] ومتى ضيفتك ؟ فقال فى الجواب : أنت مشهور فى الدنيا بالجود والكرم ، وما قدرت أن أخالف أهل العالم .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل : ذكر عند السلطان بابَر وهو سبط تمور[٢] وكان كريما وأنفق جميع خزائن جده على النـاس ، وقال إن حاتما ما أنفق معشار ما أنفقت أنا . وقال : ما نهاية كرم حاتم عند أهل العالم ؟ قيل : إنه عمل بيتا بأر بعين بابا وجاء سائل فى الكل وفى كل باب أعطاه شيئا .

قال السلطان بابر : هذا يدل على بخل حاتم ، لا على كرمه ؛ لأنه لو كان كريما لأغناه فى الباب الأول بحيث لا يحتاج الرواح إلى الباب الثانى .

---

(١) فى أين رأيتك ، وكنت فى أين : أصل الـكلمة العامية فين .
(٢) محمد ظهير الدين بابر مقيم الدولة المغولية فى الهند وهو الابن الخامس من نسل تيمور .

الخاتمة :

قال إسكندر : لا تلوموا المرء على بخله ولوموه على بذله . لأنه لا خير فى المرء لو لم يكن حافظا لما يحفظه .

من المجلس الثانى عشر

طلعت يوم الخميس تاسع عشرين شهر رجب ، وقعدوا فى الدُهَيشة أربعا وستين درجة ، وكان الإمام الشيخ عبد الرزاق ، وجاب القاضى محمود كراسا من الكشاف فى تفسير : (سوف أستغفر لكم)[١] .

قال صاحب الكشاف : إستغفرَ يعقوب ذنبهم فى الآخر فصاروا أنبياء .

ترغيب :

قال مولانا السلطان : ما تقول يا شريف فى جوابه ؟ قلت : كنت مريضا يومين ولكن أقول : إن هذا النقل موقوف على شيئين :

أما الأول : هل بيننا و بين المعتزلة موافقة فى عصمة الأنبياء أم لا ؟

(١) يريد قول يعقوب لبنيه « سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم » فى سورة يوسف .

والثانى : كلام صاحب الكشاف ما يعارض القرآن ؛ مع أن ذنبهم ثابت فى كتاب الله من عقوق الوالد والكذب و بيع المسلم فى بلاد الكفر ، وترقيق المسلم ، ونسبة صديق الله إلى السرقة فى قولهم : (فقد سرق أخ له من قبل) ؛ كل هذه الأشياء كبيرة . ولا تليق بمرتبة النبوة !

قال حضرة مولانا السلطان : ما تقول يا قاضى فى الجواب ؟ وقول الشريف إن فى الكشاف مذهب الاعتزال هل صحيح أم لا ؟ قال فى الجواب : نعم .

قال حضرة مولانا السلطان : يا قاضى مجنون . إذا عرفت أن الكشاف على مذهب الاعتزال فلأىّ شىء استدللت به ؟ تجىء بالنقل وتحط عليه[1] ياقليل العقل ؟ ليس مقصودك إلا المكابرة ، لا البحث والمناظرة .

قال القاضى محمود : صاحب الكشاف كان معتزلىّ المذهب فى الأول ، ثم تاب فى الآخر من الاعتزال .

الجواب :

قلت : توبة صاحب الكشاف لا تُخرج مذهب الاعتزال من الكشاف ، فكلامنا فى الكشاف لافى صاحب الكشاف ،

---

(١) يعنى : تعترض عليه وتوهنه .

فإن الناس قد يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم .

نصيحة :

قال لى حضرة مولانا السلطان فى الخلوة : لو ما جبت النقل وفتوى العلماء على عدم إثبات نبوة إخوة يوسف لأحلق ذقنك . قلت : لو أجيب الفتوى . فقال : أنت تكون من الخواص .

المناسب لهذا المجلس :

قيل : صاحب الكشاف مسك حلقة باب الكعبة . وقال: أنا الشويخ المعتزلى من يجادلنى ؟ قال إمام الحرمين فى جوابه : (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) .

خاتمة :

قال بعض الأفاضل :

إن التفاسير فى الدنيـا بلا عدد

وليس فيها لعمرى مثل كشّاف

إن كنت تبغى الهدى فالزم قراءته

فالجهل كالداء والكشاف كالشافى

من المجلس الثالث عشر

طلعت يوم السبت غرة شهر شعبان ، وكان الإمام الشيخ محب الدين الحلبي ، وقال لى حضرة السلطان على الطارئ[١] : يا عدو صاحب الكشاف و يادشمن[٢] الزمخشرى .

قال قاضى القضاة الحنفى : من هو عدو صاحب الكشاف ؟ فتبسم حضرة السلطان وقال : الشريف . ثم قال : جبت الفتوى ؟ قمت و بست الأرض وقلت : نعم .

صورة الفتوى :

ما قول علماء الدين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، فى شخص يقول : لم تثبت نبوة إخوة يوسف الصديق عليه السلام ، هل يقع فى محذور مع أن القاضى عياض قال فى الشفا : وأما إخوة يوسف فلم تثبت نبوتهم . ومال إليه القُرطبىّ والإمام الفخر الرازى . وابن كثير قال : لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف ؟

ثم قال فى الجواب أعلم العلماء المحققين ، و برهان الفقهاء المدققين ، أستاذى أستاذ العالم ، شيخ إسلام العرب والعجم ،

---

(١) يعنى فجأة .

(٢) دشمن : عدوّ بالفارسية .

برهان الملة والشريعة والحقيقة ، والتقوى والفتوى والدين ، إبراهيم ابن أبى شريف :

الحمد لله الهادى للصواب : لا يجئ على قائل ذلك محذور . ومن قال بخطإ هؤلاء[١] فهو غير مصيب ، والمسألة خلافية .

وصححه أعلم علماء الحنفية ، ومحب الحضرة الأشرفية ، المحقق المدقق الذكىّ ، الشيخ برهان الدين الكَرَكىّ .

وصححه شيخ الإسلام السالك ، وأعلم علماء مذهب الإمام مالك ، الشيخ برهان الدين الدميرى .

وصححه شيخ الإسلام ، أستاذى وأستاذ البشر ، العالم العامل الولىّ ، قاضى القضاة الحنبلى .

وصححه مجتهد العصر ، وشافعى الدهر ، صاحب الوصف الجميل ، الشيخ كمال الدين الطويل .

لما وقع نظر مولانا السلطان على القاضى محمود فى تلك الليلة ، وفهم منه أن مقصوده الغلبة بالجدل والسفسطة ، ومطلوبه من البحث ما هو إلا المكابرة ، لا إظهار الصواب والمناظرة ، وقصده الغلَب المطلق ، وإن كان على غير الحق ، وأنه يُفشى أسرار المجالس العلية عند الناس ، ويفتخر به بين العوام والخواص ، غلب أسماء

---

(١) يعنى هؤلاء العلماء الذين أنكروا نبوة إخوة يوسف

القهرية على الحضرة الغورية ، واتصف السلطان صاحب النصر والفتوح ، بصفة سيدنا نوح عليه السلام[1] . فأمر بطرد الجميع ، من الشريف والوضيع .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل فى آخر دولة أنوشروان ظهر خارجي ذو شوكة فى بعض البلدان واجتمع عليه عيّاق كثير ، فصار صاحب عسكر كبير ، فطلب خطبة ابنة أنو شروان . وكان أنو شروان خائفاً من شوكته ، وكان من رسوم كسرى أن يزوج البنات بالأقرباء لابالغرباء ، فشاور أركان دولته وأعيان مملكته فاتفق رأيهم على أن للملك بنتا صغيرة فيأخذ الملك بنتا بقدرها وفى الحريم يربيها . وحين تكبر يزوجها به ، ففرح أنوشروان من هذا البيان فأخذوا بنتا من الأكراد ، وكان لبزرجمهر بنت من الجياد ، وفى بعض الأوقات تجتمع مع الكردية ، فقالت لأبيها من سوء خلقها ، فانغاظ بزرجمهر وقال ما هى بنت الملك ، بل من الكرد جابوها . ولما ظهرت الأفعال القبيحة ثانيا من الكردية ، قالت بنت بزرجمهر : يا ابنة الكرد كم تؤذينى ؟ فبكت الكردية واشتكت عند أنوشروان ، فعرف الملك أن بزرجمهر أظهر بنته على هذا السر .

---

(١) يعنى غضب نوح على قومه ودعاءه عليهم كما فى القرآن .

فأمر بإحضار موبذ موبذان (يعنى أعلم علماء ذلك الزمان) . فقال أفتونى فيمن أفشى سر السلطان . فقالوا جزاؤه القتل عند أهل العقل والنقل . فأخذوا من رأس بزرجمهر تاج الوزارة ، وحلوا من وسطه منطقة الإمارة ، فشنقوه وعرّوا بنته ودوّروها حوله . وكانت البنت حين تمرّ تحت المشنقة تغطى عورتها بيديها وتغمض عينيها . لما ذكروا ذلك عند الملك طلبها وسأل منها حكمة ستر العورة تحت المشنقة ، فقالت لأن الإنسان الكامل فى عسكرك كان أبى . لو كان إنسان آخر لشفع عند الملك ، وخاص أبى من الهلاك ، فأعجب أنوشروان كلامها فتزوج بها . لما نزلوا بزرجمهر رأوا تعويذا مربوطا على يده وكان المكتوب فيه : لو كان القضاء والقدر حقا فالحذر باطل ، ولو كان الموت حقا فربط القلب بالدنيا عين الحماقة . لما رأى أنو شروان هذا بكى بين الجمع ، بحيث خرج من عينيه الدمع ، فندم كثيرا .

خاتمة الكتاب

يقول محرر هذا الكتاب ، ومقرر هذا الخطاب المستطاب ، العبد الفقير ، المعترف بالذنب والتقصير ، الواثق بالملِك الغنىّ ، حسين بن محمد الحسينى .

اللهم خلّد دولة السلطان الأعظم ، خليفة جميع من فى العالم ، مبارز ميدان (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ، واسطة قلادة الصورة والمادة ، صاحب توقيع (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم) ، وارث منشور (جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم) ، أميرِ المؤمنين ، خليفة المسلمين ، الملك الأشرف ، عزيز مصر ، أبو النصر قانصَوه الغَورى .

اللهم أدِم سُبُحات فَيَضانه على أغصان بستان الإمكان ، وعمّ إنعامه وإحسانه على أزهار أشجار الأكوان ، ليجتنى من إرَم كرمه ، وروضة نعمه ، أقاص وأدان إلى آخر الزمان ياحنان ، يا منان .

الاعتذار :

ونرجو من مكارم الأخلاق والشيم ، ونلتمس من علماء العالم ، أن من اطلع منهم على سهو أو خطأ أو نسيان ، وهو لازم

لنوع الإنسان ، أن يغمض العين ، ويستره من البين ، وأن يكون ساتراً للمعايب ، لا مظهراً للمثالب ، ونستغفر الله لى ولكم وجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم .

صورة القصة :

ثم بعثت كتابا على يد ملك التجّار فى العالم ، صاحب الجود والكرم ، أعزّ عباد الله عند سلطان أعظم بلاد الله ، خواجة محمد ابن عباد الله ، زاد الله فضائله وكمالاته ؛ فإنه آية من آياته :

على كل حال أنا المذنب — وما يحكُم الشرعُ مستوجَب
وإن شئتموَ سامحونا بما — جنينا وإن شئتمو عذّبوا

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : (إن تعذّبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) .

وقال شفيع المذنبين ، وحبيب التوابين : لكل شيء حيلة وحيلة الذنوب التوبة .

يا سلطان السلاطين ، ويا ظل الله فى الأرضين ، ويا حليم عند الغضب ، ويا أشرف ملوك العجم والعرب ، اغفر لى ذنبي ، واستر لى عيبي .

من أشعار حضرة الغَورى نصره الله تعالى

لا تؤاخذ ثم اغفر ذنبنا وهو عظيم
وهُدًى منك ولطفاً للصراط المستقيم
لو تعذبْنى بعدلك
وإن تسامحْنى بفضلك

أقول : أستغفر الله من الذنب الذى أعلم ومن الذنب الذى لا أعلم (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا) يا كشاف القلوب ، ويا علام الغيوب ، ويا ستار العيوب :

أيها الريح الصبا رُح بكرة
عند باب خُسرَ وِصاحبْ قِران
حضرة السلطان أمير المؤمنين
قانصَوه الغوْرى عزيز مصر وقان [١]
حكمه وملكه وعدله
يوسفُ واسكندرُ ونوشِيروان

---

(١) قان : خان من ألقاب ملوك الترك . والوزن يقتضى حذف الهاء من (قانصوه) .

بعد بوس الأرض استغفر كثير

لأجل ذنب العبد مكسور الجنان

(تم بعون الله تعالى وحسن توفيقه)

إعتذار من كلام حضرة السلطان

يا إلٰهى بَنْ كُنَهْ كَارْ أنت غفار الذنوب

عَيْبُمُى يُوزِيمه أُورْتَه أنت ستار العيوب

قامو اشْلر ساكَه معلوم أنت علام الغيوب

بَنْ فَقِيرَه قِلْ عنايت إننى أرجو غناك

يا إلٰهى كَچْدِى عُمْرُمْ بالخطايا والزلل

دُنْيَايه مشغول أُولْدُم غرّنى طول الأمل

دون كون شرّ اشلمَكْدَه ماا كتسبْ خير العمل

سَنْدَنْ أُوزْكَه يُوق أُمِيدُمْ لا ولا مولى سواك

يا إلٰهى حضر تُكْدَه حينْ نقفْ عريان ذليل

بغْرِى بَشْلُو كوزى يَشْلُو دَمْعهُ قانى يسيل

عفو قيل أُولْ كُونْدَه صُوچُم إن أوزارى ثقيل

آنى محروم أتمَه أُنْدَهْ يوم يرجو الناس لقاك

يا إلٰهى أولْ حبيبك هاشمىّ المصطفى

هم أبو بكر عمر عثمان علىّ المرتضى

مسعى ومروة حقيحُون والمشاعر والصــــفا

غَوْرِنُك بَغِشْلَه صُوچنْ مَالَهُ إلّا عطاك

يا إلٰهى غَوْرِى قولك ذنبـــــه ذنبٌ عَظِيم

سَنْ بَغِشْلَه صُوچْلَرينى يا كـريم يا رحيم

رَحْمَتُوكه دُرْ رجائى للخلائق ذا عميم

هَمْ غضب أُودِينَه يَقْمَه كُلُّنَا نرجو رضـاك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نوّر بنور رحمتــه قلوب الملوك والسلاطين ، وطهّر بماء التوبة سواد وجوه المذنبين المجرمين . سبحانك إنى تبت إليك وأنا أول المؤمنين ، سبحانك لا إله إلا أنت إنى كنت من الظالمين . اللهم إنك أنت العفوّ تحبّ العفو ، فاعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ، وأدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين ، ولا تُشمِت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين . أرجو رحمتك بقولك : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) . وأعوذ بك من غضبك وسخطك ، وأعوذ بك من همزات الشياطين . ذنوبنا كثيرة ، وطاعتنا يسيرة ، توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين ، كلنا تحت الزلة والتقصــير ، وما اعتصم غير الأنبياء والمرسلين . ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، بجاه أشرف النبيين ، اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، يا حليم عنــد الغضب ، ويا سلطان السلاطين . لولا ذنب المذنب لما ظهر صفة عفو الـكريم . ولولا تقصير المقصر لـما بان الغفران وحلم الحليم ، فى كل ليـلة يقول حبيب التوابين : هل من تائب هل من مستغفر من المؤمنين .

والصلاة والتسليم على سلطان الأنبياء والمرسلين ، وشفيع المذنبين فى يوم الدين ، الذى نزل فى حقه : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

و بعد ، فإنى لما رزقنى الله تعالى سعادة الدارين ، تشرفت مدة عشر سنين بخدمة سلطان الحرمين الشريفين ، خان الأعظم ، وخاقان المعظم ، مولى ملوك الترك والعرب والعجم ، حافظ بلاد الله ، ناصر عباد الله ، وارث ملك يوسف الصديق ، إمام الأعظم بالحق والتحقيق ، مظهر الآيات الربانية ، مظهر الأسرار الروحانية ، أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ، الملك الأشرف ذو الفيض النورى ، أبو النصر قانصوه الغورى ، اللهم أدِم سبحات فيضانه على أغصان بستان الإمكان ، وعمّم إنعامه و إحسانه على أزاهر أشجار الأكوان ، ليجتنى من إرم كرمه ، وروضة نعمه ، قاص ودان ، إلى آخر الزمان .

اللهم أمّن بلده ، واحفظ ولده ، اللهم انصره نصراً عزيزاً ، وافتح له فتحاً مبينا ، وكن له حافظاً وناصراً ومعينا .

ويرحم الله عبداً قال آمينا .

قصدت أن أجمع درر فوائد مجلسه فى سمط العبارة والكتابة ، وأنظم جواهر زواهره فى سلك الاستعارة والكناية ، لأنه وزد عن بعض الأنام : كلام الملوك ملوك الكلام . سيّما إذا كان

المبحوث عنه تفسير كلام الملك العلام ، ونكات أحاديث سيد الأنام ، عليه الصلاة والسلام ، ومباحث سلطان الإسلام . لو يقول البشر فى حق هذا المظهر إنه سلطان العلماء العاملين ، ما هو قليل فى حقه ، أو يقول فى وصفه إنه سلطان العارفين ، ما أفرط فى وصفه .

قال أنوشروان : إذا أراد الله بقوم خيراً جعل العلم فى ملوكها والملك فى علمائها .

وجمعت شيئاً يسيراً وفات منى شىء كثير . لأن جنابه العالى مرجع للأفاضل ، وبابه العظيم مجمع الفضائل والفواضل .

هذا مع ما خصه الله تعالى من الفضائل النفيسة ، والمناقب الشريفة اللطيفة ؛ أعطاه من العلم أشرفه ، ومن الحلم أوفره ، ومن الرتب أعلاه ، ومن الملك أقواه ، ولهذا ارتقى سلطاننا إلى المقام العالى ، الذى كان نهاية درجات الأفاضل والأهالى .

وفضل هذا السلطان على سلاطين الدنيا كفضل السلاطين على الرعايا .

فجمعت من بحار فوائده قطرة ، ومن شموس محاسنه ذرة ، لم أقدر أن أجمع إلا واحداً من ألف ، بل من مائة ألف ، لأنى كنت فقير الحال ، متزلزل الأحوال ، مكسور الخاطر ، من الأول

إلى الآخر ، وقد انضم مع هذا ضعف الجسد ، وكثرة أهل الحسد ، وقلة ما فى اليد .

فجمعت بقدر طاقتى ، وبحسب فقرى وفاقتى ، من مشكلات تفسير كلام الله ، ومعضلات أحاديث رسول الله ، وألغاز المسائل الفقهية ، وأسرار العلوم العربية .

فجمعت من المسائل المشكلة ، ألفى مسألة . وسميته : بالكوكب الدرّى ، فى مسائل الغورى .

ونرجو من مكارم الأخلاق والشيم ، ونلتمس من علماء العالم ، أنهم إن يطلعوا على سهو أو خطأ أو نسيان ، الذى هو لازم لبنى نوع الإنسان ، أن يغمضوا العين ، ويستروه من البين ، وأن يكونوا ساتراً للمعايب ، لا مظهراً للمثالب ، لأن أشرف الكلام بعد كلام الملك العلام ، الحديث الشريف ، ومع هذا لم يسلم من الموضوع والضعيف ، مع وجود الصحابة الكرام .

وها أنا أشرع فى المقصود ، مستمدا بتوفيق الملك المعبود[١] .

سؤال :

فى قوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام) .

---

(١) تقاس عبارات هذه المقدمة بعبارات المقدمة والخاتمة فى الكتاب الأول .

قال ابن ملك الروم أمير قُرقُد : لأى حكمة قال : (سبحان الذى أسرى بعبده) . ولم يقل بنبيه أو برسوله ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : لأنهم لم يسلّموا نبوته ، ولم يصدقوا رسالته . وكان فى أول الأمر وبداية نبوته ، والعرب منكرة لرسالته ونبوته . لو يقول بنبيه أو برسوله ، فيقول الكفار نبيه موسى أو عيسى ، وليس لك فى هذا دخل . فعبر بعبارة لم يشك العرب فيها .

سؤال :

فى قوله تعالى : (إنه هو السميع البصير) .
قال أعظم سلاطين الدنيا : ضمير إنه . راجع لماذا ؟ قيل : إلى الله تعالى ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان خلد الله أيامه ، ونصر أعلامه : هذا الكلام ليس مناسباً للمقام ، لأنه ليس مرتبطاً بالكلام السابق . وهو قوله : (لنريه من آياتنا) ، بل المناسب أن يكون

الضمير راجعاً إلى سيد الأنام ، عليه الصلاة والسلام . لأن النبى لما تشرف بالوصول إلى هذا المحل ، ووصل إلى ما وصل ، فالمناسب أن يكون سميعاً لكلامه تعالى بصيراً لصنعه .

قال شيخ الإسلام نقلاً من تفسير الإمام : قال صاحب التفسير : يجوز إرجاع الضمير إلى الملك القدير . و يجوز أن يرجع إلى البشير النذير وهو أقرب .

سؤال :

فى قوله تعالى : (إن تبدوا الصدقات فنعمّا هى ، و إن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) .

أول هذه الآية الشريفة يدل على أن الصدقة فى الظاهر أولى ، و يؤيده ما ذكره الفقهاء أن إظهار الزكاة أولى من إخفائها ، لأن الإظهار مزيل لشك المشككين فى حقه ، وأيضاً الغير لمّا ينظر ذلك يميل إلى الخير . فما معنى قوله : (و إن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) . لأنه يدل على أن الإخفاء خير من الإظهار ، فما وجه التوفيق بينهما ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : لاشك أن إظهار الزكاة أولى

إن لم يكن هنــاك مانع ، كالحكام والظلمة الطامعين فى أموال الناس . فإخفاء الزكاة أولى ، لأن الإظهار يحصل منه الضرر ، وهو تبيين وجود المال و إظهار عدده .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : فى أى صورة قراءة القرآن مبطلة للصلاة ؟

الجواب :

قلت : لو حصل للمصلى حدث ، فراح حتى يتوضأ ، فإذا قرأ فى رواحه وهو محدث بطلت صلاته .

درة :

كتب ملك الروم يعنى السلطان أبا يزيد[(١)] إلى صاحب مصر ، يعنى السلطان المرحوم قايتباى ، لأى سبب تكتبون فى أوائل مراسيمكم بسم الله الرحمن الرحيم ؟

قال السلطان المرحوم تغمده الله برحمته فى الجواب : نحن متمسكون بالسنة بقوله عليه الصلاة والسلام : كل أمر ذى بال

(١) السلطان بايزيد الثانى ٨٨٦ — ٩١٨ هـ .

لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر . فلأى سبب لا تكتبون أنتم فى أول مراسيمكم بسم الله الرحمن الرحيم ؟

سؤال :

لا شك أن بسم الله الرحمن الرحيم أيضاً ذو بال ، فيحتاج إلى بسم الله أخرى ، وينقل الكلام فى بسم الله الثانية ، فيحتاج بسم الله ثالثة ، وينقل الكلام فى بسم الله الثالثة ، لأنه أمر ذو بال ، فيحتاج إلى رابعة وهلم جرا . فعلى هذا لم يقدر أحد أن يبسمل فى أمر ذى بال أبداً ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : متمّم المتمم هو نفسه ولا يحتاج إلى غيره .

سؤال :

قال أهل التفسير : إن سورة الفاتحة مدنيّة يعنى نزلت فى المدينة الشريفة ، والصلاة إنما فرضت فى مكة ؛ فما وجه التوفيق بينهما ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : لا يرد هذا السؤال إلا على من هو قائل بفرضية الفاتحة فى الصلاة . أما عند الحنفية فلا إشكال .

سؤال[١] :

قلت : ما الدليل على عدم فرضية فاتحة الكتاب فى الصلاة عند السادة الحنفية ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : قول الملك الديان (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) والقرآن أعم من الفاتحة وغيرها .

سؤال :

إن قلت : ما دليل السادة الشافعية والمالكية وأحمد على فرضية الفاتحة فى الصلاة ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : قول النبى صلى الله عليه وسلم لا صلاة إلا بالفاتحة .

(١) يوجد بالأصل هنا إشارة تدل على استدراك سقط من الأصل ولم نكتبه لإسقاط الفتوغرافية له وهو أحد عيوبها إذا لم ينتبه له المصور فيرسمه اه ناسخه .

سؤال :

إن قلت : فما تقول السادة الحنفية فى جواب هذا الحديث ؟

الجواب :

قال شيخ الإسلام : إن القرآن لا ينسخ بالحديث ، ولا يخصص أيضاً . لأن الحديث ما ثبت إلا بخبر الواحد ، وخبر الواحد لا ينسخ النص القطعى ، فلا يرد هذا الحديث علينا .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : هل يجوز أن يقرأ فى الصلاة بلسان الفارسى أم لا ؟

الجواب :

من قرأ بالفارسية فى الصلاة يُجزيه عند أبى حنيفة . أما عند صاحبيه فلا يجوز له إلا عند العجز موافقاً لمالك رحمه الله والشافعى وأحمد .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : هل يجوز أن يقرأ فى الصلاة بغير لغة الفارسية عنده أم لا ؟

الجواب :

قال شيخ الإسلام : القياس يقتضى الجواز بأى لغة كان . ولـكن خصص أبو حنيفة لسان الفارسى من بين الألسن لأنه لغة مقررة مضبوطة ، بخلاف اللغات الأُخرى فإنها لا ضبط لها .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : إذا قرأ شخص فى الصلاة التوراة أو الإنجيل يجزيه أم لا ؟

الجواب :

قال شيخ الإسلام : إذا كان ترجمة آية من الآيات القرآنية يجزيهما فى الصلاة و إلا فلا .

سؤال :

قال الله تعالى فى كتابه الـكريم وكلامه القديم : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) .

قال حضرة مولانا السلطان : لا شك أن الويل واد فى جهنم أوجُبٌ فيها على اختلاف الروايات ، فـكيف الذين سهوا فى الصلاة يستحقون الويل ؟ مع أن الشـارع أمَرَ لجبر السهو بسجدتى السهو ؟

وأيضاً ورد فى الحديث الشريف عن سـيد الأنبياء : رُفع عن أمتى السهو والخطأ

الجواب :

قال المفسرون : المراد بالساهون أى التاركون .

قال حضرة مولانا السلطان : حمل الساهون على التاركون خلاف الظاهر . لأن التَرك من باب العمد لا من باب السهو .

قال صاحب الكشاف : المراد من الساهون أى المنافقون .

قال حضرة مولانا السلطان . هـذا الجواب أيضاً ليس بسديد . لأن المنافقين لا يصلون . لأن الصلاة لا تجوز إلا بالنية والمنافق لا ينوى الصلاة .

قال حضرة مولانا السلطان : اللهم إلا أن يقال عمل المنافق شبيه بالصلاة .

الجواب :

قال البغَوىّ : فرق بين السهو فى الصلاة والسهو عن الصلاة . أما السهو فى الصلاة فهو مختص بالمؤمنين ويُجبر بسجدتى السهو . وأما السهو عن الصلاة وهو الغفلة عن الصلاة والتأخير عن وقتها فهو من عمل المنافقين .

قال ابن عباس : الحمد لله الذى قال عن صلاتهم ولم يقل فى صلاتهم .

الجواب :

قال مولانا السلطان : هذا الجواب لا يدفع السؤال ؛ لأن الذى سها عن صلاته وغفل عنها حتى خرجت عن وقتها لا يستحق الويل وهو يُجبر بالقضاء .

قال قاصد الهند[1] : إن المراد بقوله تعالى : (عن صلاتهم ساهون) إذا انضم معه الرياء ومَنْع الماعون ، فإذا اجتمع هذه الصفات فى شخص استحق الويل .

قال حضرة مولانا السلطان : لا شك أن الرياء ومنع الماعون مرتكبهما يستحق الويل بغير انضمام السهو عن الصلاة ، ولا يحتاج إليه انضمام السهو عن الصلاة ، فسؤالنا فى السهو عن الصلاة لا عن الرياء ومنع الماعون[2] .

قال الإمام الجليل أعنى الشيخ كمال الدين الطويل :

سؤال حضرة مولانا السلطان فى غاية القوة وجوابنا فى غاية الضعف .

---

(١) يعنى رسولا من الهند كان فى المجلس .

(٢) ينظر ما فى جواب السلطان من الغلط والمغالطة .

قال شيخ الإسلام ، وكَهف الأنام ، الرئيس ابن الرئيس إلى آدم الصفىّ ، أقضى القضاة الحنفىّ ، عامله الله بلطفه الخفى : نحن معترفون بعجزنا أنه لا يمكن الخروج عن عهدة هذا السؤال إلا بالتأويل ، ولا يمكن أن يقال جوابه بوجه التفسير .

قال : قال حضرة مولانا السلطان : بل الصواب فى الجواب أنه من المشكلات القرآنية ، ومعضلات الآيات الفرقانية ، وهو من قبيل (وما يعلم تأويله إلا الله) ورسوله .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : لأى شىء جعل الله الملوحة فى العينين ، والمرارة فى الأذنين ، والماء فى المنخرين ، والعذوبة فى الشفتين ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : إن الله تعالى خلق العينين فجعلهما شحمتين وخلق الملوحة فيها لحفظ العين ولولا ذلك لذابتا فذهبتا ، وجعل المرارة فى الأذنين لأنه لو لم يكن كذلك لهجمت الدواب وأكلت الدماغ ، وجعل الماء فى المنخرين ليصعد منه النفَس وينزل ويجد منه الروائح الطيبة من الروائح الكريهة ، وجعل العذوبة فى الشفتين ليجد ابن آدم لذة المطعم والمشرب .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : فكيف يمكن تطهير هذا الإناء الخزف الجديد بغير الغسل ؟

قلت : إذا انقلب الخمر خلا فى الإناء فيطهر بغير غسل .

سؤال :

سأل قُرقُد بك[١] ابن بايزيد خان عن كراهة لبس الأحمر وكراهة لبس الأصفر ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : لأن لبس فرعون أحمر ، ولبس النمرود كان أصفر ، وهما اللذان ادّعيا الألوهية ، ولهذا صار الأحمر والأصفر مكروهين فى شرعنا .

سؤال :

قال شيخ الإسلام : ثبت عندنا أن عليا كرم الله وجهه لبس الأحمر ، وكثير من الصحابة أيضاً لبسوا ذلك ؟

---

(١) ابن السلطان بايزيد الثانى . وكان قد فر إلى مصر فى حياة أبيه ثم عاد وعصى على أخيه الأصغر السلطان سليم حتى ظفر به فى بروسه فقتله

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : مقصود سيدنا على والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من لبس الأحمر المهابة فى قلوب الكفار ، والمهابة بأى وجه تحصل يجوز للمسلمين القيام به .

سؤال :

هل ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه عمل الخضاب أم لا ؟

الجواب :

ثبت فى الصحيح أنه فعل ذلك بالحنّاء والكَتم ، وأمر مشايخ الصحابة بالخضاب حتى يهابهم الكفار .

حكاية :

لما بعث حضرة مولانا السلطان المماليك والجوارى إلى قُرقُد بك فلم يقبلهم ، و بعث كتاباً إلى حضرة مولانا المقام الشريف . والمكتوب فى كتابه هو هذا :

قال الجوينى : فى زماننا هـذا لا يجوز وطء السرارى

ولا استخدامهن ولا استخدام العبيد . لأنه ما ورد الخمس بالطريق الشرعى فى بيت مال المسلمين فلا يخلو (إما أن يسرقون النصارى من النصارى ، وإما يروحوا المسلمون فيجيبونهم ، وكلا التقدير لا يزنون خمس بيت المال فقيه حق الغير)(١)

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : أما أخذ النصارى من النصارى أو النصارى من اليهود فيجوز لنا استخدامهم كما ورد فى زمنه صلى الله عليه وسلم أن المقوقس أخذ من النصارى أو قبط مصر فتصرف النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحن نتصرف أيضاً قياساً على عمله .

وأيضاً لا يجب علينا التفتيش ويجب علينا فى حق المسلمين ظن الخير .

وأيضاً يَرِد عليكم فى كل ما يطلع من الأرض : هل وزنوا خراج بيت المال بالتمام والكمال ، ولم يكن مزروعا فى الأرض المغصوبة ، وما ظلموا الفلاحين ؟

فجوابنا فى المماليك والجوار مثل جوابكم فى هذا .

---

(١) تركت الكلام الذى بين القوسين على غلطه ليكون مثالا لما يقع فيه المؤلف أحيانا .

فبعث الجواب مولانا السلطان إلى قُرْقُد بك ، فأفحم عن الجواب ، وغلب بعد هذا . فجابوا من فتاوى السبكى نقلا وهو هذا :

قال الجوينى من كتاب التبصرة فى الوسوسة باب الإيضاح والاحتياط فيها :

أصول الكتاب والسنة والإجماع متطابقة على تحريم وطء السرارى اللاتى يجلبن من الروم والهند والترك إلا أن ينصب فى الغنائم من جهة الإمام من يحسن قسمتها من غير حيف وظلم .

ثم بسط الكلام فى الدليل على ذلك .

فما حكم هذه الجوارى التى تجلب اليوم من تلك البلاد إذا قلنا بما جعل الرافعى المذهب من أن الجماعة اليسيرة إذا دخلوا دار الحرب متلصصين وأخذوا شيئاً كان غنيمة مخمسة ، فإن الغالب أن ما يجلب اليوم إنما يوجد على هذا النحو . نعم الإمام رحمه الله وجماعة جعلوا المذهب أن ذلك يختص به السارق ولا يخمس . فعلى هذا لا إشكال فيما أخذ سرقة . والمسئول بيان ذلك ، وما الراجح دليلا فى أن ذلك غنيمة مخمسة أم لا ؟ مع أن ترجيح الإمام الرافعى بأنه غنيمة يخالف قوله ، فإن الغنيمة ما حصل بالقتال ؛ إذ الفرض أن ذلك أخذ خفية على وجه السرقة ؟ ؟

الجواب :

قال السبكى : كتاب التبصرة للشيخ أبى محمد من أحسن الكتب ، وهو فرد فى نوعه ، ولا شك أن الذى قاله الورع ؛ وأما الحكم اللازم فأقول :

الجارية المجلوبة إما أن يعلم حالها أو يجهل ، فإن جهل فالرجوع فى ظاهر الشرع إلى اليد إن كانت صغيرة ، و إلى اليد و إقرارها إن كانت كبيرة . فاليد حجة شرعية والإقرار . ولا يخفى مع ذلك أن الورع مستحب .

و إن علم حالها فهو أنواع :

أحدها : من تحقق إسلامها فى بلادها وأنه لم يجر عليها رق قبل ذلك . فهذه لا تحل بوجه من الوجوه إلا بالزواج بشرطه

الثانى : كافرة ممن لهم ذمة وعهد فكذلك .

الثالث : كافرة من أهل الحرب مملوكة لكافر حربى أو غيره ، فباعها فهى حلال لمشتريها .

الرابع : كافرة من أهل الحرب قهرها أو قهر سيدها كافر آخر ، فإنه يملكها كلها و يبيعها لمن يشاء ، وتحل لمشتريها .

وهذان النوعان الحل فيهما قطعى ، وليسا محل الورع ، كما أن النوعين اللذين قبلهما الحرمة فيهما قطعية .

النوع الخامس : كافرة من أهل الحرب لم يجر عليها رق ، وأخذها مسلم . فهذا على أقسام :

أحدها : أن يأخذها جيش من جيوش المسلمين بإيجاف خيل أو ركاب فهى غنيمة أربعة أخماسها للغانمين ، وخمسها لأهل الخمس المذكورين فى الأنفال . وهذا لا خلاف فيه .

وغلط الشيخ تاج الدين الفزارى فقال : إن حكم الفىء والغنيمة راجع إلى رأى الإمام ، يفعل فيه ما يراه مصلحة وصنف فى ذلك كراسة وسماها : (الرخصة العميمة فى أحكام الغنيمة) .

وانتدب له الشيخ النواوى فرد عليه فى كراسة أجاد فيها . والصواب معه . وقد بين غزوات النبى صلى الله عليه وسلم وسراياه كلها مما حصل فيه غنيمة أو فىء قسم وخمّس على ما دل عليه كتاب الله .

وكذلك غنائم بدر وإن كانت قد جعلها لله ولرسوله بقوله : (قل الأنفال لله والرسول) وقسمها صلى الله عليه وسلم وأعطى منه سبعة أو ثمانية لم يحضروا الواقعة لأنها كانت له .

قيل : إنما أعطاهم من نصيبه .

وقال الشافعى : إن الأول هو الرواية الظاهرة عنده . ونزل بعد ذلك قوله تعالى : (واعلموا أنما غنمتم) الآية ، فما أعطى النبى

صلى الله عليه وسلم بعـد ذلك أحدا لم يشهد الوقعة بينهم من أربعة أخماس الغنائم ، ولا أخرج الخمس عن أهله . ومن تتبع السير وجد ذلك فيها مفصلا .

ولو قال الإمام : من أخذ شيئا فهو له ، لم يصح القسم .

الثانى : أن ينجلى الـكفار عنها من غير إيجاف من المسلمين أو يموت عنها من لا وارث له من أهل الذمة وما أشـبه ذلك ، فهذه يصرف لأهله الذين ذكرهم الله فى سورة الحشر ، والخمس منه لأهل الخمس ، والأربعة الأخماس للشافعى فيها اليوم قولان ، أصحهما أنهما للمقاتلة والثـانى أنها للمصالح .

فالجارية التى توجد من الفىء على هذا الحكم ؛ فكل جارية علم أنها من الغنيمة ، أو من الفىء ، أو من المتولى عليهم ، أو الوكيل عنهم ، أو ممن انتقل الملك إليه من جهتهم ، ولو بقى فيها قيراط لا يحل تملـكه ممن هو له .

والقسم الثالث : أن يروح واحد أو اثنان بإذن الإمام ، فما حصل لهما من الغنيمة يختصان بأربعة أخماسه ، ويأخذ أهل الخمس الباقى .

هذا مذهبنا ومذهب جمهور العلماء ، فلا فرق بين أن تكون السرّية قليـلة أو كثيرة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم بعث

ابن أنيس سرية وحده ، و بعث عمرو بن أميـة الضَمرىّ مع أنصارىّ سرية وحدهما .

و بوّب الشافعى على ذلك فى الأم : « الرجل يغنم وحده » .

وذكره الأصحاب الشـيخ أبو حامد والمحاملى والمـاوردى والجرجانى والرويانى وغيرهم .

القسم الرابع : أن يغزو واحد أو اثنان أو أكثر بغير إذن الإمام ، فالحكم كذلك عندنا وعند الجمهور فيما يتعلق بالغنيمة و إن كان الغزو بغير إذن الإمام مكروها .

الخامس : (أن يدخل الواحد) أو الاثنان أو نحوهما ليسوا على صورة الغزاة بل المتلصصين . وقد ذكر الأصحاب إذا دخلوا يخمس ما أخذوه على الصحيح وعللوه بأنهم غرروا بأنفسهم وكان كالقتال .

وهذا التعليل يقتضى أنه لم يقطع فى الجملة عن الغزو ؛ والإمام فى موضع حكى هـذا وضعفه وقال إن المشهور عدم التخميس . وفى موضع ادعى إجماع الأصحاب على أنه يختص به ولا يخمس ، وجعل مال الـكفار على ثلاثة أقسام غنيمة وفىء وغيرهما كالسرقة فيملكه من أخذه قياسا على المباحات . فوافقه الغزالى على ذلك وهو مذهب أبى حنيفة .

وقال البغوى : إن الواحد إذا أخـذ من حربى شيئا على

جهة السوم فجحده أو هرب به اختص به .

فيما قاله نظر : يحتمل أن يقال يجب ردّه لأنه كان ائتمنه .
فإن صح ما قاله البغوى وافق الغزالى بطريق .

قال أبو إسحاق : إن المأخوذ على جهة الاختلاس فىء

وقال الماوردى إنه غنيمة . وما قاله الماوردى موافق لكلام الأكثرين . وما قال أبو إسحاق إن أراد بالفىء الغنيمة حصل الوفاق وإلا فلا . وإن زعم أنه تبرع من المختلس ويعطى خمسه لغيره من المقاتلة وأهل الخمس فبعيد .

ورأيت فى كتب المالكية من العتيقة عن ابن القاسم فى عبد لمسلم أبق من سيده ، فدخل بلاد العدو وخرج طائعا بأموال أنها كلّها له ولسيده ولا يُخَمّس ، وفى عبد دخل قرية من قرى العدو متلصّصا فأخذ مالا يُخَمّس .

فقيل له : ما الفرق ؟ فقال : إن الذى أبق لم يدخل ليصيب مالا ولا خرج ليقاتل ، فلذلك لم أخمّس ما أخذه بخلاف المتلصّص . وهذا فرق حسن لو قيل بأن من لم يكن على صورة الغزو ولا قصده إليه يختص بما أخذه ، ومن كان كذلك يخمّس ما أخذه كان له وجه ، ولكن قوة كلام الشافعى وجمهور أصحابنا يأباه ، ويجعلون مال الكفار كله قسمين : إما فيئا وإما

غنيمة ; ولا ثالث لهما إلا على ما قاله الإمام الغزالى ، وهو وجه لبعض أصحابنا .

وقال سحنون من المالكية : إن ما أخذه العبد لا يخمس مطلقا ، لأن المخاطب بقوله : (واعلموا أنما غنمتم) الأحرار ، وعلى قياسه يكون ما أخذه النساء والصبيان كذلك . فهذا القسم الخامس من النوع الخامس قد اشتمل على صور ولم يفردها الأصحاب : بل ذكروها مندرجة مع القسم الرابع . فالجارية المأخوذة على هذه الصورة فيها هذا الخلاف ، واجتنابها محل الورع .

سؤال :

لو قتل شخص بين جماعة فما حكمه ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : ان ظهر القاتل وأثبت عليه أنه قتله بآلة الجرح قتلناه ، وإن ظهر أن بعضهم ضربوه بآلة الجرح ، و بعضهم بغير آلة الجرح نأخذ الدية لأنّ الحدود تسقط بالشُبَه ، و إن ظهر أن الكل ضربوه بآلة الجرح فنقتل الكل . أما دية المسلم الحر البالغ فألف دينار ، ودية المرأة نصف دية الرجل ،

ودية الذمىّ ثُلُث دية المسلم ، ودية الذمّية نصف الثُّلُث ، ودية المجوسى خمس الثُّلُث .

سؤال :

لو قتل عبد مسلم حرا ذميا فما حكمه ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : نقتل العبد المسلم بالذمىّ فى الشرع فى مذهبنا ، لأنه تعالى قال : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين) .

وأما قوله : (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) ، فاستدل به الشافعى لأن عنده لا يجوز قتل المسلم بالذمىّ و إن كان مرقوقا .

قال أبو بكر الرازى فى كتابه وكان معاصراً للبخارى : إن عمر وعليا وعمر بن عبد العزيز قتلوا المسلم بالكافر .

سؤال :

فعلى هذا لو يقتل الوالد ولده ، فهل يقتل الوالد به أم لا ؟ مع أن آية : (إنّ النفس بالنفس) شاملة لهما ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : نُخصّص الآية الشريفة ولا نقتل الوالد بالولد لأجل حرمة الأبوّة . ونظيره لا يجوز قتل السيد بعبده .

سؤال :

إذا قتل ذمىّ ذميّا ثم أسلم القاتل فما حكمه ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : نقتله وندفنه فى مقابر المسلمين ، لأن الإسلام يرفع حق الله لا حقّ الناس .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : فى بلاد بُلغار كيف يصلون العشاء لأن الشمس لا تغرب عندهم إلا بقدر مابين المغرب والعشاء ثم تطلع ؟

الجواب :

قال صاحب الكنز : نحن نقيس هذه المسألة بمسألة شخص

مقطوع الرجلين من الكعبين أو مقطوع اليدين من المرفقين ، فلا شك أنه لايجب عليهما غسل اليدين ولا غسل الرجلين ، فلا يجب على أهل بُلغار أيضاً صلاة العشاء لفقد الوقت عندهم .

وقيل : يقاس على خروج يوم الدجال ، لأنه قال صلى الله عليه وسلم يومٌ كسنَة و يوم كشهر اقدُروا له . حين سأله الصحابة عن الصلاة والصوم فى يوم الدجال .

فنقول : نعتبر صلاتهم وصومهم بأقرب البلاد إليهم .

وقيل : نعتبر صلاتهم وصومهم بمكة .

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : والمشكل فى بلادهم أيضاً مسألة الصوم ، لأن الشمس لا تغيب عندهم إلا بمقدار أداء الصلاة ، فهل يشتغلون بالأكل حتى يقووا على صوم الغد فى شهر رمضان أو بالصلاة ؟

فنقول فى الجواب : نعتبر صومهم وصلاتهم ، ونقدر بأقرب البلاد إليهم أو بمكة .

سؤال :

سأل ملك التتر شاهى بك خان لما سأل علماء خراسان :

وهو أنه إذا أخبر شخصا مخبر صادق و بشّره بالفوز والنجاة لم يبق له بعد هذا خوف . فما تقولون فى عمر رضى الله عنه مع أنه من العشرة المقطوع لهم بالجنة ، وأخـبرهم المخبرُ الصادق بذلك فـكيف بعد هذا يجتهد فى العبادة غاية الجهد ؟ وما سبب خوفه رضى الله عنه من أهوال القيامة حتى قال : ليتنى كنت حشيشا يابسا ، وليت أمى لم تلدنى ؛ مع أنه ليس عنده شك فى بشارة سيد المرسلين ؟

الجواب :

قال سلطان العارفين عزّ نصره : لاشك أن عمر من العشرة المبشّرة بالجنة وجزم بقول النبى صلى الله عليه وسلم ، ولـكن خاف السيد عمر من مكر الله (ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) .

سؤال :

سأل شاهى بك خان علماء سمرقند وخراسان : هل يرث ابن الابن مع وجود الابن من ميراث أبيه شيئاً ؟

الجواب :

قالوا : لايرث :

سؤال :

قال الملك : والقياس أن يرث حصة أبيه ، لأن ابن الابن يرث مع وجود البنت حصة أبيه ، فما الفرق بين هاتين الصورتين ؟

الجواب :

قيل : إن ابن شريح عمل بهذا ، ويجوز للملك أن يقوى قولا ضعيفا .

قال شاهى بك : أنا أقوّى قول ابن شريح ، فأمر الملك أن يكتبوا مراسيم ويبعثوها إلى عمال جميع مملكته أن لا تمنعوا ابن الابن مع وجود الابن من ميراث أبيه ، فإذا قتل الملك قبل نفوذ المراسيم فى البلدان[1] .

جواب :

قال حضرة مولانا السلطان : أما سمع شاهى بك حديث البخارى ، ومضمونه أنه لايرث ابن الابن مع وجود الابن ؟

---

(١) معنى هذا أنه إذا مات شخص وله أبناء وابن ابن مات أبوه ، فهل يأخذ ابن الابن نصيب أبيه من ميراث جده ؟ يرى ابن شريح أن يعطى الابن ما كان يأخذه أبوه لو كان حيا حتى لايحرم ابن الابن من مال جده ، وهو رأى سديد كما نرى .

فهذه المسألة أخذت من السنة لا بالقياس ، فكيف غفل شاهى بك عن هذا ؟

سؤال :

إذا غابت الشمس فى ثغر إسكندرية ولم تغب على مَن برأس المنار الذى بها ، فهل يجوز أن يفطر المؤذن الذى عليه بعد أذانه ؟

الجواب :

لايجوز الفطر للمؤذن ولا من كان حاضراً مع المؤذن على المنار ، ويفطر أهل البلد بأذانه . ذكره فى الخلاصة .

سؤال :

فى قوله تعالى : (إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) الآية . فلأى حكمة قدّم لفظ الكوكب على الشمس والقمر مع أن النيّرين أحق بالتقديم ؟

الجواب :

قال شيخ الإسلام : هـذا من باب الترقى من الأدنى إلى الأعلى .

سؤال :

قلت : فعلى هذا المناسب أن يقدم لفظ القمر على الشمس ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : بل الصواب فى الجواب أن يوسف عليه السلام رأى فى المنام على هذا الترتيب ، يعنى رأى أولا الكواكب ، ثم رأى الشمس ، ثم رأى القمر .

سؤال :

قوله تعالى : (إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) لأى حكمة ذكر لفظ رأيت مرتين . فهلّا اكتفى بلفظ واحد ؟

الجواب :

لأن الرؤية الأولى بمعنى رؤية المنام . والرؤية الثانية بمعنى رؤية العين .

سؤال :

لأى حكمة ذكر الله تعالى قصة نوح فى القرآن فى خمسة

وعشرين موضعا ، وذكر قصة موسى فى تسعين موضعا ، ولم يذكر قصة يوسف إلا فى موضع واحد ، مع أنه قال تعالى فى حقها إنها أحسن القَصَص ؟

الجواب :

قيل : لأن سورة يوسف متضمنة التشبيب بالنساء ، وورد الحديث فى النهى عن تعليمهن سورة يوسف .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : حديث النهى غير معقول ، لأن اللواط أقبح من تشبيب النساء . فعلى هذا لا بد من نهى الرجال عن قراءة آيات السيد لوط وفعل قومه ؟ وأيضا يستلزم هذا نهى النساء عن قراءة قوله تعالى : (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) . فإذا كان ذكر التشبيب منهيّا عنه فالنهى عن ذكر الكفر والخيانة مع الأنبياء أولى .

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : بل الحق أن يقال : إن يوسف الصديق نبي ابن نبي ابن نبي . كما ورد فى حقه : الكريم ابن

الكريم ابن الكريم . وهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم . وما وقع التشاجر له مع أحد إلا مع إخوته . وكانت مهابة إبراهيم الخليل فى قلوب الناس بخلاف نوح عليه السلام فإنه كان ابن أخنوخ ، ولم يكن أبوه نبيا ، وكان فقير الحال فى الصورة الظاهرة ، فوقع له مع قومه تشاجر كثير بسبب الدعوة ، فذكر الله تعالى كل واقعة فى موضع من القرآن .

وأما حكمة تكرار قصة موسى فهى أنه لما نشأ موسى فى بيت فرعون عليه لعنة الله ، فأنكر فرعون وقومه غاية الإنكار عليه وابتلى بنو إسرائيل بذبح الأولاد واستحياء النساء بسببه قبل ولادته مع أن موسى معه تسع آيات بيّنات كالطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم والثعبان واليد البيضاء ، وقال قوم فرعون فى كل منها لما ابتلوا : (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل) فلما كشف عنهم العذاب ردوا إلى كفرهم وقالوا : (مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) فوقع لموسى مع بنى إسرائيل وقائع .

وقالوا له : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ، فذكر الله تعالى كل واقعة فى موضع . وهذا سبب ذكره فى تسعين موضعا فى القرآن .

قال شيخ الإسلام : والله ما فى الدنيا مثل ذهن مولانا

السلطان ، ولا مثل استحضاره وفهمه ، وقام على قدميه وقبّل الأرض بين يديه ، وقال : لولا دهشة السلطنة وحُرمة المملكة لرقصت من الفرح فى هذا المجلس بسبب سماع هذه الأجوبة الدقيقة ، واستماع هذه الفوائد العجيبة .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : اللعب بالشطرنج مباح أم لا ؟

الجواب :

ورد أن أبا هريرة وعلىّ بن حسين زين العابدين وسعيدَ ابن المسيب وإبراهيم بن سعد وإبراهيم بن طلحة كانوا يلعبون الشطرنج .

وأيضاً الشطرنج فيه تدبير الحروب فأشبه اللعب بالحراب ، فلم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم نهى صحيح عن اللعب به . وأما إذا ضُمّ إليه اشتغال عن الصلاة أو غيرها من العبادات فهو حرام إذ ذاك ليس للشطرنج نفس الحرمة . وإن لم يواظب فهو مكروه . وإن واظب صار صغيرة . ذكره الدميرى .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : إذا وقف شخص وقفاً على

الفقراء ، وفى آخر ذلك حصل له فقر شديد ، فهل يجوز له أن يأكل شيئا من وقفه أم لا ؟

الجواب :

فى هذه المسألة خلاف . قيل : ليس يجوز له أن يُدخل نفسه مع الفقراء . لأنه حين وقف وقفه ما كان فى نيّته أن يُدخل نفسه .

وقيل : يجوز له أن يدخل نفسه فى ذلك .

وهذه المسألة مذكورة فى كتب الأصول فى بحث الاستثناء .

سؤال :

الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ؟

كتب شيخ الإسلام (يعنى) الإمام الأعظم قدوة الأنام فى العالم (أعنى) برهان الدين بن أبى شريف ، وقد تصدّى لهذا ، الجواب الشريف . وهو هذا .

الجواب :

الحمد لله على ما ألهم ، من كَشف ما أوهم ، و بيان ما أشكل وأبهم ، ووفّق للدقائق وفهّم ، وفاوت بين الأفهام فبعضٌ من بعض أفهَم .

أحمده على ما منح من معارف بها الكريمُ فَتح ، ووسّع لها الصدرَ وفَسح ، ففى رياضها الطرف سرح ، ومن حياضها نهل طرَف الأسرار ومرح ، خاض المُعانى لجج بحر المعانى لما لمشكلها شرح ، كم نشأة أدام مداما وللقلب شرح .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحــده لا شريك له الذى أنزلنا منازل الأمان ، بالتحلّى بجواهر الإيمان . فإقرارنا بألفاظنا ، وتصديقنا بجَناننا من جملة أفعالنا . وصفاتُ من أقررنا له بالتوحيد والتقديس والتمجيد لها وصف القِدم ، فمن حقق لم تزلّ منه القَدم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الذى جلا الظُلَم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا من بالشرك ظَلَم .

و بعد فقد طرق المسامع ، مالا يرضاه السامع ، من حمل كلام الأئمة ، على ما لا يرضى إطلاقَه علماء الأمة ، بما لا يورد فى كل الأمكنة ، إلا ذوو الأفهام المتمكنة . فبعض من قصد إدراكه ربما أخطأ فى فهم المراد ، فخاض بحار الحيرة ولم يجد له من رادّ . فإنه نقل عن بعض مشايخ الحنفية مقالة ذكرَها ، وغفل أن كلاً من محققيهم أنكرها ، من أن الإيمان غير مخلوق بل قديم ، وأن من قال بحدوثه فهمه غير مستقيم ، وأنه يخشى عليه الـكفر . و إطلاق هذا القول من أشد النكُر .

وقد قال أبو حنيفة رضى الله عنــه حين سألوه فى وصيّة يذكرها فى مرض الموت ويسمعونها منــه : نقر بأن العبد مع جميع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق . فأشعر أنه مسبوق بالعدم غير موصوف بالقدم .

وفى آخر كلام أبى الليث السمرقندى آخر مقدمته كلاما لنَفْى الخلاف يؤدى .

قلت : ومن حقق وأورد الكلام موارده ، جعل المسألة على حالين واردة . فالإيمان الذى هو قول باللسان ، وتصديق بالجَنان ، وعمل بالأركان ، كل ذلك أفعال العباد ، ولا ينكر حدوثه إلا مكابر ذو عناد .

وأما الإيمـان الذى هو وصف لله دل عليه اسمه المؤمن . فالقائل بقدمه محسن متقن ؛ بمعنى أنه المصدّق فى : « شهد الله أنه لا إله إلا هوَ » الناطق بأحديته . فلا خلاف أن ذلك ليس موضع خلاف ولا محلّه. وأنّ القائل بحدوث ذلك خارج عن الملة .

وليس الخلاف فى أصل المسألة مختصا بالحنفية . بل حكى الأشعرى الخلاف لغيرهم فى مقالة مفردة ، هى لنا بالإجازة مرويّة .

وممن ذهب إلى القول بخلق الإيمان من أهل النظر حارث المحاسبى ، وجعفر بن حرب ، وعبد الله بن كلاب وطوائف أخر .

وذكر القول بقدمه الإمام أحمد بن حنبل وجماعة من أهل الحديث معتبرة ، ومال إليه الإمام الأشعرى وكل قال بحسب ما فسّره .

فمن ظن أن بين هذه الأمة تكفيراً ضل ضلالا بعيداً ، ولا يجد له على مقالته معينا .

معاذ الله أن يكون مَن المرجعُ فى الدين إليهم يكفّر بعضهم بعضًا . ذلك اجتراء وافتراء عليهم .

فالأئمة منحهم الله علم الباطن والظاهر معا . ولسهولة الظاهر كان الكل فيه لهم تبعا .

وإنما سهّل عندهم أمره ما فى القضاء والإفتاء من محبة الأمرة . هلاّ قلدوا أبا حنيفة فى ورعه وهَجرِه وَسَنَه ، وفى إحياء الليل كان يصلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سَنَة .

علت هممهم فنالوا الولاية الأخروية ، فهم أبعد الناس من ملاحظة ولاية دنيوية . وهذا شأن بقية الأئمة فى المراقبة ، والتدقيق فى قمع النفس والمحاسبة .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : الإيمان الذى هو التصديق

هل هو نظرى يحتاج إلى فكر أو بديهى أى لا يحتاج إلى نظر وكسب ؟

الجواب :

قال أقضى قضاة العالم ، شيخ الإسلام فى العرب والعجم ، قدوة أئمة المحققين ، قبلة العلماء فى العالمين ، الشيخ كمال الملة والشريعة والحقيقة والتقوى والفتوى والدين ، محمد القادرى أدام الله أيامه :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد فهذه مسألة لطيفة ، ذكرت فى الحضرة الشريفة ، حضرة مولانا الإمام الأعظم ، والهمام المعظّم ، من فاق ملوك الزمان بعلمه ، وفضَلهم بجَودة فكره ودقّة فهمه . إن ذُكرت لديه المشكلات بادر إلى حلّها ، وإن عرضت عليه المعضلات أوضحها لأهلها . كم من فائدة جليلة يُفيدها ، ونكتة بديعة يبديها ويُعيدها . مجالسه بأرباب الفضائل مشحونة ، ومُجَالِسُه لا يرضى أحداً دونه .

اللهم زده من لدنك علماً ، وتوفيقاً وحلماً ، وأدِم به نفع العباد ، وأصلِح بوجوده فساد البلاد . آمين يا رب العالمين .

الإيمان عند بعض المشايخ كسبيّ يثبت باختيار المصدّق ؛ ولهذا يثاب عليه . و إلى ذلك ذهب بعض المحققين . واستُشكل بأن التصديق أحد قسمى العلم ، والعلم من جملة الكيفيات النفسانية دون الأفعال الاختيارية . فلا يصح تفسيره بالفعل الاختيارى فى قولهم : التصديق أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر . وقول بعض المشايخ : التصديق عبارة عن ربط القلب على ما علم من إخبار المخبر أنها تعمّ تحصيل تلك الكيفية ، يكون بالاختيار فى مباشرة الأسباب فى صرف النظر ، ورفع الموانع ونحو ذلك .

و بهذا الاعتبار يقع التكليف بالإيمان . إذ التكاليف إنما يكون بالأمر الاختيارى ، والكيفيات النفسية ليست أموراً اختيارية ، فالتكاليف بها معناه التكليف بمباشرة أسباب حصولها . وكان هـذا المراد بكونه كسبيا اختياريا ، ولو كان الإيمان من الأفعال لما صح الاتصاف به حقيقة الآن المباشرة والتحصيل ، لأن هذا النوع من العرَض لا يبقى عند الحكماء بخلاف الكيف .

ولا يخفى أنه لا يشترط أن تكون تلك الكيفية حاصلة دائماً بالفعل ، بل الشرع اعتبر وجودها دائما ما لم يحصل ما ينافيها سواء حصلت الغفلة بنوم أو غيره ، على أن شارح

المقاصد يميل إلى بقاء العَرَض من القطع بأن إيماننا الآن هو إيماننا من قبل بعينه .

فإن قيل : أطفال المؤمنين مؤمنون مع عدم التصديق ؟

الجواب :

أن الحاصل لهم إيمان حكمى لا حقيقى .

والله يهدى إلى الحق و إلى طريق مستقيم .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : إطلاق لفظ المحال على الممتنع هل هو على الحقيقة أو على المجاز ؟

الجواب :

قال أقضى القضاة أعنى العالم الربانى الشافعى الثانى : نحمدك على كل حال يا شديد المِحال ، ونشكرك ياذا الإفضال على عدم تكليفنا بالمُحال ، ونصلى على نبيك محمد الهادى من الضلال ، وعلى آله وصحبه خير صحب وآل .

و بعد فإن خير المجالس ما جُليت فيه عرائس النفائس ، وتُليت فيه آيات القرآن العظيم ، ورويت فيه أخبار النبي

الكريم ، وذكرت فيه المعارف الدينية ، والعوارف اليقينية ، والرقائق الأدبية ، والدقائق العربية . ومما هو مختص بذلك ، وشاع ذكره فى الممالك ، مجلس يفخر على سائر المجالس ، ويزهو بأجلى حلل الملابس ، مجلس سلطان الإسلام ، وزمام الأنام ، وحامى الزمام ، مجلس قد سما وتشرف ، حين حله الملك الأشرف

قد كسى منه بهجة وجمالا   وعلوّا بين الورى وكمالا
وسما وارتقى وحل محلا   من يرم مثله يروم محالا

كم فيه من مسائل لطيفة ، وأبحاث شريفة ، يطرحها الإمام على الأقوام ، ليختبر ما عندهم من الأحكام اقتداء بخير الأنام . كم فاضل ناظره وجادله ، وسائل أفاده وجاد ، له . ملك فاق ملوك الآفاق ، وحاز فى حلبة الفضائل قصب السباق ، غواص على استخراج المعانى الدقيقة ، فحّاص عن معرفة المجاز من الحقيقة ، قريب من رعيته ، ناظر إليهم ببصره و بصيرته ، كثير السؤال عن أخبارهم ، لينظر فى مصالح كبارهم وصغارهم ، قائم فى عمارة البلاد ، عازم على نصرة الدين وآمر بالجهاد .

بلغه الله آماله ، وختم بالصالحات أعماله .

هذا ومما صدر بين يديه ، وكان هو المعوّل فيه عليه ، حين ذكر لفظ المحال ، ما وقع عنه حينئذ السؤال : هل له أصل فى كلام العرب منقول ، أو هو مما أصطلح عليه أهل الأصول ؟

وحاصل ماظهر فى الجواب ، بفضل الكريم الوهاب ، أن له أصلا مأخوذاً هو منه ، وإن كان قد نقل فى اصطلاح آخر عنه ، إذ لا ريب أنه فى الأصل اسم مفعول من أحال أو من الإحالة على اختلاف القولين ، من أهل المصرين[١] ، ويرادفه المستحيل ، وهو ما استحال من الاستقامة إلى الاعوجاج . فالمحال والمستحيل ما ليس بمستقيم على ما يؤخذ من كلام الجوهرى . ولا ينافيه تفسير القاموس له بما عدل عن وجهه . ثم استعمله الأصوليون فى الممتنع عقلا وعادة كالجمع بين السواد والبياض ، أو عادة لا عقلا كالمشى من الزَّمِن والطيران من الإنسان حقيقةً عرفيةً خاصةً ومجازاً لغويا . وكذلك استعمله الفقهاء فى تعليق الطلاق وزادوا على الأصوليين المستحيل شرعاً كنسخ صوم رمضان ، وأبقوه على حقيقته فى نقل الدَّيْن من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه إلى المحال ، فسموا المحال بدينه على آخر محالا . وقد جمع ابن بنت الأعز بين الأمرين مع التجوز على ما لا يخفى فقال :

ومن رام فى الدنيا حياة خليّة
من الهمّ والأكدار رام محالا
وهاتيك دعوى قد تركت دليلها
على كل أبناء الزمان محالا

(١) يعنى اختلاف أهل البصرة والكوفة فى أن أصل الاشتقاق الفعل أو المصدر .

اللهم زد سلطاننا علماً وفهماً وتواضعاً وحلماً و إيماناً وتصديقاً وتوفيقاً وتحقيقاً . واجعل أعلام عزّه مرفوعة ، ورايات أعدائه مخفوضة وموضوعة ، ومتع المسلمين بدوامه ، وبارك اللهم فى لياليه وأيامه ، وأسبغ عليه نعمك الوافرة ، واجعله من سعداء الدار الآخرة .

جوهرة :

قال حضرة مولانا السلطان : جماعة من العلماء جاءوا إلى خدمتى ومعهم قصة وفى عنوانها مكتوب : (والله الغنى وأنتم الفقراء) ، فقلت فى جوابهم : فإذا عرفتم ذلك فلماذا تركتم الغنىّ وطلبتم من الفقير . بل المناسب أن تكتبوا على قصتكم : « إن أعطيتم فالإعطاء من الله ، والأمر مسوق إليك ، وإن منعت فالمنع من الله والعتْب عليك » . قال عز نصره : رأيت هذه العبارة مكتوبة على حائط فحفظتها .

سؤال :

قال قُرقُد بك ابن أبا يزيد خان لما رأى مصحفاً بخط عثمان ابن عفان ، وفيه أثر دمه رضى الله عنه ، قال : لا شك أن الدم

فى الشرع نجس ، فكيف تركتم هذا الدم فى المصحف الشريف ولم تغسلوه ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : هذا المصحف إمام لمصاحف الدنيا ، ورسم الخط العثمانى سند على العلماء والفقهاء والقرّاء . ولوغسلناه لفات هذا المقصود ، فارتكبنا أمراً يسيراً حتى لايفوتنا هذا الخير الكثير ، والحال أن القليل من الدم معفوّ عنه . وفى بعض المذاهب جواز أكثر من الدرهم .

جوهرة :

لما تشرف الشيخ إبراهيم الأوّاه بالوصول إلى خدمة مولانا السلطان ، خلد الله ملكه فقال : (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) .

قال حضرة مولانا السلطان فى الجواب : أما سمعت قوله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون) . ثم قال : ويمكن أن يقال : خوف الأولياء جائز لأن الأولياء على ثلاثة أقسام : قسم يعرفون أنفسهم بالولاية ، وقسم لا يعرفون أنفسهم ولا يعرف الخلق أنهم أولياء ولا يعرفهم إلا الله تعالى .

وقسم يعرفهم الخلق والحق تعالى وأنفسهم بأنهم أولياء . فالولى الذى لا يعرف نفسه بالولاية يمكن أن يكون له خوف من الله تعالى .

أو نقول : هذه الآية الشريفة وإن دلت على عدم خوفهم وحزنهم ، ولكن لا يليق بمرتبة العبودية إلا الخوف والحزن والعجز .

سؤال :

فى قول الشيخ عمر بن الفارض :

قلبى يحـــــــدثنى بأنك مُتلفى

روحى فداك عرفت أم لم تعرف

قال حضرة مولانا السلطان : لاشك أن المخاطب بهـذا الكلام هو الله تعالى . فما معنى قوله : أم لم تعرف ؛ لأنه تعالى عالم بالجزئيات والكليات ؟

الجواب :

ذكرت العلماء أن المراد بالمعرفة ههنا المجازاة . أى روحى فداك سواء تجازينى أو لم تجازينى .

ونظيره موجود فى القرآن العظيم : (ويدخلهم الجنة عرّفها لهم) .

سؤال :

ما السبب فى تسمية الإمام الشافعى بالشافعى ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : قيل لما سافر الشافعى إلى نحو المدينة حتى يقرأ على إمام دار الهجرة فدخل ذلك الوقت عند الإمام مالك ولازم مجلسه . فإذن جاء عند الإمام مالك شخص وقال : يا إمام ماتت زوجتى ، وكان قريب وضع حمل الولادة فما حكمه ؟ فأمر بالدفن مع الأُم . لما خرجوا من عنده وكان الشافعى فى دهليزه فسألوا منه وقال لهم الشافعى : امضوا إليها وشقوا عن بطنها وأخرجوا الولد ، وقيل : أمرهم بدفنها ، وأن يدفنوا معها قصبة طويلة ، وفى كل يوم امضوا لنحو القبر واسمعوا من جوف القصبة ؛ فإن سمعتم حِسَّ الولد فانبشوا عن قبرها وأخرجوا الولد . فعند ذلك فعلوا ما قال لهم الإمام الشافعى فسمعوا حِسّ الولد فأخرجوه ؛ فبعد مدة دخل صبى صغير على الإمام مالك ، وكان من أجمل أولاد ذلك الزمان وقرأ عنده القرآن فتعجب الإمام من قراءته وحسن لفظه وعبارته . فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الذى أمرت بدفنى بالحياة . فارتعد بدن الإمام من ذلك . وذكر الصبى حكاية محمد بن إدريس الشافعى

وتعليمه لهذا ، وكان هو فى المجلس فقال : أنت شافعى .

وقيل : الشافع اسم لجده . فضعفه ظاهر لأنه فى أول أمره وبداية عمره ليس مشهوراً بهذا الاسم ، ولكن يدعى بمحمد ابن إدريس [١] .

سؤال :

فى قوله تعالى : (ويسألونك عن الرُّوح قل الروح من أمر ربى) ؟

قال حضرة مولانا السلطان : لأى حكمة ما ذكر الله تعالى فى هذه الآية الكريمة تفسير الروح . مع أن تفسيره من أهون الأشياء . لأن المتكلمين قالوا : إن النفس والروح واحد . وهو جسم لطيف سار فى البدن لا يتبدل ولا يتحلل . وعند الحكماء : جوهر مجرد متصرف فى البدن كتصرف الملك فى المملكة ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : إن اليهود لما جاؤا إلى النبي

---

(١) أوردت هذه القصة فى صورة أخرى فى كتاب المجالس السلطانية ويرى هنا من ركاكة العبارة ما هو أقرب إلى ذلك الكتاب ، فلعل مؤلف الكوكب الدرى نقلها عن مؤلف المجالس أو نقلاها من أصل واحد .

صلى الله عليه وسلم وسألوه عن الروح ، أضمروا في أنفسهم أن كل ما يقوله محمد في ذلك نقول : عندنا تفسير الروح بخلاف ما تقول . فذكر الله تعالى ذلك بوجه لم يقدروا على رده ، فعند ذلك دخلوا في الإسلام .

أو نقول : لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما بُعث إلا لأجل تبليغ الأحكام الشرعية . وحقيقة الروح لا يتعلق بها الأحكام الشرعية .

سؤال :

ما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا رادّ له ؟

الجواب :

قال الغزالي : اعلم أن من جملة القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لرد البلاء . وكما أن الترس سبب لدفع السهم ، والماء سبب لخروج النبات ، كذلك الدعاء سبب لرد البلاء . وليس من شرط الاعتراف بالقضاء عدم حمل السلاح لأنه تعالى أمرنا بحمله بقوله : (فليأخذوا حِذرهم وأسلحتهم) .

سؤال :

إذا وقع من يد شخص لؤلؤة فابتلعتها نعامة ، فما الحكم في ذلك ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : يُنظر في ذلك فإذا كان قيمة اللؤلؤة أكثر من قيمة النعامة تذبح . وإن كانت قيمة النعامة أكثر من اللؤلؤة تترك .

سؤال :

في قوله تعالى : (وآتت كل واحدة منهن سكيناً) .
لا شك أن زليخا كانت عاشقة ليوسف عليه السلام ؛ فلأيّ حكمة ما قطعت يدها في يوم قطعن أيديهن ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : لأن زليخا كانت ، على ما بها ، أصبر منهن ، فكان لسان حالها يقول أنا مع هذا الصبر لَمُتُنَّني مع أنكن لم تقدرن على نظرة واحدة ، « فلا تلوموني ولوموا أنفسكم » .

جوهرة :

قال حضرة مولانا السلطان : إن كان نسوة المدينة قطّعن أيديهن فزليخا قطّعت قلبها .

سؤال :

قال شيخ الإسلام : هل منزل السيد أبي بكر وعمر فى الجنة أعلى من منزل السيد عليّ أو منزله أعلى من منزلهم رضى الله عنهم أجمعين ؟

قلت : لا أدرى ؟

الجواب :

قال شيخ الإسلام : منزل السيد عليّ أعلى من منازلهم ، لأنه متزوج بفاطمة ابنة النبيّ صلى الله عليه وسلم التى ورد فى حقها أنها بضعة منّى . ولا يلزم من علوّ المنزل فى الجنة الأفضلية مع أن المحدثين يكتبون لفاطمة : « صلى الله عليها وسلم » .

سؤال :

قلت : فما تقولون فى عثمان رضى الله عنه لأنه متزوج ببنتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فيلزم أن يكون أعلى منزلا من الجميع ؟

الجواب :

قال شيخ الإسلام : لم يصل أحد من أولاد النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى درجة فاطمة رضى الله عنها ، لأنه ورد فى حقها أنها سيدة النساء .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : امرأة كان معها شخص ، فلما سئلت عنه قالت : هذا زوجي وعبدى وابنى وأخى . . . فعجز الناس عن جواب ذلك !

الجواب :

أفاد مولانا السلطان : أنه وقع نكاح الشبهة بين الأب والبنت فولد بينهما ولد فافترق الولد من أمه ، ثم تزوج هذا الولد أمه بالشبهة . ثم بعد مدة أسلمت الأم واشترت ولدها[1] .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : هل كان أصحاب النبيّ صلى الله

---

(١) تقدم هذا فى كتاب نفائس المجالس .

عليه وسلم قبل دخولهم الإسلام ، فى الجاهلية ، هل كان لهم حِرَفٌ أم لا ؟

الجواب :

نعم ، كان لهم حِرَف . قال التوحيدى فى كتاب بصائر القدماء وسرائر الحكماء : صناعة كل من عُلمت صناعتُه من قريش فقال : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه بزّازاً . وكذلك عثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم . وكان عمر رضى الله عنه دلّالا يسعى بين البائع والمشترى . وكان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يبرى النَّبل . وكان الوليد بن المغيرة حدّاداً . وكذلك أبو العاص أخو أبى جهل . وكان عُقبة ابن أبى مُعَيط خمّاراً . وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأَدَم . وكان عبد الله بن جُدعان نخّاساً يبيع الجوارى . وكان النضر بن الحارث عوّاداً يضرب بالعود . وكان الحكم بن العاص خصّاء يخصى الغنم . وكذلك حُريث بن عمرو والضحاك بن قيس الفهرى وابن سيرين . وكان العاص بن وائل السهمى بيطاراً يعالج الخيل . وكان ابنه عمرو بن العاص جزاراً . وكذلك أبو حنيفة صاحب الرأى والقياس[1] . وكان الزبير

(١) المعروف أن الإمام كان بزّازا .

ابن العوام خياطاً ، وكذلك عثمان بن طلحة الذى دفع له النبىّ صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة وقيسُ بن مخرمة . وكان مالك بن دينار ورّاقاً . وكان المهلب بن أبى صفرة بستانيا . وكان قتيبة بن مسلم الذى فتح بلاد العجم إلى ما وراء النهر جمّالا . وكان سفيان بن عُيَينة معلماً . وكذلك الضحاك بن مزاحم وعطاء بن أبى رباح والكميت الشاعر والحجاج بن يوسف الثقفىّ وعبد الحميد بن يحيي صاحب الرسائل وأبو عبيد القاسم بن سلّام والكسائى . هذه صناعة الأشراف .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : مَن بَنى الأهرام ، ولأىّ شىء بُنى ؟

الجواب[1] :

ذكر الشيخ جلال الدين فى تاريخ مصر : بُنيت الأهرام قبل الطوفان لأنها لو بنيت بعده لكان علمها عند الناس .

قيل : بناه شدّاد بن عاد . وقال جماعة من أهل التاريخ : الذى بنى الأهرام سوريد بن سلهوق ، وكان ملك مصر ، وكان

(١) منقول عن حسن المحاضرة مع اختصار .

قبل الطوفان بثلاثمائة سنة . وكان ذلك أنه رأى فى منامه كأنّ الأرض انقلبت بأهلها ، وكأن النـاس هاربون على وجوههم ، وكأن الـكواكب تساقطت ويصدم بعضها بعضاً بأصوات هائلة ، فأهمّه ذلك وكتمه . ثم رأى بعد ذلك كأن الـكواكب الثابتة نزلت إلى الأرض فى صور طيور بيض ، وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكأنّ الجبلين انطبقا عليهم وكأن الـكواكب النّيّرة مظلمة ، فانتبه مذعوراً ، فجمع رؤساء الـكهنة من جميع أعمـال مصر ، وكانوا مائة وثلاثين كاهناً ، وكبيرهم يقال له إقليمون ، فقص عليهم فأخذوا ارتفاع الـكواكب وتأنقوا فى استقصاء ذلك ، فأخبروا بأمر الطوفان . قال : أو يلحق بلادنا ؟ قالوا : نعم ، ويخربها . فأمر عند ذلك بعمل الأهرام وملأه طلسمات ، وعجائب وأموالا وغير ذلك . وزبر فيها جميع ما قالته الحكماء فى جميع العلوم الغامضة كعلم العقاقير ومنافعها ومضارها ، وعلم الطلسم والحساب والهندسة والطب . وكل ذلك مفسر لمن يعرف كتابتهم ولغاتهم . وجعل أبوابها تحت الأرض بأربعين ذراعاً . وجعل ارتفاع كل منها مائتى ذراع بالذراع الملكى وهى خمسمائة ذراع بذراعنا الآن . وكان ابتداء بنائها فى طالع سعيد . فلما فرغ من بناء الأهرامات كساها ديباجاً ملوناً من فوق إلى أسفل وعمل لها عيداً حضره أهل مملـكته كلهم . ثم عمل فى الهرم الغربى

ثلاثين مخزناً مملوءة بالأموال الجمة والآلات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة والسلاح من الحديد الذى لا يصدأ والزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر ، وأصناف العقاقير المفردة والمركبة ، والسموم القاتلة وغير ذلك . وعمل فى الهرم الشرقى أصناف القباب الفلكية والكواكب ، وما عمل أجداده من التماثيل والدخن التى يتقرب بها إليها ومصاحفها . وجعل فى الهرم الملوّن أجساد الكهنة فى توابيت من صوّان أسود مع كل كاهن مصحفه ، وفيها عجائب صنعته وعمله وسيرته ، وما عمل فى وقته وما كان وما يكون من أول الزمان إلى آخره . وجعل لكل هرم خازناً ؛ فخازن الهرم الغربى صنم من الحجر الصوان واقف ومعه شبه حربة وعلى رأسه حية مطوقة من قرُب منه وثبت إليه من ناحية قصده وطوقت على عنقه وقتلته . ثم تعود إلى مكانها . وجعل خازن الهرم الشرقى صنما من جزع أسود وله عينان مفتوحتان وهو جالس على كرسى ومعه شبه حربة إذا نظر إليه ناظر سمع من جهته صوتاً يفزع قلبه ولا يبرح حتى يموت ، وجعل خازن الهرم الملون صنما من حجر اليشم من نظر إليه اجتذبه الصنم والتصق به ولا يفارقه حتى يموت .

وذكر القبط فى كتبهم أن عليها — أى الأهرام — كتابة منقوشة تفسيرها بالعربية : أنا سوريد الملك بنيت الأهرام فى

وقت كذا وكذا ، وأتممت بناءها فى ست سنين ؛ فمن أتى بعدى وزعم أنه مثلى فليهدمها فى ستين سنة . وكسوناه حريراً فاكسوه حصراً .

قيل : لما دخل المأمون إلى مصر ، قصد فتح الأهرام . فقيل له : إنك لا تقدر على ذلك ؛ قال لا بد من فتح شىء منها . فاجتهد فى ذلك بعد أن جمع فعلاء المدينة ومهندسيهم وحداديهم وجمع أرباب الصنائع اللائقة بذلك فى مملكته ، وصرف مالا كبيراً بسببه ، وأقاموا على ذلك أشهراً ؛ ففتح لهم بذلك ثلمة صغيرة ، وهى المفتوحة الآن ، ووجدوا خلف النقب مطهرة من زبرجد أخضر ، وفيها ألف دينار زنة كل دينار أوقية من الذهب الخالص الذى لا يوجد على وجه الأرض منه شىء ؛ فلم يعرفوا معناه . فقال المأمون رحمه الله : ارفعوا إلىّ حساب ما أنفقت فى ذلك ؛ فضبطوا ذلك وحسبوه ، فإذا هو قدر الذى وجدوه . ووجدوا إذ ذاك فى داخله بئراً مربعة فى تربيعها أبواب يفتح كل باب منها إلى بيت فيه أموات بأكفانهم ووجدوا فى رأس الهرم بيتاً فيــه حوض من الصخر ، وفيه صنم كالآدمى من الدهنج ، وفى وسطه إنسان عليه درع من ذهب مرصع بالجواهر ، وعلى صدره سيف لا قيمة له ، وعنـد رأسه

حجر ياقوت كالبيضة ، ضوؤه كضوء النهار ، وعليه كتابة بقلم الطير لم يعلم أحد فى الدنيا ما هو . فلما فتحه المأمون رحمه الله أقام فيه الناس مدة سنين يدخلونه وينزلون فيه من الزلاقة فمنهم من يسلم ومنهم من يموت .

وقيل إنهم حسبوا خراج الدنيا مراراً فلم يف بهدمها . قال صاحب المرآة : هذا وهم ؛ فإن صلاح الدين بن أيوب أمر بأن تؤخذ منها حجارة لأجل القناطر والجسور فهدموا منه شيئا كثيرا . والظاهر أنها قبور الملوك الأوائل وعليها أسماؤهم وأسرار الفلك والسحر وغير ذلك .

واختلفوا فيمن بنى الأهرام . فقيل يوسف الصديق عليه السلام . وقيل نمرود . وقيل دلوكة الملكة .

حكى بعض شيوخ مصر أن بعض من يعرف لسان اليونان حل بعض الأقلام التى عليها . فإذا المكتوب : بُنى هذان الهرمان والنسر الواقع فى السرطان .

ومن ذلك الوقت إلى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ستة وثلاثون ألف سنة . وقيل اثنان وسبعون ألف سنة ، وقيل إن القلم الذى عليها تاريخه قبل بناء مصر بأربع آلاف سنة . قيل فى زمن أحمد بن طولون وجدوا فى باب الأهرام قطعة مرجان

مكتوب عليها أسطر باليونانى ؛ فأحضر من يعرف ذلك القلم فسره بهذا الشعر :

أنا بانى الأهرام فى مصر كلها[1]
ومالكها قِدماً بها والمقدّم

تركت بها آثار علمى وحكمتى
على الدهر لا تبلى ولا تتثلّم

وفيها كنوز جمة وعجائب
وللدهر لين مرة وتهجّم

وفيها علومى كلها غير أننى
أرى قبل هذا أن أموت فتُعلم

ستفتح أقفالى وتبدو عجائبى
وفى ليلة فى آخر الدهر تنجم

ثمان وتسع واثنتان وأربع
وسبعون من بعد المئين فتسلم

ومن بعد هذا مرّ تسعين برهة
وتلقى البرابى صخرها ويهدّم

تدبر فعالى فى صخور قطعتها
ستبقى وأفنى قبلها ثم تعدم

---

(١) فى الوزن خلل .

فجمع ابن طولون الحكماء وأمرهم بحساب هـذه المدة ؛ فلم يقدروا على تحقيق ذلك فأيسوا من فتحها .

وقيل إن بانيها جعل لها أبوابا على أدراج مبنية بالحجارة فى الأرض طول كل حجر منهـا عشرون ذراعاً ، وكل باب من حجر واحد يدور بلولب ، إذا أطبق لم يعلم أنه باب ، يُدخل من كل باب منها إلى سبعة بيوت كل بيت منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة ، وكلها مقفلة بأقفال . ولكل بيت صنم من ذهب مجوف إحدى يديه على فيه ، وفى جبهته كتابة بالسندية إذا قرئت انفتح فوه فيوجد مفتاح ذلك القفل فيفتح به .

والقبط تزعم أنها قبور ؛ فالشرقى قبر سوريد ، والغربى قبر أخيه هوجيب . والهرم الملوّن فيه أفريبون بن هوجيب .

والصابئة تزعم أن أحدهما قبر شيث ، والآخر قبر هرمس (أى إدريس) والملون قبر صاب بن هرمس . وإليـه تنسب الصابئة . وهم يحجّون إليها ويذبحون عندها الديكة والعجول السود ويبخّرون بدخن .

وأما أبو الهول فهو صنم بقرب الهرم الكبير يقال إنه طلسم يمنع الرمل عن المزارع ، وسجن يوسف عليه السلام شمالى الأهرام

على بعد منه فى ذيل خرجة من جبل فى طرف الحاجر . وبدهشور من أعمال الجيزة أهرام بناها شداد بن عديم بن نودشير بن قفطيم بن مصرايم بانى مصر .

وقيل الأهرام بناها شدّاد وقومه . وكانوا يقولون بالرجعة . وعدد الأهرامات ثمانية عشر هرماً : منها ثلاثة بالجيزة . وعند مدينة فرعون يوسف عليه السلام هرم دوره ثلاثة آلاف ذراع وعلوه سبعمائة ذراع . وعند مدينة فرعون موسى هرم آخر وآخرها هرم يعرف بهرم ميدوم كأنه جبل ، وهو خمس طبقات ؛ الطبقة العليا كأنها قلعة على الجبل .

أما الهرم الذى بذيل أبى هرميس ؛ فإنه قبر شخص كان فارس أهل مصر وكان من الشجعان ، وكان يعد بألف فارس ؛ فمات ، فجزع عليه الملك جزعاً ، فدفنوه بذيل أبى هرميس ، وبنوا عليه الهرم مدرجا .

وأما قبر ملكه ؛ فإنه الهرم الكبير بذيل هرميس ، وعلى بابه لوح مكتوب عليه باللازوَرد طوله ذراعين فى ذراع ، مملوء من الكتابة بخط البرابى .

وفى أيام أحمد بن طولون وجدوا فى الهرم الكبير فى أحد بيوته جاما من الزجاج غريب اللون والتكوين ؛ فلما خرجوا به

فقصدوا منهم واحداً ، فدخلوا فى طلبه فخرج إليهم عريان وهو يضحك ويقول : لا تتعبوا فى طلبى . ودخل إلى داخله ، فعرفوا أن الجن قد استهوته . فبلغ ابن طولون فمنع الناس من الدخول فملأ الجام ماء ووزنه ، فإذا وزنه فارغا كزنته ملآن .

وكانت مصر قديماً موضع الحكماء وأصحاب الطلاسم والحيل . قيل دخل شخص فى آخر أيام بنى أمية إلى بربا فرأى سراجا مركبا على رأس غزال . فكسره وأخذه ليجعله سراجا . فلما وضع فيه فتيلة وصب فيه دهنا أضاء أياما . ففى بعض الأيام وقع له غلط بين قارورة الزيت وقارورة الخمر . فصبّ من الخمر فيه فاشتعل كما يشتعل بالزيت . وقصد أن يقدّمه لبعض أكابر مصر وأخبره أنه يضىء بالخمر ، فجرّبه الأمير فإذا هو يضىء بكل الرطوبات . فطلب بيعه فقال ما أبيعه إلا بثمن كثير . قال قبلت بالميعاد . قال ما أبيع إلا بالنقد . فغضب الأمير وأمر بإخراجه ، فضربه الغلمان فمات . فارتفع الخبر إلى ملك ذلك الوقت فأنكر على الأمير وأخذ السراج منه ، فغضب الأمير ودخل إلى البربا وكسر كثيرا من هذه الصور ، وقلع بعضها وهشم الباقى .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : من كان سبب عبادة النار فى الدنيا ومن عبدها أولا ؟

الجواب :

ذكر المسعودى فى مروج الذهب أن أفريدون الملك دخل خوارزم فرأى جماعة يعبدون النار ويعتكفون حولها فسأل عن سبب تعظيمهم . فذكروا أدلّة فأمر أهل مملكته بتعظيم النار ليتقربوا بها إلى الله .

قال فى الملل والنحل : سبب تعظيم النار أنه لما وُضع إبراهيم عليه السلام فى النار لم تحرقه فمن ثَمّ عظّموها ، وكان ذلك أول عبادتهم لها .

قال بليناس فى سر الخليقة : سأل كسرى جماعة خاقان ما تعبدون ؟ فقالوا الثلج لأنه يهلك الحرث والنسل . فطلب كسرى عند ذلك النار وذوّب بها الثلج فصار الجماعة قسمين : قسم يعبدون النار ، وقسم يعبدون الثلج . وقيل كان سبب عبادة النار أنه تكلم مع جمشيد الملك شخص النار وهو إبليس وقال : اعبدنى وعظّمنى حتى أوصلك إلى الله تعالى .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : ما معنى لفظ المصدر فى اصطلاح النحويين ؟

الجواب :

قال ابن الحاجب : اسم الحدث الجارى على الفعل . وهو من الثلاثى سماع ، وفى غيره قياس تقول : أخرج إخراجا واستخرج استخراجا ، ويعمل عمل فعله ماضيا إذا لم يكن مفعولا مطلقا ، فلا يتقدم معموله ولا يضمر فيه ولا يلزم ذكر الفاعل .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : كيف يجوز لأهل مصر فى أيام النيل المبارك السكنى فى الخلجان وغيرها مثل بركة الرطلى وما شاكلها ؟

فأخبر مولانا السلطان أن كثيرا من أكابر مصر من العلماء وغيرهم سكنوا فى تلك المواضع ؟

فقال مولانا السلطان فى جواب ذلك : هـذا من عدم مروءتهم .

الجواب :

سئل الشيخ عمر البلقينى رحمه الله وغفر له عن ذلك وهو أنه قد تظاهر أهل الفساد فى البركة المعروفة ببركة الرطلي بأنواع

من المنكرات ، وتجاهروا بذلك بحيث أدى ذلك إلى افتتان كثير من النساء والرجال والشبان والصبيان ، وإضاعة المال ووقوع القيل والقال ، واختلاط النساء بالرجال ، ومنكرات كثيرة من شرب خمر وأكل الشهدانج المسكر ، وتظاهر بذلك مقالات منكرة .

ومما يحصل من الفساد المنكر أن يستأذنوا لِفَرح البركة المذكورة ويزوجوها بالخليج الناصرى ، ويخطبوا خطبة ويعقدوا عقد التزويج ، ويرموا الحلوى والحناء وغير ذلك فى البركة المذكورة ، ويجتمع عند ذلك من الأوباش وغيرهم خلق كثيرة بحيث ينشأ عن ذلك فساد كثير ، والنساء يخرجن مكشفات الوجوه ، والنساء اللواتى فى الطاقات أو فى الزربيات كلهن بارزات بما عليهن من الحلى وفيهن فاسدات وغير فاسدات ، وقد يحصل لغير الفاسدات فساد أيضا ، وذلك مشهور عند الجمهور .

ومما يُفعل أنهم يعلقون قناديل كثيرة ويوقدونها فى الليل ويخرجون خِرَقا فيها دم يشبّهون ذلك بدم البكر ، ويلبسون الخاطب خِلعة ، ويحصل فساد عريض . فماذا يجب على ولىّ الأمر إذا اتصلت به هذه المفاسد القبيحة ؟ وماذا يجب على من يُعين

على هذا الفساد و بقاء هذه المنكرات وتعارض أهل الخيرات ؟

و إذا لم تندفع هذه المفاسد إلا بردم البركة المذكورة ومنع الساكنين الوصول إليها ، فهل يفعل ولىّ الأمر ذلك أم لا ؟

وإذا كان هناك بيوت معدّة للفساد فهل يزال ما فيها من الفساد و إن أدى ذلك إلى هدمها إذا تعين ذلك طريقا لدفع المفاسد المنكرة الظاهرة ؟

وهل يثاب ولىّ الأمر على إزالة ما ذكر من المنكرات ومساعدة أهل الخيرات ؟

وكذلك هل يثاب الساعى فى إزالة هذه المنكرات ؟ وهل يأثم من يعارضهم ؟

الجواب :

قال رحمه الله : قد اشتملت هـذه القضية على أمور كثيرة من الفساد وأنواع الكبائر لا يرضى بهـا أحد من أهل الدين ولا يجوز تقريرها بين المسلمين . فيجب على ولىّ الأمر إزالة جميع المنكرات بحيث تزول هـذه المفاسد القبيحة ، فإن بقاء ذلك فضيحة وأى فضيحة . و إن هذه المصائب تؤدى فاعلها والراضين بها إلى حالة عجيبة من أحوال أهل الفسوق بحيث

نخاف عليهم من سوء الخاتمة ، والخروج عن دين محمد صلى الله عليه وسلم . فإن فيما ذكر من التزويج وغيره من الاستهزاء بأمر الشرع الشريف ما يقتضى ذلك ، فنعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

ويجب على من يعين على هذا الفساد وبقاء هذه المنكرات التعزير الشديد الزاجر له ولأمثاله عن الإقدام على ذلك . وهو شريك فى هذه المعاصى بتقريره إياها ورضاه بها .

والواجب علينا إنكار ما ذكر والقيام لله تعالى فى إزالة هذه المفاسد ؛ فلقد لعن الله قوما بعصيانهم واعتدائهم وعدم نهيهم عن المنكر يظهر بينهم ويفعلونه . فقال تعالى : (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .

ويجب على من فعل هذه المناكر وساعد على تقريرها ورضى بها المبادرة إلى التوبة إلى الله سبحانه وتعالى من هذه الذنوب .

وأما ما يتعلق بالبِرْكة المذكورة فينظر ولىّ الأمر فى أمرها . فإن كانت هذه المفاسد تزول بطريق من الطرق ؛ ومن

ذلك عمل قنطرة بحيث تمنع الشخاتير[1] من الدخول إليها ، فإن زال الفساد بذلك اكتفى به ؛ وإن لم يزل إلا بردم البركة وتعين ذلك طريقا لدفع هذه المفاسد فعل ذلك ولى الأمر .

وأما المواضع المعدّة للفساد فيزال ما فيها من المنكرات بالطريق الشرعى . فإذا ظهر ما فيها من الفساد ولم يمكن زوال تلك المفاسد المنكرة إلا بهدم تلك الأبنية هدمها ولى الأمر .

والعجب من ولاة الأمور كيف تبلغهم هذه القضايا ويسكتون ، وعلى أنفسهم يَلبسون ، ولا التفات إلى ما به يعتذرون (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) .

سؤال :

لما جاء تمرلنك إلى حلب جمع العلماء وسألهم : قُتل منا ومنكم فى الحرب قتلى فى أخذ البلد . فمن الشهداء فى ذلك قتلانا أم قتلاكم ؟

الجواب :

قال جد قاضى القضاة الحنفى ابن الشحنة : أنا مجيب بما

---

(١) الشخاتير : جمع شختور . وهو — كما رأيته فى العراق — زورق طويل ضيق .

أجاب به نبينا صلى الله عليه وسلم .

(قال لى صاحبي شرف الدين الأنصاري : ما دخل فى عقلى هذا الجواب مع أنه رحمه الله محدّث زمانه) . وألقى تمرلنك إلىّ سمعه وبصره ، وقال كيف سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف أجاب ؟ قلت : جاء أعرابى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليُرى مكانُه . فأيّنا فى سبيل الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الشهيد . فقال تمرلنك : خُوب[1] .

(وقال عبد الجبار : يعنى ما أحسن ما قلت) . وانفتح باب المؤانسة وقال إنى رجل نصف آدمى[2] ، وقد أخذت بلاد كذا وكذا ، وعدّدَ سائر ممالك العراق والعجم والهند وسائر بلاد التتار . فقلت : اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الأمة ولا تقتل أحدا . فقال والله إنى لم أقتل أحداً قصدا ، وإنما أنتم قتلتم أنفسكم فى الأبواب . والله لا أقتل أحدا وأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم .

---

(١) كلمة فارسية معناها : حسن .

(٢) كان تيمور أعرج فلعله أراد هذا حين سمى نفسه نصف آدمى .

سؤال :

قال تمرلنك : ما تقولون فى على بن أبى طالب ومعاوية ويزيد ؟

الجواب :

قال القاضى علم الدين القفسى : إن الكل مجتهدون . فغضب لذلك غضبا شديدا وقال : قل علىٌّ رضى الله عنه على الحق ، ومعاوية ظالم ، ويزيد فاسق . وأنتم حلبيون تبع لأهل دمشق . وهم يزيديّون قتلوا الحسين . فأخذت فى ملاطفته والاعتذار عن المالكى .

فأعاد السؤال عن على رضى الله عنه ومعاوية . فقلت له : لا شك أن الحق مع على فى نوبته ، وليس معاوية من الخلفاء لأنه ورد : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » . وقد تمت الخلافة بعلى رضى الله عنه .

فقال تمرلنك : قل علىّ عَلَى الحق ومعاوية ظالم .

قلت : قال صاحب الهداية : يجوز تقلد القضاء من ولاة الجور ، فإن كثيرا من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع علىّ فى نوبته .

فلما سمع هذا الجواب حصل بشاش كبير .

جوهرة[١] :

لما خرج تمرلنك من حلب توجه إلى نحو الشام فطلب أكابر العلماء وقال : أريد الفتوى منكم فى قتل نائب دمشق الذى قتل رسولى . وأحضروا عدة رءوس القتلى حتى يبعثوا بها إلى نائب دمشق . فقلت هذه رءوس المسلمين تقطع وتحضر إليك بغير استفتاء مع أنك حلفت أنك لا تقتل أحدا صبرا . فقال هذه رءوس القتلى . ولا قطعنا رءوس المسلمين .

سؤال :

سأل قُرقُدبك فى المولد الشريف بحضرة المقام الشريف : هل الإيمان يزيد وينقص أم لا ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : عند الشافعى يزيد وينقص وأنكره أبو حنيفة وأصحابه وكثير من العلماء كإمام الحرمين ؛ لأنه اسم للتصديق البالغ حد الجزم والإذعان ، ولا يتصور فيه

(١) الجوهرة فى اصطلاح المؤلف ما كان من كلام السلطان الغورى ، فان كانت هنا من كلام السلطان فقد سقط اسم الراوى .

الزيادة والنقصان . وإنما يتفاوت إذا دخل فيه الطاعات ، ولهذا قال الإمام الرازى : إن الخلاف فرع لتفسير الإيمان .

قال صاحب المواقف : والحق أن التصديق يقبل الزيادة والنقصان بحسب القوة والضعف . قولكم : الواجب اليقين ، والتفاوت لا يكون إلا لاحتمال النقيض . قلنا : لا نسلم أن التفاوت لذلك الاحتمال فقط . والظاهر أن الظن الغالب الذى لا يخطر معه احتمال النقيض بالبال حكمه حكم اليقين فى كونه إيمانا حقيقيا .

سؤال :

رجلان معهما ظرف فيه ثمانية أرطال زيت ومعهما وعاءان أحدهما يسع ثلاثة أرطال والآخر يسع خمسة أرطال فيراد أن يقسم الزيت بينهما فكيف يقسم ذلك ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : أن يملأ الذى يسع الثلاث ويسكب فى الوعاء الذى يسع الخمس ؛ ثم يملأ ويسكب فوقه فيفضل رطل فى الوعاء الصغير فيسكب فى الوعاء الكبير ثم يملأ الثلاثة ويسكب عليه .

سؤال :

رجل معه شاة وذئب وحشيش مر على نهر فيه مركب صغير لا يسع فيه إلا اثنين ويخاف أن يأكل الذئب الشاة والشاة الحشيش فما حيلته ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : يركب أولا ومعه شاة ويقطع النهر فيضعه ثم يرجع ويأخذ الحشيش ويقطع النهر ثم يرد الشاة ويأخذ الذئب[1] .

سؤال :

هل يجوز أن يقال للملك خليفة أم لا ؟

وسبب هـذا السؤال أنه بعث الصوفى[2] تاريخ التتر إلى حضرة مولانا السلطان . وكان فى ترجمة شاهين بك خان « خليفة الرحمن » ؟

الجواب :

قال صاحب الأنوار : يجوز أن يقال للملك أمير المؤمنين

---

(١) لا يزال هذان اللغزان شائعين فى مصر .

(٢) أظن المراد به الشاه إسماعيل الصفوى .

وخليفة الرسول ؛ ولا يجوز أن يقال خليفة الله أو خايفة الرحمن .

سؤال :

لأى حكمة طلب إبراهيم عليه السلام كيفية إحياء الموتى ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : لأنه لما قال للنمرود : (ربى الذى يحيي ويميت . قال أنا أحيي وأميت) أحضر النمرود شخصين أحدهما يستحق القتل فأطلقه ، والآخر لا ذنب له أمر بقتله . فاشتبه على إبراهيم عليه السلام معنى لغة الإحياء . فطلب ذلك من الله تعالى حتى يكشف له لغة الإحياء . وإلا كيف يجوز لنبي أن يشك فى البعث ؟ وأيضاً (قال أولم تؤمن قال بلى) يدل على أنه اشتبه عليه لغة الإحياء لا أنه أنكر البعث .

فائدة :

قال الشريف نور الله لطف الله تعالى به : لما أحضر الأربعة من الطير دقهم السيد إبراهيم فى الهاون .

نكتة :

قال حضرة مولانا السلطان : ما سمعنا بهذه الدِّقة بل قطّ منهم . فلما أحضر الكشاف كان كلامه موافقاً لكلام السلطان أيده الله تعالى .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : أفضل الصوم فى شعبان أن يصوم فى أول الشهر أو فى وسطه أو فى آخره ؟

جواب :

قال الشيخ جلال الدين السيوطى والشيخ عثمان الديمى : من يصوم يوماً من شعبان فله أجر تسعمائة سنة .

قال حضرة مولانا السلطان : هذا ضعيف بل المناسب أن يقال من صام يوماً من شعبان فكأنما صام جميعه . فجاء شيخ الإسلام بنقل موافق لهذا .

قلت : هذا موافق للشرع الشريف لأنه جاء فى كتاب الله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) . وورد فى السنّة إلى تسعمائة .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : مامعنى الأمانة فى قوله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) الآية ؟

الجواب :

قال فى الكشاف : قيل فسرها بالصلاة .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : هذا الجواب ليس بسديد لأنه على هذا لا بد أن يقول فى آخر الآية : وحملها الجن والإنس لأن الجن المسلم مأمور أيضاً بالصلوات المفروضة .

قال بعضهم : المراد بها العبادة . بدليل قوله : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

قال حضرة مولانا السلطان : فعلى هذا المناسب أن يقال : فحملها الإنس والجن والملائكة . لأنهم مأمورون بالعبادة بدليل قوله : (لا يعصون الله ما أمرهم) وقوله : (يسبحون الليل والنهار لا يفترون)

الجواب :

قال الشيخ برهان الدين بن أبى شريف لطف الله به وفسح فى أجله : إن المراد بالأمانة إنزال الكتب بدليل قوله تعالى : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) الآية . ولا شك أن الكتب ما نزلت إلا على الإنسان .

جواب آخر :

قال الشيخ جلال الدين السيوطى : المراد بالأمانة جواب (أَلَسْتُ) كما قال تعالى : (أَلَسْتُ بربكم) .

جواب آخر :

قال جماعة من المحققين : إن الحمل المذكور فى الآية المذكورة قد يفسر بمنع الأمانة والامتناع عن أدائها من قولك : فلان حامل للأمانة متحمل لها . بمعنى أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج من عهدتها . يجعل الأمانة كأنها راكبة على المؤتمن . كما يقال : ركبه الديون . والمعنى : إنا عرضنا الأمانة ؛ أى الطاعة اللازمة الأداء على هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال فانقادت لأمر الله تعالى انقياداً يصح

من الجماد وأطاعت طاعة تليق لها حيث لم يمتنع عمّا أراد به إيجاداً وتكويناً وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال منوعة ، والإنسان مع صورته وكمال عقله وصلاحه للتكليف لم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق من الانقياد لأوامر الله ونواهيه مثل حال تلك الجمادات ، بل أبى أى أن لا يكون متحملا لتلك الأمانة غير مؤد إياها . ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة ، وبالجهل لأخطائه طريق السعادة وهو أداء الأمانة .

سؤال :

فى قوله تعالى : (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) لا شك أن محمداً رسول الله وخاتم النبيين فلأى حكمة كذبهم الله تعالى فى هذا الكلام ؟ .

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : أما قوله : (لكاذبون) أى فى الشهادة لا فى صدق هذا الخبر .

قال فى المطوّل : صدق الخبر مطابقة حكمه للواقع . وكذبه عدم مطابقته للواقع . هذا عند أهل الحق .

وقال النظام : صدق الخبر مطابقته لاعتقاد المخبر ولو خطأ .
وكذبه عدم مطابقته لاعتقاد المخبر ولو صدقا . بدليل قوله تعالى :
(إن المنافقين لكاذبون) . لأنهم صادقون فى نفس الأمر
كاذبون بزعمهم .

قال الجاحظ . صدق الخبر مطابقته للواقع مع الاعتقاد بأنه
مطابق للواقع . وكذب الخبر عدم مطابقته للواقع مع اعتقاد أنه
غير مطابق للواقع بدليل قوله تعالى : (أفترى على الله كذباً أم
به جنة) . لأن الكفار حصروا أخبار النبى فى الحشر والنشر
فى الافتراء والإخبار حال الجِنّة على سبيل منع الخلو . ولا شك
أن المراد بالإخبار حال الجنة غيرُ الكذب ؛ لأن الثانى قسيم
الكذب . إذ المعنى أكذب أم أخبر حالَ الجِنّة . وقسيم الشىء
يجب أن يكون غيره وغير الصدق . لأنهم اعتقدوا عدمه . فعلى
هذا ثبت واسطة بين الصدق والكذب .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : ما معنى العلم ؟ .

جواب :

قال فى شرح الإشارات : العلم حصول صورة الشىء فى

العقل . وقيل الصورة الحاصلة عند العقل .

وقال فى شرح المقاصد : الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع ؛ قال فى شرح العضد : صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض

وقال فى شرح المواقف : صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به . وقيل إدراك المركب والمفرد .

قال فى شرح المطالع : عبارة عن المسائل . وقيل عبارة عن المحمولات المنتسبة ؛ إن حصل صورة فى الذهن فلا يخلو إن كانت خالية عن الحكم أم لا . الأول هو التصور ؛ والثانى هو التصديق . إن كان طرفاه متساويين فهو شك . فهو من باب التصور . وإن غلب أحد طرفيه على الآخر فالراجح يسمى ظنا والمرجوح يسمى وهما . وإن لم يبق احتمال للغير فهو اليقين ؛ وهو ينقسم إلى ستة أقسام : الأوليات ، والمشاهدات ، والتجريبيّات ، والحدسيات ، والمتواترات ، والنظريات .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : هل صلاة الجمعة فى جامع القلعة المحروسة تجوز عند السادة الحنفية أم لا ؟ .

الجواب :

قال فى الهداية : لا تصح الجمعة إلا فى مصر جامع أو فى مُصلى مصر . ولا يجوز فى القرى لقوله : لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا فى مصر جامع . والمصر الجامع كل موضع له أمير وقاض ينفذ الأحكام ويقيم الحدود . هذا عند أبى يوسف . وعند أبى حنيفة أنه (البلد الذى) إذا اجتمع (أهله)[1] فى أكبر مساجدهم لم يسعهم . والأول اختيار الكرخى وهو ظاهر . والثانى اختيار البلخى .

قلت : فعلى كلا التقديرين لا تجوز صلاة الجمعة إلا فى القلعة . لأن أقضى القضاة وقضاة الشافعية يصلون فيها . وأيضاً يصلى فيها أعظم سلاطين الدنيا ، ولا شك أن أهل القلعة لم يسعهم الجامع الواحد فكلى الروايتين لا يجوز صلاة الجمعة إلا فى القلعة[2] .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : ما الذى ورد فى فضائل النرجس وخواصه ؟ .

---

(١) ما بين الأقواس زيادة لتصحيح عبارة المؤلف .

(٢) مقتضى التعليل أن تجوز صلاة الجمعة فى القلعة لا أنها لا تجوز إلا فيها .

الجواب :

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : شموا النرجس فما منكم من أحد إلا وله بين الصدر والفؤاد شعبة من جـذام أو برص أو جنون لا يذهبها إلاّ شم النرجس .

وقال على رضى الله عنه : شموا النرجس ولو فى السنة مرة لأن فى القلب داء لا يبرئه إلاّ شم النرجس .

وقال أبقراط الحـكيم : كل شىء يغذو الجسم إلا النرجس فإنه يغذو العقل .

وقال جالينوس الحـكيم : من كان له رغيفان فليجعل أحدهما فى ثمن النرجس فإنه راعى الدماغ والدماغ راعى القلب . والخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح .

وقال الحسن بن سهل : من أدمن شم النرجس فى الشتاء أمن من البرسام فى الصيف .

والنرجس صنفان : برّىّ و بستانى . والبستانى هو العبهر . قال صاحب كتاب الفلاحة : إذا أردت غرس النرجس فاقطع بصلة قطعاً صليبيا وأدخل فيه شوكتين دخولا صليبيا ثم ازرعه فإنه ينبت نرجساً مضاعفاً . ومن أخذ مسلّة من ذهب ثم غرس بصلة كبيرة فى رأس المسلة باليد اليسرى ثم يمسكها و يدور

فى الموضع خمس دورات وهو يضحك ثم يغرسها فى متوسط الدورة الخامسة فإنها تنبت نرجساً أحمر مثل الشقيق ، له رائحة زكية . ومن شق البصلة وجعل فيها حبة ثوم غير مقشورة حملت نرجساً مضاعفاً . وإن كانت الثومة خضراء حملت نرجساً . ومن حرق السذاب وقشور الجوز على منابت بصلة أخرج النرجس فى غير أوانه .

وقال كسرى : النرجس ياقوت أصفر بين درّ أبيض على زبرجد أخضر .

وقال : إنى لأستحى أن أجامع فى مجلس فيه النرجس لأنه أشبه شىء بالعيون الناظرة .

والنرجس حارّ يابس . وقيل معتدل فى الحر واليبس .

الخواص : يفتح سدد الدماغ وينفع من الصداع عن سوداء أو رطوبة . ويصدع الرؤوس الحارة ويجلو الكلف وينفع من داء الثعلب ويفجر الدماميل وأكله يهيج القىء . إذا شربت المرأة أربعة دراهم مع العسل أخدر الجنين الميت .

سؤال :

إذا أكره شخص على سب النبى صلى الله عليه وسلم هل يسب وقلبه مطمئن بالإيمان أم لا ؟ .

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : لو أكرهت على سب النبي صلى الله عليه وسلم لصبرت على القتل ولا أسب[1] .

جواب :

قال قاضى خان : إن كلمة الكفر حال الإكراه رخصة لا مباح ؛ وذلك لأنه لو لم يكفر لكان مثاباً .

ويوافق هذا كلام النواوى رحمه الله فى الروضة وزاد : والصبر أولى .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : كم يجىء من بدء التناسل إلى يومنا هذا . وهى عام تسع عشر وتسعمائة ؟

الجواب :

قال فى التوراة : إن من بدء الدنيا خمسة آلاف وسبعة وسبعين سنة .

وأما النصارى فيحكون عن التوراة التى عندهم : أن من ابتداء التناسل إلى هذه السنة سبعة آلاف وعشر سنين .

وأما عند المجوس خمسة آلاف وسبعة وستون سنة .

---

(١) تقدمت هذه المسألة فى كتاب نفائس المجالس .

قال حضرة مولانا السلطان : لمّا لم يكن فى الكتاب والسنة نقل شاف و برهان واف لم نحكم بشىء من هذه الأعداد . بل يمكن أن يكون من ابتداء التناسل إلى يومنا هذا مائة ألف سنة أو مائتا ألف أو أكثر من ذلك كما أن المنجمين يزعمون أن من أول الدنيا منذ سارت الكواكب من أول الحمَل إلى يومنا هذا أربعة آلاف ألف ألف وثلاثمائة وعشرين ألف وستمائة وثمانى سنين .

قال شيخ الإسلام : ما رأيت نقلا صريحاً من الكتاب والسنة يدل على ذلك أو أقل أو أكثر . والقدرة صالحة لذلك .

سؤال :

فى قوله تعالى : (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين) . ما السر فى هذا التعظيم أولا وما الحكمة فى تحقيره آخراً ووضعه أسفل سافلين ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : إظهاراً لقدرته ، و إفشاء لعظمته ، و إجراء حكمه فى ملكه كيف يشاء ، لا راد لقضائه ولا مانع لعطائه .

سؤال :

فى قوله تعالى : (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ؟

قال الشريف نور الله : المراد بذلك إخراج الدجاجة من البيضة وإخراج البيضة من الدجاجة .

فقال مولانا المقام الشريف : يا شريف نور ! بالحق نورت لنا البيت . فالله تعالى يبيّض وجهك فى الدنيا والآخرة .

فقال الشريف نور الله : يامولانا السلطان رأيت ذلك فى التفسير .

فجاءوا بتفاسير كثيرة ولم يجدوا فيها شيئاً مما ذكره الشريف . فضحك السلطان لذلك — شرح الله خاطره — فقمت وقبلت الأرض وقلت لمولانا المقام الشريف : نريد أن نستفيد ذلك من فوائد مولانا خلّد الله ملكه .

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : المراد بهذه الآية الشريفة يعنى يخرج الولد الصالح من الأب الجاهل ، ويخرج الولد الجاهل من الأب الصالح .

سؤال :

قال سلطان شروان : معنى العيد فى اللغة السرور والفرح ولا شك أن المؤمن لا يفرح بزوال هذا الشهر الشريف الذى كل يوم تغفر فيه الذنوب وتغلق فيه أبواب جهنم .

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : سرور المؤمن لأجل أنهم أدوا هذه الفريضة أداء كاملا لا لأجل زوال هـذا الشهر الشريف[١] .

سؤال :

إذا رأى هلال العيد القاضى وحده أو السلطان وحده مع أن الواجب فى شهادة العيد شاهدين عدلين ؟

الجواب :

قال حضرة مولانا السلطان : يحكم القاضى أو السلطان بعلمهما .

---

(١) تقدم هذا السؤال فى كتاب نفائس المجالس .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : أى موضع يجوز للقاضى أن يحكم بعلمه ؟

الجواب :

لا يجوز أن يحكم القاضى بعلمه فى مسألة إلا فى الجرح والتعديل . وأما عند أبى حنيفة وأحمد والشافعى رحمهم الله لا يجوز للقاضى أن يحكم بعلمه فى حق الناس ، دون حق الله .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : ما سبب خضرة لون السماء ؟

الجواب :

إنما جعلها خضراء ليكون أوفق للبصر . لأن الأطباء يأمرون بإدمان النظر إلى الخضرة ليكون فيه قوة للبصر .

وقيل خضرتها من جبل قاف ؛ لأنه من زمرد أخضر .

وقيل من خضرة أشجار الجبل المذكور .

وقيل خضرتها من الصخرة التى تحت الأرض التى تحت نون وهى المشار إليها بقوله : « يا بُنَىَّ إنها إن تك مثقالُ حبة من

خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله » .

سؤال :

فى قوله عليه السلام : لا يجوز قتل مسلم إلا بإحدى ثلاث الزنى بعد الإحصان ، والارتداد بعد الإسلام — الحديث ،

قلت : يُشكل بقطاع الطريق ومفسد السكة السلطانية ؛ ليسا من الأخصام الثلاثة ويجوز قتلهما ؟

الجواب :

قال شيخ الإسلام : أما قطع يد مفسد السكة عند الحنابلة فيرجع إلى السرقة وهو أخذ المال خفية .

أو نقول : قطع أيديهما من قبيل السعى والفساد . ودليله قوله تعالى : « ويسعون فى الأرض فساداً » .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : من هم الذين يسعون فى الأرض فساداً ؟

الجواب :

قال شيخ الإسلام : الجماعة الذين نافقوا بين عسكر و بين ملك .

سؤال :

قال حضرة مولانا السلطان : هل كَيومَرث كان قبل نوح عليه السلام أو بعده ؟

الجواب :

اختلفت العلماء فى هذه المسألة : قيل كان قبل الطوفان اختبأ فى غار . وقيل من ذرية نوح . كذا ذكره فى كتاب شاه نامه . و باتفاق المؤرخين لم يكن ملك قبله .

نادرة :

حكى حضرة مولانا السلطان أنه يوماً من الأيام طلع الخطيب على المنبر يوم الجمعة فتكلم شخص مع آخر فقال الخطيب لهما : اسكتا يا هذان أما سمعتما : « إذا صعد الخطيب على المنبر فلا يتحدث أحدكم ومن تحدث فقد لغا » . فلما قضيت الصلاة قال حضرة مولانا السلطان : أنتم الثلاثة لغوتم : ونظير ذلك ورد فى

يوم فتح مكة أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بها خمسة عشر يوما يقصر الصلاة ويقول بعد السلام : يا أهل مكة أتموا صلاتكم . فقال بعض أهل مكة من الصف الأول ، وهو محرم فى الصلاة : لسنا نجهل ما قلت يا رسول الله . قيل له : يا ابن أخى لو كنت فقيهاً لما تكلمت فى الصلاة .

حكاية مباحثاتى مع الشيخ صارُوكرز :

وكان أعلم علماء الروم وكان معه ابن كرز .

درّة :

قال حضرة مولانا السلطان : اترك كرزيّته لابنه . لما دخل إلى جامع الأزهر . قال سلونى ما شئتم سواء أن كان السائل عربيا أو عجميا أو تركيا أو ديلميا وأنا أغلبهم بمعونة الله تعالى . وكان مدة ثلاثة أشهر يطالع فى أول كتاب البخارى ويجازف . ففى أواخر شهر رمضان سنة أربع عشر وتسعمائة عمل مجلس درس وحضر فى الجامع ، وكان معه من طلبة العلم الشريف من المستعدين نحو عشرين نفس من أبناء جنسه وأمر بإحضار جميع أولاد الروم(١) إن كان جنديا أو فقيهاً أو عاميا إلى غير ذلك

(١) يعنى الترك ، وكانت بلادهم تسمى بلاد الروم .

فحضروا جميعاً . فأعاد فى المجلس القول وقال : أيها العلماء من جميع الدنيا سلونى ما شئتم . فبالأمر المقدّر وحكم سلطان القضاء والقدر كنت جائزاً من صوب الجامع الأزهر فدخلت مع الناس متفرجاً فسمعته يقول : يا أولاد مصر لا تستحيوا منى وسلونى ما شئتم . إن الله لا يستحى من الحق . فشرع فى تفسير الحديث الأول وهو قوله : إنما الأعمال بالنيات . وقال : إنما حرف من أدوات الحصر . وما ما الكافة ، و إنّ حرف المشبّهة . يعنى لا يجوز عمل من الأعمال إلا بالنيـة قطعاً . فلما سمعت ذلك قلت : بدستور . فأذن لى فى الكلام . فقلت : ما تقول السادة الحنفية فى جواب هـذه المسألة ؟ لأنهم يقولون إن النية ليست بفرض فى الغسل والوضوء . قال فى الجواب : يعنى لا ثواب للعمل إلا بالنية . قلت هذا عامّ . والعام لا يدل على الخاص بإحدى الدلالات الثلاث وهى المطابقة والتضمن والالتزام . فأُفحم عن الجواب . ثم قلت : وما سبب عدول أبى حنيفة رحمه الله عن ظاهر هـذا الحديث ولأى حكمة لم يأمر بفرضية النية فى الغسل والوضوء ؟ .

الجواب :

قال : لأن الوضوء والغسل ليساهما العمل بل وسيلة للعمل وهى الصلاة .

قلت : فما تقولون فى التيمم لأنه أيضاً وسيلة للعمل وليست طاعة مقصودة بالذات مع أن النية فى التيمم فرض عندكم ؟ .

فأجاب بأن قال : إن التيمم طهارة ضعيفة بخلاف الوضوء .

قلت : فعلى هذا أنتم تفرضون الأشياء لا الشرع ؛ لأن الفرض عندكم ما ثبت بدليل قطعى . فلا بد لكم لنية التيمم دليل قطعى من الكتاب والسنة ؟ .

فأجاب وقال : لفظ تيمموا يدل على النية .

قلت تيمموا ليس بنص قطعى فى نية التيمم مع أنه ورد فى الوضوء : (إذا قمتم إلى الصلاة) الآية . وفسر جميع المفسرين ، يعنى قصدتم[1] فعلى هذا تكون النية فرضاً فى الوضوء عندكم . فأفحم فى الجواب .

السؤال الثانى :

قلت : ذكر فى شرح المفتاح : أن البلغاء لا يؤكدون الكلام إلا بحسب إنكار المخاطب . يعنى أولا يطلقون الكلام بغير تأكيد . فإذا أنكر المخاطب فيؤكدون بإنّ . وإن أنكر فيزيدون فى التأكيد باللام ثم بالقسم . مثلا يقولون زيد قائم ، فإن أنكر المخاطب فيؤكدون بإنّ ويقولون إن زيداً قائم فإن أنكر

---

(١) يريد أن المفسرين فسروا قمتم إلى الصلاة بمعنى قصدتم القيام إليها .

فيقولون إن زيداً لقائم . و إن أنكر فيقول والله إن زيداً لقائم . فعلى هذا ما حكمة قوله تعالى : (إنا أوحينا إليك) مع أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس منكراً للوحي فما وجه تأكيد الآية بقوله : إنّا .

جواب :

فقال تعال عندى وأحضر إلى بيتى حتى أكتب لك جواب هذا الكلام .

فقلت : أنا أباحث مع الحيوان الناطق لا مع الحيوان الكاتب .

فحصل بين هذه الخلائق لغط كثير وغوش عظيم وتعصبت أولاد الروم بأجمعهم . و بعثوا شخصاً بطلب الخواجا[1] شمس الدين محمد بن عباد الله . وقالوا له لئن لم تحضر و إلا هلك عالم بلادك . فحضر فى الوقت والساعة فرأى هناك أمراً عظيما . فقال يا جماعة ! الفاتحة . وأنا أقول (أبقيتُ عندك سبع مسائل ولم تجبنى عن شيء منهم ، ويا ليتنى كنت أعلم فى أى وقت تدرس وفى المواضع تقرى ، وفى أى علم تقرر حتى كنت أحضر إليك بالمطالعة ، ولكن جئناك على الفتح من غير قصد ولا مطالعة فلا تؤاخذونى . فقام قائماً على قدميه ولمّنى إلى حضنه ، وقال :

(١) يعنى الخواجه بمعنى السيد .

لأى شىء ما تحضر إلى عندى وأنت أعز من ولدى ؟ وكان إذ ذاك أهل الروم أرادوا هلاكى قهراً منهم وحسداً وغيرة وحمية الجاهلية . فحمانى الله تعالى منهم ببركة مولانا السلطان خلد الله ملكه)[١] .

فلما وصل ذلك إلى المسامع الشريفة فقال نصره الله : عِلْم لا يدخل مع الشخص الحمّام ما هو بعلم[٢] .

لما دخل مصر الأمير علاء الدين والأمير سليمان وهما ولدا ملك الروم ابن عثمان حضر واحد منهما إلى المدرسة السلطانية لأجل صلاة الجمعة فسأل من الخطيب سؤالين .

السؤال الأول :

لأى حكمة أنتم تحمدون الله تعالى وتصلون على النبى صلى الله عليه وسلم وتدعون لمولانا السلطان فى درجة واحدة من سلالم المنبر ؟ لأن فى الروم يحمد الخطيب الله تعالى فى أعلى السلالم فينزل درجة ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ينزل درجة ويذكر الصحابة ثم ينزل درجة ثم يدعو للملك .

---

(١) أبقيت الكلام بين قوسين بغير تصحيح ليكون نموذجاً من عبارات المؤلف .

(٢) يعنى العلم الذى لا يحمل فى الكتب . ولكن يبقى مع الإنسان حين يتجرد من ثيابه .

السؤال الثانى :

لأى حكمة لم يدخل الخطيب عندكم بيت الخطابة ؟ .

فلما وصل هذا الخبر إلى المقام الشريف أجابه ؛ قال حضرة مولانا السلطان : لأنه ثبت عندنا أن منبر النبي صلى الله عليه وسلم كان درجتين ومجلسا . فعلى ذلك يلزم فعلَ أهل بلادكم على هذا الذى ذكرتم ، بدعة .

ونقول فى جواب السؤال الثانى : هل ثبت عندكم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيت الخطابة وقت الخطبة أم لا ؟ فعليكم بالبيان مع أنه ورد : من أحدث فى ديننا ما ليس فيه فهو رَدّ .

والله أعلم بالصواب

تم الجزء الأول من الكوكب الدرى فى مسائل الغورى بحمد الله تعالى وعونه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وكان الفراغ منه فى مستهل شهر ربيع الآخر سنة تسع عشر وتسعمائة .

كشاف

ذكرت فى هذا الكشاف أسماء معاصرى الغورى وأسماء القدماء الذين ذكروا فى مجلس الغورى ليتبين القارئ مدى معرفة أهل المجلس بالتاريخ، ولم أذكر أسماء الأنبياء والصحابة.

(ا)

